http://www.shamela.ws
تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

[زاد المسير – ابن الجوزي]
الكتاب : زاد المسير في علم التفسير
المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت
الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤
عدد الأجزاء : ٩

الله ولا يشركوا به ويقيموا الصلاة وينصروا الله ورسله قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر الميم وقرأ نافع وعاصم بفتح الميم وقرا حمزة والكسائي بضم الميم قال أبو علي وهذه لغات وقال الزجاج الملك بالضم السلطان والقدرة والملك بالكسر ما حوته اليد والملك بالفتح المصدر يقال ملكت الشيء أملكه ملكا

وللمفسرين في معنى الكلام أربعة أقوال

أحدها ما كنا نملك الذي اتخذ منه العجل ولكنها كانت زينة آل فرعون فقذفناها قاله ابن عباس

والثاني بطاقتنا قاله قتادة والسدي

والثالث لم نملك أنفسنا عند الوقوع في البلية قاله ابن زيد

والرابع لم يملك مؤمنونا سفهاءنا ذكره الماوردي

فيخرج فيمن قال هذا لموسى قولان أحدهما أنهم الذين لم يعبدوا العجل والثاني عابدوه

قوله تعالى ولكنا حملنا أوزارا قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم حملنا بضم الحاء وتشديد الميم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم حملنا خفيفة والأوزار الاثقال والمراد بها حلي آل فرعون الذي كانوا استعاروه منهم قبل خروجهم من مصر فمن قرأ حملنا بالتشديد فالمعنى حملناها موسى أمرنا باستعارتها من آل فرعون فقذفناها أي طرحناها في الحفيرة وقد ذكرنا سبب قذفهم إياها في سورة البقرة ٥٢

قوله تعالى فكذلك ألقى السامري فيه قولان

أحدهما أنه ألقى حليا كما ألقوا
والثاني ألقى ما كان معه من تراب حافر فرس جبريل وقد سبق شرح القصة في البقرة ٥٢ وذكرناه في الأعراف ١٤٨ معنى قوله تعالى عجلا جسدا له خوار
قوله تعالى فقالوا هذ إلهكم هذا قول السامري ومن وافقه من الذين افتتنوا
قوله تعالى فنسي في المشار اليه بالنسيان قولان
أحدهما أنه موسى ثم في المعنى ثلاثة أقوال أحدها هذا آلهكم وآله موسى فنسي موسى أن يخبركم أن هذا آلهه رواه عكرمة عن ابن عباس والثاني فنسي موسى الطريق الى ربه روي عن ابن عباس ايضا والثالث فنسي موسى الهه عندكم وخالفه في طريق اخر قاله قتادة
والثاني أنه السامري والمعنى فنسي السامري إيمانه وإسلامه قاله ابن عباس وقال مكحول فنسي أي فترك السامري ما كان عليه من الدين وقيل فنسي أن العجل لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فعلى هذا القول يكون قوله تعالى فنسي من إخبار الله عز و جل عن السامري وعلى ما قبله فيمن قاله قولان
أحدهما أنه السامري والثاني بنو اسرائيل
قوله تعالى أفلا يرون ألا يرجع قال الزجاج المعنى أفلا يرون أنه لا يرجع اليهم قولا
ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا أمري قالوا لن نبرح

عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا فرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا بنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي
قوله تعالى ولقد قال لهم هارون من قبل أي من قبل أن يأتي موسى يا قوم إنما فتنتم به أي ابتليتم وإن ربكم الرحمن لا العجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين أي لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى فلما رجع موسى قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل ألا تتبعني قرأ ابن كثير وأبو عمرو ألا تتبعني بياء في الوصل ساكنة ويقف ابن كثير بالياء وأبو عمرو بغير ياء وروى اسماعيل بن جعفر عن نافع ألا تتبعني أفعصيت بياء منصوبة وروى قالون عن نافع مثل أبي عمرو سواء وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بغير ياء في الوصل والوقف والمعنى ما منعك من اتباعي ولا كلمة زائدة وفي المعنى ثلاثة أقوال
أحدها تسير ورائي بمن معك من المؤمنين وتفارقهم رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس
والثاني أن تناجزهم القتال رواه أبو صالح عن ابن عباس

والثالث في الإنكار عليهم قاله مقاتل
قوله تعالى أفعصيت أمري وهو قوله في وصيته إياه أخلفني في قومي وأصلح قال المفسرون ثم أخذ برأس اخيه ولحيته غضبا منه عليه وهذا وإن لم

(٣١٦/٥)

بذكر هاهنا فقد ذكر في الأعراف ١٥٠ فاكتفي بذلك وقد شرحناه هناك معنى يا ابن ام واختلاف القراء فيها
قوله تعالى ولا برأسي أي بشعر رأسي وهذا الغضب كان لله عز و جل لا لنفسه لأنه وقع في نفسه أن هارون عصى الله بترك اتباع موسى
قوله تعالى إني خشيت أي إن فارقتهم واتبعتك أن تقول فرقت بين بني اسرائيل وفيه قولان
أحدهما باتباعي اياك ومن معي من المؤمنين والثاني بقتالي لبعضهم ببعض
وفي قوله تعالى ولم ترقب قولي قولان
أحدهما لم ترقب قولي لك أخلفني في قومي واصلح
والثاني لم تنتظر امري فيهم
قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بمالم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا إنما الهكم الله الذي لا إله الا هو وسع كل شي علما
قوله تعالى فما خطب يا سامري أي ما أمرك وشأنك الذي دعاك الى ما صنعت قال ابن الأنباري وبعض اللغويين يقول الخطب مشتق من الخطاب المعنى ما أمرك الذي تخاطب فيه
واختلفوا في اسم السامري على قولين
احدهما موسى ايضا قاله وهب بن منبه وقال كان ابن عم موسى بن عمران

(٣١٧/٥)

والثاني ميخا قاله ابن السائب
وهل كان من بني اسرائيل أم لا فيه قولان
أحدهما لم يكن منهم قاله ابن عباس

والثاني كان من عظمائهم وكان من قبيلة تسمى سامرة قاله قتادة وفي بلده قولان
أحدهما كرمان قاله سعيد بن جبير والثاني باجرما قاله وهب
قوله تعالى بصرت بما لم يبصروا به وقرأ حمزة والكسائي تبصروا بالتاء فعلى قراءة الجمهور أشار الى بني اسرائيل وعلىهذه القراءة خاطب الجميع قال ابو عبيدة علمت ما لم تعلموا قال وقوم يقولون بصرت وأبصرت سواء بمنزلة اسرعت وسرعت وقال الزجاج يقال بصر الرجل يبصر إذا صار عليما بالشيء وأبصر يبصر إذا نظر قال المفسرون فقال له موسى وما ذاك قال رأيت جبريل على فرس فألقي في نفسي أن اقبض من أثرها فقبضت قبضة وقر أبي بن كعب والحسن ومعاذ القارئ قبصة بالصاد وقال الفراء والقبضة بالكف كلها والقبصة بالصاد بأطراف الاصابع قال ابن قتيبه ومثل هذا الخضم بالفم كله والقضم بأطراف الاسنان والنضخ أكثر من النضح والرجز العذاب والرجس النتن والهلاس في البدن والسلاس في العقل والغلط في الكلام والغلت في الحساب والخصر الذي يجد البرد والخرص الذي يجد البرد والجوع والنار الخامدة التي قد سكن لهبها ولم يطفا جمرها والهامدة التي طفئت فذهبت البتة والشكد العطاء ابتداء فان كان جزاء فهو شكم والمائج الذي يدخل البئر فيملأ الدلو والماتح الذي ينزعها
قوله تعالى فنبذتها أي فقذفتها في العجل وقرأ ابو عمرو وحمزة

والكسائي وخلف فنبذتها بالإدعام وكذلك أي وكما حدثتك سولت لي نفسي أي زينت لي قال موسى اذهب أي من بيننا فان لك في الحياة أي ما دمت حيا أن تقول لا مساس أي لا أمس ولا امس فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس أحدا ولا يمسه احد عاقبه الله بذلك وألهمه أن يقول لا مساس وكان إذا لقي أحدا يقول لا مساس أي لا تقربني ولا تمسني وصار ذلك عقوبة لولده حتى إن بقاياهم اليوم فيما ذكر أهل التفسير بأرض الشام يقولون ذلك وحكي أنه إن مس واحد من غيرهم واحدا منهم أخذتهما الحمى في الحال
قوله تعالى وإن لك موعدا أي لعذابك يوم القيامة لن تخلفه أي لن يتأخر عنك ومن كسر لام تخلف أراد لن تغيب عنه
قوله تعالى وانظر الى إلهك يعني العجل الذي ظلت قال ابن عباس معناه أقمت عليه وقال الفراء معنى ظلت فعلته نهارا وقرأ أبي بن كعب وابو الجوزاء وابن يعمر ظلت برفع الظاء وقرأ ابن مسعود وأبو رجاء والأعمش وابن أبي عبلة ظلت بكسر الظاء وقال الزجاج ظلت وظلت بفتح الظاء وكسرها فمن فتح فالأصل فيه ظللت ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف والكسر وبقيت الظاء على فتحها ومن قرأ ظلت

بالكسر حول كسرة اللام على الظاء ومعنى عاكفا مقيما لنحرقنه قرأ الجمهور لنحرقنه بضم النون وفت الحاء وتشديد الراء وقرأ علي بن أبي طالب وأبو رزين وابن معمر لنحرقنه بفتح النون وسكون الحاء ورفع الراء مخففة وقرأ ابو هريرة والحسن وقتادة لنحرقنه برفع النون وإسكان الحاء وكسر الراء

(٣١٩/٥)

مخففة قال الزجاج إذا شدد فالمعنى نحرقه مره بعد مرة وتأويل لنحرقنه لنبردنه يقال حرقت أحرق وأحرق إذا بردت الشيء والنسف التذرية وجاء في التفسير أن موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم لأنه كان قد صار لحما ودما ثم أحرقه بالنار ثم أحرقه بالنار ثم ذراه في البحر ثم أخبرهم موسى عن إلههم فقال إنما إلهكم الله الذي لااله إلا هو أي هو الذي يستحق العبادة لاالعجل وسع كل شيء علما أي وسع علمه كل شيء

كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما

قوله تعالى كذلك نقص عليك أي كما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى وقومه نقص عليك من أنباء ما قد سبق أي من أخبار من مضى والذكر هاهنا القرآن من أعرض عنه فلم يؤمن ولم يعمل بما فيه فانه يحمل يوم القيامة وقرأ عكرمة وأبو المتوكل وعاصم الجحدري يحمل برفع الياء وفتح الحاء وتشديد الميم وزرا أي إثما خالدين فيه أي في عذاب ذلك الوزر وساء لهم قال الزجاج المعنى وساء الوزر لهم يوم القيامة حملا وحملا منصوب على التمييز

قوله تعالى يوم ينفخ في الصور قرأ أبو عمرو ننفخ بالنون وقرأ الباقون من السبعة ينفخ بالياء على ما لم يسم فاعله وقرأ أبو عمران الجوني

(٣٢٠/٥)

يوم ينفخ بياء مفتوحة ورفع الفاء وقد سبق بيانه ونحشر المجرمين وقرأ أبي بن كعب وأبو الجوزاء وطلحة بن مصرف ويحشر بياء مفتوحة ورفع الشين وقرأ ابن مسعود والحسن وأبو عمران ويحشر بياء مرفوعة وفتح الشين المجرمون بالواو قال المفسرون والمراد بالمجرمين المشركون يومئذ زرقا وفيه قولان

أحدهما عميا رواه أبو صالح عن ابن عباس وقال ابن قتيبة بيض العيون من العمى قد ذهب السواد

والناظر
والثاني زرق العيون من شدة العطش قاله الزهري والمراد أنه يشوه خلقهم بسواد الوجوه وزرق العيون
قوله تعالى يتخافتون بينهم أي يسار بعضهم بعضا إن لبثتم أي ما لبثتم إلا عشر ليال وهذا على طريق التقليل لاعلى وجه التحديد
وفي مرادهم بمكان هذا اللبث قولان
أحدهما القبور ثم فيه قولان أحدهما أنهم عنوا طول ما لبثوا فيها روى أبو صالح عن ابن عباس إن لبثتم بعد الموت إلا عشرا والثاني ما بين النفختين وهو أربعون سنة فانه يخفف عنهم العذاب حينئذ فيستقلون مدة لبثهم لهول ما يعاينون حكاه علي بن أحمد النيسابوري
والقول الثاني أنهم عنوا لبثهم في الدنيا قاله الحسن وقتادة
قوله تعالى إذ يقول أمثلهم طريقة أي أعقلهم وأعدلهم قولا إن لبثتم إلا يوما فنسي القوم مقدار لبثهم لهول ما عاينوا

ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقران من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما قوله تعالى ويسألونك عن الجبال سبب نزولها أن رجالا من ثقيف أتوا رسول الله ص – فقالوا يا محمد كيف تكون الجبال يوم القيامة فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس
قوله تعالى فقل ينسفها ربي نسفا قال المفسرون النسف التذرية والمعنى يصيرها رمالا تسيل سيلا ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح فتستأصلها فيذرها أي يدع أماكنها من الأرض إذا نسفها قاعا قال ابن قتيبة القاع من الأرض المستوي الذي يعلوه الماء والصفصف المستوي أيضا يريد أنه لا نبت فيها
قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا في ذلك ثلاثة أقوال

أحدها ان المراد بالعوج الأودية وبالأمت الروابي رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وكذلك قال مجاهد العوج الانخفاض والأمت الارتفاع وهذا مذهب الحسن وقال ابن قتيبة الأمت النبك

والثاني أن العوج الميل والأمت الأثر مثل الشراك رواه العوفي عن ابن عباس

والثالث أن العوج الصدع والأمت الأكمة

قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي قال الفراء أي يتبعون صوت الداعي للحشر لا عوج لهم عن دعائه لا يقدرون أن لا يتبعوا

قوله تعالى وخشعت الأصوات أي سكنت وخفيت فلا تسمع إلا همسا وفيه ثلاثة أقوال

أحدها وطء الأقدام رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعكرمه ومجاهد في رواية واختاره الفراء والزجاج

والثاني تحريك الشفاه بغير نطق رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس

والثالث الكلام الخفي روى عن مجاهد وقال أبو عبيدة الصوت الخفي

قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة يعني لا تنفع أحدا إلا من أذن له الرحمن أي إلا شفاعة من أذن له الرحمن أي أذن أن يشفع له ورضي له قولا أي ورضي للمشفوع فيه قولا وهو الذي كان في الدنيا من أهل لا إله إلا الله يعلم ما بين أيديهم الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي وقد شرحنا هذه الآية في سورة البقرة ٢٥٥

وفي هاء به قولان

أحدهما أنها ترجع إلى الله تعالى قاله مقاتل والثاني إلى ما بين أيديهم وما خلفهم قاله ابن السائب

قوله تعالى وعنت الوجوه قال الزجاج عنت في اللغة خضعت يقال عنا يعنو إذا خضع ومنه قيل أخذت البلاد عنوة إذا أخذت غلبة وأخذت بخضوع من اهلها والمفسرون على أن هذا في يوم القيامة إلا ما روي عن طلق بن حبيب هو وضع الجبهة والأنف والكفين والركبتين وأطراف القدمين على الأرض للسجود وقد شرحنا في آيةالكرسي معنى الحي القيوم البقرة ٢٥٥

قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس خسر من أشرك بالله

قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن من هاهنا للجنس وإنما شرط الإيمان لأن غير المؤمن لا يقبل عمله ولا يكون صالحا فلا يخاف أي فهو لا يخاف وقرأ ابن كثير فلا يخف على النهي

قوله تعالى ظلما ولا هضما فيه أربعة أقوال

أحدها لا يخاف أن يظلم فيزاد في سيئاته ولا أن يهضم من حسناته رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

والثاني لا يخاف أن يظلم فيزاد من ذنب غيره ولا أن يهضم من الأصح حسناته قاله قتادة
والثالث أن لا يخاف أن يؤاخذ بما لم يعمل ولا ينتقص من عمله الصالح قاله الضحاك
والرابع لا يخاف أن لا يجزى بعمله ولا أن ينقص من حقه قاله ابن زيد قال اللغويون الهضم النقص تقول العرب هضمت لك من حقي أي حططت ومنه فلان هضيم الكشحين أي ضامر الجنبين

(٣٢٤/٥)

ويقال هذا شيء يهضم الطعام أي ينقص ثقله وفرق بعض المفسرين بين الظلم والهضم فقال الظلم منع الحق كله والهضم منع البعض وإن كان ظلما أيضا
قوله تعالى وكذلك أنزلناه أي وكما بينا في هذه السورة أنزلناه أي أنزلناه هذا الكتاب قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد أي بينا فيه ضروب الوعيد قال قتادة يعني وقائعه في الأمم المكذبة
قوله تعالى لعلهم يتقون أي ليكون سببا لاتقائهم الشرك بالاتعاظ بمن قبلهم أو يحدث لهم أي يجدد لهم القرآن وقيل الوعيد ذكرا أي اعتبارا فيتذكروا به عقاب الأمم فيعتبروا وقرأ ابن مسعود وعاصم الجحدري أو نحدث بنون مرفوعة
قوله تعالى فتعالى الله أي جل عن إلحاد الملحدين وقول المشركين في صفاته الملك الذي بيده كل شيء الحق وقد ذكرناه في يونس ٣٢
قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن في سبب نزولها قولان
أحدهما أن جبريل كان يأتي النبي صلى الله عليه و سلم بالسورة الآي فيتلوها عليه فلا يفرغ جبريل من آخرها حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم بأولها مخافة أن ينساها فنزلت هذه الآية رواه ابو صالح عن ابن عباس
والثاني أن رجلا لطم امرأته فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه و سلم تطلب القصاص فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم بينهما القصاص فنزلت هذه الآية فوقف

(٣٢٥/٥)

رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى نزل قوله تعالى الرجال قوامون على النساء النساء ٣٤ قاله الحسن البصري
قوله تعالى من قبل أن يقضى اليك وحيه وقرأ ابن مسعود والحسن ويعقوب نقضي بالنون وكسر الضاد وفتح الياء وحيه بنصب الياء

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال
أحدها لا تعجل بتلاوته قبل ان يفرغ جبريل من تلاوته تخاف نسيانه هذا على القول الأول
والثاني لا تقرئ أصحابك حتى نبين لك معاينة قاله مجاهد وقتادة
والثالث لا تسأل إنزاله قبل أن يأتيك الوحي ذكره الماوردي
قوله تعالى وقل رب زدني علما فيه ثلاثة أقوال

(٣٢٦/٥)

أحدها زدني قرآنا قاله مقاتل والثاني فهما والثالث حفظا ذكرهما الثعلبي
ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لت تظمؤا فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهم سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك آتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى
قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم أي أمرناه وأوصيناه أن لا يأكل من الشجرة من قبل أي من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا

(٣٢٧/٥)

الإيمان في وهم الذين ذكرهم في قوله لعلهم يتقون والمعنى أنهم إن نقضوا العهد فان آدم قد عهدنا اليه فنسي
وفي هذا النسيان قولان
أحدهما أنه الترك قاله ابن عباس ومجاهد والمعنى ترك ما أمر به
والثاني أنه من النسيان الذي يخالف الذكر حكاه الماوردي
وقرأ معاذ القارئ وعاصم الجحدري وابن السميفع فنسي برفع النون وتشديد السين
قوله تعالى ولم نجد له عزما العزم في اللغة توطين النفس على الفعل وفي المعنى أربعة اقوال

أحدها لم نجد له حفظا رواه العوفي عن ابن عباس والمعنى لم يحفظ ما أمر به
والثاني صبرا قاله قتادة ومقاتل والمعنى لم يصبر عما نهي عنه
والثالث حزما قاله ابن السائب قال ابن الأنباري وهذا لا يخرج آدم من أولي العزم وإنما لم يكن له عزم في الأكل فحسب
والرابع عزما في العود الى الذنب ذكره الماوردي وما بعد هذا قد تقدم تفسيره البقرة ٣٤ الى قوله تعالى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى قال المفسرون المراد به نصب الدنيا وتعبها من تكلف الحرث والزرع والعجن والخبز وغير ذلك قال سعيد بن جبير أهبط الى آدم ثور أحمر فكان يعتمل عليه ويمسح العرق عن جبينه فذلك شقاؤه قال العلماء والمعنى فتشقيا وإنما لم يقل فتشقيا لوجهين

(٣٢٨/٥)

أحدهما أن آدم هو المخاطب فاكتفى به مثله عن اليمين وعن الشمال قعيد ق١٧ قاله الفراء
والثاني أنه لما كان آدم هو الكاسب كان التعب في حقه أكثر ذكره الماوردي
قوله تعالى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى قرأ ابي بن كعب لا تجاع ولا تعرى بالتاء المضمومة والألف وأنك لا تظمأ قر أابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وأنك مفتوحة الألف وقرأ نافع وابو بكر عن عاصم وإنك بكسر الألف قال ابو علي من فتح حمله على أن لك أن لا تجوع وأن لك أن لا تظمأ ومن كسر استأنف
قوله تعالى لا تظمأ فيها أي لا تعطش يقال ظمئ الرجل ظمأ فهو ظمآن أي عطشان ومعنى لا تضحى لا تبرز للشمس فيصيبك حرها لأنه ليس في الجنة شمس
قوله تعالى هل أدلك عل شجرة الخلد أي على شجرة من أكل منها لم يمت وملك لا يبلى جديده ولا يفنى وما بعد هذا مفسر في الأعرف ٢٢
وفي قوله تعالى فغوى قولان
أحدهما ضل طريق الخلود حيث أراده من قبل المعصية
والثاني فسد عليه عيشه لأن معنى الغي الفساد قال ابن الأنباري وقد غلط بعض المفسرين فقال معنى غوى أكثر مما أكل من الشجرة حتى بشم كما يقال غوى الفصيل إذا أكثر من لبن أمه فبشم فكاد يهلك وهذا خطأ من وجهين

(٣٢٩/٥)

أحدهما أنه لا يقال من البشم غوى يغوي وإنما يقال غوي يغوى

والثاني أن قوله تعالى فلما ذاقا الشجرة الأعراف ٢٢ يدل على أنهما لم يكثرا ولم تتأخر عنهما العقوبة حتى يصلا الى الإكثار قال ابن قتيبة فنحن نقول في حق آدم عصى وغوى كما قال الله عز و جل ولا نقول آدم عاص وغاو كما تقول لرجل قطع ثوبه وخاطه قد قطعه وخاطه ولا تقول هذا خياط حتى يكون معاودا لذلك الفعل معروفا به

قوله تعالى ثم اجتباه ربه قد بينا الاجتباء في الأنعام ٨٧ فتاب عليه وهدى أي هداه للتوبة قال اهبطا في المشار اليهما قولان

أحدهما آدم وإبليس قاله مقاتل

والثاني آدم وحواء قاله ابو سليمان الدمشقي ومعنى قوله تعالى بعضكم لبعض عدو آدم وذريته وإبليس وذريته والحية أيضا وقد شرحنا هذا في البقرة ٣٦

قوله تعالى فمن اتبع هداي أي رسولي وكتابي فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب ولقد ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية

قوله تعالى ومن أعرض عن ذكري قال عطاء عن موعظتي وقال ابن السائب عن القرآن ولم يؤمن به ولم يتبعه

قوله تعالى فان له معيشة ضنكا قال ابو عبيدة معناه معيشة ضيقة والضنك يوصف به الأنثى والذكر بغير هاء وكل عيش أو مكان أو منزل ضيق فهو ضنك وأنشد

وإن نزلوا بضنك فانزل

وقال الزجاج الضنك أصله في اللغة الضيق والشدة

وللمفسرين في المراد بهذه المعيشة خمسة أقوال

أحدها أنها عذاب القبر روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال أتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه الى يوم القيامة وممن ذهب الى أنه عذاب القبر ابن مسعود وأبو سعيد الخدري والسدي

والثاني أنه ضغطة القبر حتى تختلف أضلاعه فيه رواه عطاء عن ابن عباس

والثالث شدة عيشه في النار رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال الحسن وقتادة وابن زيد قال ابن

السائب وتلك المعيشة من الضريع والزقوم
والرابع أن المعيشة الضنك كسب الحرام روى الضحاك عن ابن عباس قال المعيشة الضنك أن تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدى لشيء منها وله

(٣٣١/٥)

معيشة حرام يركض فيها قال الضحاك فهذه المعيشة هي الكسب الخبيث وبه قال عكرمة
والخامس أن المعيشة الضنك المال الذي لا يتقي الله صاحبه فيه رواه العوفي عن ابن عباس
فخرج في مكان المعيشة ثلاثة أقوال
أحدها القبر والثاني الدنيا والثالث جهنم
وفي قوله تعالى ونحشره يوم القيامة أعمى قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم أعمى حشرتني أعمى بفتح الميمين وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بكسرهما وقرأ نافع بين الكسر والفتح ثم في هذا العمى للمفسرين قولان
أحدهما أعمى البصر روى أبو صالح عن ابن عباس قال إذا أخرج من القبر خرج بصيرا فاذا سيق الى المحشر عمي
والثاني أعمى عن الحجة قاله مجاهد وأبو صالح قال الزجاج معناه فلا حجة له يهتدي بها لأنه ليس للناس على الله حجة بعد الرسل
قوله تعالى كذلك أي الأمر كذلك كما ترى أتتك آياتنا فنسيتها أي فتركتها ولم تؤمن بها وكما تركتها في الدنيا تترك اليوم في النار وكذلك أي وكما ذكرناه نجزي من أسرف أي اشرك ولعذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا ومن عذاب القبر وابقى لأنه يدوم
أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهي ولولا كلمة

(٣٣٢/٥)

سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آنائي الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى
قوله تعالى أفلم يهد لهم أي أفلم يتبين لكفار مكة إذا نظروا آثار من أهلكنا من الأمم وكانت قريش تتجر وترى مساكن عاد وثمود وفيها علامات الهلاك فذلك قوله تعالى يمشون في مساكنهم وروى زيد

عن يعقوب أفلم نهد بالنون

قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك في تأخير العذاب عن هؤلاءالكفار الى يوم القيامة وقيل إلى يوم بدر وقيل إلى انقضاء أجالهم لكان لزاما أي لكان العذاب لزاما أي لازما لهم واللزام مصدر وصف به العذاب قال الفراء وابن قتيبة في هذه الآية تقديم وتأخير والمعنى ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما

قوله تعالى فاصبر على ما يقولون أمر الله تعالى نبيه بالصبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم ثم حكم فيهم بالقتل ونسخ بآية السيف إطلاق الصبر

قوله تعالى وسبح بحمد ربك أي صل له بالحمد له والثناء عليه قبل طلوع الشمس يريد الفجر وقبل غروبها يعني العصر ومن آناء الليل الآناء الساعات وقد بيناها في آل عمران ١١٣ فسبح أي فصل

وفي المراد بهذه الصلاة أربعة أقوال

أحدها المغرب والعشاء رواه ابو صالح عن ابن عباس وبه قال قتادة

والثاني جوف الليل رواه العوفي عن ابن عباس

والثالث العشاء قاله مجاهد وابن زيد

والرابع أول الليل وأوسطه وأخره قاله الحسن

قوله تعالى وأطراف النهار المعنى وسبح أطراف النهار قال الفراء إنما هم طرفان فخرجا مخرج الجمع كقوله تعالى إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما الترحيم ٤

وللمفسرين في المراد بهذه الصلاة ثلاثة أقوال

أحدها أنها الظهر قاله قتادة فعلى هذا إنما قيل لصلاة الظهر أطراف النهار لأن وقتها عند الزوال فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني

والثاني انها صلاة المغرب وصلاة الصبح قاله ابن زيد وهذا على ان الفجر في ابتداء الطرف الأول والمغرب في انتهاء الطرف الثاني

والثالث أنها الفجر والظهر والعصر فعلى هذا يكون الفحر من الطرف الأول والظهر والعصر من الطرف الثاني حكاه الفراء

قوله تعالى لعلك ترضى قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم ترضى بفتح التاء وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم بضمها فمن فتح فالمعنى لعلك ترضى ثواب الله الذي يعطيك ومن ضمها ففيه وجهان

أحدهما لعلك ترضى بما تعطى والثاني لعل الله أن يرضاك

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وامر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لانسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى

(٣٣٤/٥)

قوله تعالى ولا تمدن عينيك سبب نزولها ما روى أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال نزل ضيف برسول الله صلى الله عليه و سلم فدعاني فأرسلني الى رجل من اليهود يبيع طعاما فقال قل له إن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق أو اسلفني الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال اليهودي والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبرته فقال والله لو باعني أو أسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء أمين في الأرض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الآية تعزية له عن الدنيا قال أبي بن كعب من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا وقد مضى تفسير هذه الآية في آخر الحجر ٨٨

قوله تعالى زهرة الحياة الدنيا وقرأ ابن مسعود والحسن والزهري ويعقوب زهرة بفتح الهاء قال الزجاج وهو منصوب بمعنى متعنا لأن معنى متعنا جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة لنفتنهم فيه أي لنجعل ذلك فتنة لهم وقال ابن قتيبة لنختبرهم قال المفسرون زهرة الدنيا بهجتها وغضارتها وما يروق الناظر منها عند رؤيته وهو من زهرة النبات وحسنه

قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى فيه قولان

أحدهما أنه ثوابه في الآخرة والثاني القناعة

قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة قال المفسرون المراد بأهله قومه ومن كان على دينه ويدخل في هذا اهل بيته

قوله تعالى واصطبر عليها أي واصبر على الصلاة لا نسألك رزقا

(٣٣٥/٥)

أي لا نكلفك رزقا لنفسك ولا لخلقنا إنما نأمرك بالعبادة ورزقك علينا والعاقبة للتقوى أي وحسن العاقبة لأهل التقوى وكان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا ثم يقول بهذا أمر الله تعالى ورسوله ويتلو هذه الآية

وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينه ما في الصحف الأولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا

فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى
قوله تعالى وقالوا يعني المشركين لولا أي هلا يأتينا محمد بآية من ربه أي كآيات الأنبياء نحو الناقة والعصا أو لم يأتهم قرأ نافع وابو عمرو وحفص عن عاصم تأتهم بالتاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم يأتهم بالياء
قوله تعالى بينه ما في الصحف الأولى أي أولم يأتهم في القرآن بيان وما في الكتب من أخبار الأمم التي أهلكناها لما سألوا الآيات ثم كفروا بها فما يؤمنهم أن تكون حالهم في سؤال الآيات كحال أولئك ولو انا أهلكناهم يعني مشركي مكة بعذاب من قبله في الهاء قولان
احدهما أنها ترجع الى الكتاب قاله مقاتل والثاني الى الرسول قاله الفراء
قوله تعالى لقالوا يوم القيامة ربنا لولا أي هلا ارسلت الينا رسولا يدعونا الى طاعتك فنتبع آياتك أي نعمل بمقتضاها من قبل أن نذل

(٣٣٦/٥)

بالعذاب ونخزى في جهنم وقرأ ابن عباس وابن السميفع وأبو حاتم عن يعقوب نذل ونخزى برفع النون فيهما وفتح الذال قل لهم يا محمد كل منا ومنكم متربص أي نحن نتربص بكم العذاب في الدنيا وأنتم تتربصون بنا الدوائر فتربصوا أي فانتظروا فستعلمون إذا جاء امرالله من اصحاب الصراط السوي أي الدين المستقيم ومن اهتدى من الضلالة أنحن أم أنتم وقيل هذه منسوخة بآية السيف وليس بشيء

(٣٣٧/٥)

سورة الأنبياء
بسم الله الرحمن الرحيم
اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وانتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون

وهي مكية باجماعهم من غير خلاف نعلمه
قوله عز و جل اقترب افتعل من القرب يقال قرب الشيء

(٣٣٨/٥)

واقترب وهذه الآية نزلت في كفار مكة وقال الزجاج اقترب للناس وقت حسابهم وقيل اللام في قوله للناس بمعنى من والمراد بالحساب محاسبة الله لهم على أعمالهم
وفي معنى قربه قولان
أحدهما أنه آت وكل آت قريب
والثاني لأن الزمان لكثرة ما مضى وقله ما بقي قريب
قوله تعالى وهم في غفلة أي عما يفعل الله بهم ذلك اليوم معرضون عن التأهب له وقيل اقترب للناس عام والغفلة والإعراض خاص في الكفار بدلالة قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وفي هذا الذكر ثلاثة أقوال
أحدهما أنه القرآن قاله ابن عباس فعلى هذا تكون الإشارة بقوله محدث إلى إنزاله له لأنه أنزل شيئا بعد شيء
والثاني أنه ذكر من الأذكار وليس بالقرآن حكاه ابو سليمان الدمشقي وقال النقاش هو ذكر من رسول الله وليس بالقرآن
والثالث أنه رسول الله بدليل قوله في سياق الآية هل هذا الا بشر مثلكم قاله الحسن بن الفضل
قوله تعالى إلا استمعوه وهم يلعبون قال ابن عباس يستمعون القرآن مستهزئين
قوله تعالى لاهية قلوبهم أي غافلة عما يراد بهم قال الزجاج المعنى إلا استمعوه لاعبين لاهية قلوبهم ويجوز أن يكون منصوبا بقوله

(٣٣٩/٥)

يلعبون وقرأ عكرمة وسعيد بن جبير وابن أبي عبلة لاهية بالرفع
قوله تعالى وأسروا النجوى أي تناجوا فيما بينهم يعني المشركين ثم بين من هم فقال الذين ظلموا أي اشركوا بالله والذين في موضع رفع على البدل من الضمير في وأسروا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال هل هذا إلا بشر مثلكم أي آدمي فليس بملك وهذا إنكار لنبوته وبعضهم يقول اسروا هاهنا بمعنى أظهروا لأنه من الأضداد

قوله تعالى أفتأتون السحر أي أفتقبلون السحر وأنت تعلمون أنه سحر يعنون أنه متابعة محمد صلى الله عليه و سلم متابعة السحر قل ربي قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم قل ربي وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم قال ربي وكذلك هي في مصاحف الكوفيين وهذا على الخبر عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال يعلم القول أي لا يخفى عليه شيء يقال في السماء والأرض فهو عالم بما أسررتم بل قالوا قال الفراء رد ب بل على معنى تكذيبهم وإن لم يظهر قبله الكلام بجحودهم لأن معناه الأخبار عن الجاحدين وأعلم أن المشركين كانوا قد تحيروا في أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم فاختلفت أقوالهم فيه فبعضهم يقول هذا الذي يأتي به سحر وبعضهم يقول أضغاث أحلام وهي الأشياء المختلطة ترى في المنام وقد شرحناها في يوسف ٤٤ وبعضهم يقول افتراه أي اختلقه وبعضهم يقول هو شاعر فليأتنا بآية كالناقة والعصا فاقترحوا الآيات التي لا أمهال بعدها
قوله تعالى ما آمنت قبلهم يعني مشركي مكة من قرية وصف القرية والمراد أهلها والمعنى أن الأمم التي أهلكت بتكذيب الآيات لم يؤمنوا

بالآيات لما أتتهم فكيف يؤمن هؤلاء وهذه إشارة إلى أن الآية لا تكون سببا للإيمان إلا أن يشاء الله
قوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا هذا جواب قولهم هل هذا الا بشر مثلكم
قوله تعالى نوحي اليهم قرأ الاكثرون يوحى بالياء وروى حفص عن عاصم نوحي بالنون وقد شرحناه هذه الآية في النحل ٤٣
قوله تعالى وما جعلناهم يعني الرسل جسدا قال الفراء لم يقل اجسادا لأنه اسم الجنس قال مجاهد وما جعلناهم جسدا ليس فيهم روح قال ابن قتيبة ما جعلنا الانبياء قبله أجسادا لا تأكل الطعام لا تموت فنجعله كذلك قال المبرد وثعلب جميعا العرب إذا جاءت بين الكلام بجحدين كان الكلام إخبارا فمعنى الآية إنما جعلناهم جسدا ليأكلوا الطعام قال قتادة المعنى وما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام
قوله تعالى ثم صدقناهم الوعد يعني الأنبياء أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بانجائهم وإهلاك مكذبيهم فأنجيناهم ومن نشاء وهم الذين صدقوهم وأهلكنا المسرفين يعني أهل الشرك وهذا تخويف لأهل مكة
ثم ذكر منته عليهم بالقرآن فقال لقد أنزلناه اليكم كتابا فيه ذكركم وفيه ثلاثة أقوال
احدها فيه شرفكم قاله ابو صالح عن ابن عباس
والثاني فيه دينكم قاله الحسن يعني فيه ما تحتاجون اليه من امر دينكم
والثالث فيه تذكرة لكم لما تلقونه من رجعة أو عذاب قاله الزجاج
قوله تعالى أفلا تعقلون ما فضلتكم به على غيركم

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعولهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين

ثم خوفهم فقال وكما قصمنا قال المفسرون واللغويون معناه وكم أهلكنا وأصل القصم الكسر وقوله كانت ظالمة أي كافرة والمراد أهلها فلما أحسوا بأسنا أي رأوا عذابنا بحاسة البصر إذا هم منها يركضون أي يعدون وأصل الركض تحريك الرجلين يقال ركضت الفرس إذا أعديته بتحريك رجليك فعدا قوله تعالى لا تركضوا قال المفسرون هذا قول الملائكة لهم وارجعوا الى ما أترفتم فيه أي الى نعمكم التي اترفتكم وهذا توبيخ لهم

وفي قوهل لعلكم تسألون قولان

أحدهما تسألون من دنياكم شيئا استهزاء بهم قاله قتادة

والثاني تسألون عن قتل نبيكم قاله ابن السائب فلما أيقنوا بالعذاب قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين بكفرنا وقيل بتكذيب نبينا فما زالت تلك دعواهم أي ما زالت تلك الكلمة التي هي يا ويلنا إنا كنا ظالمين قولهم يرددونها حتى جعلناهم حصيدا بالعذاب وقيل بالسيوف خامدين أي ميتين كخمود النار إذا طفئت

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين بل نقدف

بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يتسحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون

قوله تعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين أي لم نخلق ذلك عبثا إنا خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبر الناس بخلقه فيعلموا أن العبادة لا تصلح إلا لخالقه لنجازي أولياءنا ونعذب أعداءنا

قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا في سبب نزولها قولان

أحدها أن المشركين لما قالوا الملائكة بنات الله والآلهة بناته نزلت هذه الآية قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثاني أن نصارى نجران قالوا إن عيسى ابن الله فنزلت هذه الآية قاله مقاتل

وفي المراد باللهو ثلاثة أقوال

أحدهما الولد رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال السدي قال الزجاج المعنى لو أردنا أن نتخذ ولدا ذا لهو نلهى به

والثاني المرأة رواه عطاء عن ابن عباس وبه قال الحسن وقتادة

(٣٤٣/٥)

والثالث اللعب رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

قوله تعالى لاتخذناه من لدنا قال ابن جريج لا تخذنا نساء او ولدا من اهل السماء لا من اهل الأرض قال ابن قتيبة وأصل اللهو الجماع فكني عنه باللهو كما كني عنه بالسر والمعنى لو فعلنا ذلك لاتخذناه من عندنا لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره

وفي قوله إن كنا فاعلين قولان

أحدهما أن إن بمعنى ما قاله ابن عباس والحسن وقتادة

والثاني أنها بمعنى الشرط قال الزجاج والمعنى إن كنا نفعل ذلك ولسنا ممن يفعله قال والقول الأول قول المفسرين والثاني قول النحويين وهم يستجيدون القول الأول أيضا لأن إن تكون في موضع النفي إلا أن أكثر ما تأتي مع اللام تقول إن كنت لصالحا معناه ما كنت إلا صالحا

قوله تعالى بل أي دع ذاك الذي قالوا فانه باطل نقذف بالحق أي نسلط الحق وهو القرآن على الباطل وهو كذبهم فيدمغه قال ابن قتيبة أي يكسره واصل هذا إصابة الدماغ بالضرب وهو مقتل فاذا هو زاهق أي زائل ذاهب قال المفسرون والمعنى إنا نبطل كذبهم بما نثبين من الحق حتى يضمحل ولكم الويل مما تصفون أي من وصفكم الله بما لا يجوز وله من في السموات والأرض يعني هم عبيده وملكه ومن عنده يعني الملائكة

وفي قوله ولا يستحسرون ثلاثة أقوال

أحدها لا يرجعون رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

(٣٤٤/٥)

والثاني لا ينقطعون قاله مجاهد وقال ابن قتيبة لا يعيون والحسر المنقطع الواقف إعياء وكلالا والثالث لا يملون قاله ابن يزيد

قوله تعالى لا يفترون قال قتادة لا يسأمون وسئل كعب أما يشلغهم شأن أما تشغلهم حاجة فقال للسائل يا ابن أخي جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس ألست تأكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتتكلم وأنت تتنفس فكذلك جعل هلم التسبيح ثم إن الله تعالى عاد الى توبيخ المشركين فقال أم اتخذوا آلهة من الأرض لأن أصنامهم من الأرض هي سواء كانت من ذهب أو فضة أو خشب أو حجارة هم يعني الآلهة ينشرون أي يحيون الموتى وقرا الحسن ينشرون بفتح الياء وضم الشين وهذا استفهام بمعنى الجحد والمعنى ما اتخذوا آلهة تنشر ميتا لو كان فيهما يعني السماء والارض آلهة يعني معبودين إلا الله قال الفراء سوى الله وقال الزجاج غير الله

قوله تعالى لفسدتا أي لخربتا وبطلتا وهلك من فيهما لوجود التمانع بين الآلهة فلا يجري أمر العالم على النظام لأن كل أمر صدر عن اثنين فصاعدا لم يسلم من الخلاف

قوله تعالى لا يسأل عما يفعل أي عما يحكم في عباده من هدي وإضلال وإعزاز وإذلال لأنه المالك للخلق والخلق يسألون عن أعمالهم لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم ولما أبطل عز و جل أن يكون إله سواه من حيث العقل بقوله لفسدتا أبطل ذلك من حيث الأمر فقال أم اتخذوا من دونه آلهة وهذا استفهام إنكار وتوبيخ قل

هاتوا برهانكم على ما تقولون هذا ذكر من معي يعني القرآن خبر من معي على ديني ممن يتبغني الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر من قبلي يعني الكتب المنزلة والمعنى هذا القرآن وهذه الكتب التي أنزلت قبله فانظروا هل في واحد منها أن الله أمر باتخاذ إله سواه فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود غيره من حيث الأمر به قال الزجاج قيل لهم هاتوا برهانكم بأن رسولا من الرسل أخبر أمته بأن لهم إلها غير الله

قوله تعالى بل أكثرهم يعني كفار مكة لا يعلمون الحق وفيه قولان

أحدهما انه القرآن قاله ابن عباس والثاني التوحيد قاله مقاتل فهم معرضون عن التفكر والتأمل وما يجب عليهم من الإيمان

وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا انا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي

الظالمين
قوله تعالى من رسول الا بوحي قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم الا نوحي بالنون والباقون بالياء
قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا في القائلين لهذا قولان
أحدهما أنهم مشركوا قريش قاله ابن عباس وقال ابن اسحاق القائل لهذا النضر بن الحارث
والثاني أنهم اليهود قالوا إن الله صاهر الجن فكانت منهم الملائكة قاله

(٣٤٦/٥)

قتادة فعلى القولين المراد بالولد الملائكة وكذلك المراد بقوله بل عباد مكرمون والمعنى بل عباد أكرمهم الله واصطفاهم لا يسبقونه بالقول أي لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به وقال ابن قتيبة لا يقولون حتى يقول ثم يقولون عنه ولا يعملون حتى يأمرهم
قوله تعالى يعلم ما بين أيديهم أي ما قدموا من الأعمال وما خلفهم ما هم عاملون ولا يشفعون يوم القيامة وقيل لا يستغفرون في الدنيا إلا لمن ارتضى أي لمن رضي عنه وهم من خشيته أي من خشيتهم منه فأضيف المصدر الى المفعول مشفقون أي خائفون وقال الحسن يرتعدون ومن يقل منهم أي من الملائكة قال الضحاك في آخرين هذه خاصة لإبليس لم يدع أحد من الملائكة إلى عبادة نفسه سواه قال ابو سليمان الدمشقي وهذا قول من قال إنه من الملائكة فان ابليس قال ذلك للملائكة الذين هبطوا معه الى الأرض ومن قال إنه ليس من الملائكة قال هذا على وجه التهديد وما قال أحد من الملائكة ذلك
أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون

(٣٤٧/٥)

قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أي أولم يعلموا وقرأ ابن كثير ألم ير الذين كفروا بغير واو بين الألف واللام وكذلك هي في مصاحف أهل مكة أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما قال ابو عبيدة السموات جمع والأرض واحدة فخرجت صفة لفظ الجمع على لفظ صفة الواحد والعرب تفعل هذا إذا أشركوا بين جمع وبين واحد والرتق مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث سواء

ومعنى الرتق الذي ليس فيه ثقب قال الزجاج المعنى كانتا ذواتي رتق فجعلهما ذوات فتق وإنما لم يقل رتقين لأن الرتق مصدر

وللمفسرين في المراد به ثلاثة أقوال

أحدها أن السموات كانت رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات رواه عبد الله بن دينار عن ابن عباس وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد في رواية والضحاك في آخرين

والثاني أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففتقهما الله تعالى رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة

والثالث أنه فتق من الأرض ست أرضين فصارت سبعا ومن السماء ست سموات فصارت سبعا رواه السدي عن أشياخه وابن أبي نجيح عن مجاهد

قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وقرا معاذ القارىء وابن أبي عبلة وحميد بن قيس كل شيء حيا بالنصب

وفي هذا الماء قولان

أحدهما أنه الماء المعروف والمعنى جعلنا الماء سببا لحياة كل حي قاله الأكثرون والثاني أنه النطفة قاله ابو العالية

(٣٤٨/٥)

قوله تعالى وجعلنا في الأرض رواسي قد فسرناه في النحل ١٥

قوله تعالى وجعلنا فيها أي في الرواسي فجاجا قال ابو عبيدة هي المسالك قال الزجاج الفجاج جمع فج وهو كل منخرق بين جبلين ومعنى سبلا طرقا قال ابن عباس جعلنا من الجبال طرقا كي تهتدوا الى مقاصدكم في الأسفار قال المفسرون وقوله سبلا تفسير للفجاج وبيان أن تلك الفجاج نافذة مسلوكة فقد يكون الفج غير نافذ وجعلنا السماء سقفا أي هي الأرض كالسقف

وفي معنى محفوظا قولان

أحدهما بالنجوم من الشياطين قاله ابو صالح عن ابن عباس

والثاني محفوظا من الوقوع إلا باذن الله قاله الزجاج

قوله تعالى وهم يعني كفار مكة عن آياتها أي شمسها وقمرها ونجومها قال الفراء وقرا مجاهد عن آيتها فوحده فجعل السماء بما فيها آية وكل صواب

قوله تعالى كل يعني الطوالع في فلك قال ابن قتيبة الفلك مدار النجوم الذي يضمها وسماه فلكا لاستدارته ومنه قيل فلكه المغزل وقد فلك ثدي المرأة قال أبو سليمان وقيل إن الفلك كهيئة الساقية

من ماء مستديرة دون السماء وتحت الأرض فالأرض وسطها والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار يجرون في الفلك وليس الفلك يديرها ومعنى يسبحون يجرون قال الفراء لما كانت السباحة من أفعال الآدميين ذكرت بالنون كقوله رأيتهم لي ساجدين يوسف ٤٠ لأن السجود من أفعال الآدميين

(٣٤٩/٥)

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفائن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون

قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد سبب نزولها أن ناسا قالوا إن محمدا لا يموت فنزلت هذه الآية قاله مقاتل ومعنى الآية ما خلدنا قبلك أحدا من بني آدم والخلد البقاء الدائم أفان مت فهم الخالدون يعني مشركي مكة لأنهم قالوا نتربص به ريب المنون الطور ٣٠

قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير قال ابن زيد نختبركم بما تحبون لننظر كيف شكركم وبما تكرهون لننظر كيف صبركم

قوله تعالى وإلينا يرجعون قرأ ابن عامر ترجعون بتاء مفتوحة وروى ابن عباس عن ابي عمرو يرجعون بياء مضمومة وقرأ الباقون بتاء مضمومة

قوله تعالى وإذا رآك الذين كفروا قال ابن عباس يعني المستهزئين وقال السدي نزلت في أبي جهل مر به رسول الله فضحك وقال هذا نبي نبي عبد مناف وإن بمعنى ما ومعنى هزوا مهزوءا به أهذا الذي يذكر آلهتكم أي يعيب أصنامكم وفيه أضمار يقولون وهم بذكر الرحمن هم كافرون وذلك أنهم قالوا ما نعرف الرحمن فكفروا بالرحمن

خلق الإنسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين لو يعلم الذين

(٣٥٠/٥)

كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن

قوله تعالى خلق الإنسان من عجل وقرأ أبو رزين العقيلي ومجاهد والضحاك خلق الإنسان بفتح الخاء

واللام ونصب النون وهذه الآية نزلت حين استعجلت قريش بالعذاب

وفي المراد بالإنسان هاهنا ثلاثة أقوال

أحدها النضر بن الحارث وهوالذي قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية الانفال ٣٢ رواه عطاء عن ابن عباس

والثاني آدم عليه السلام قاله سعيد بن جبير والسدي في آخرين

والثالث أنه اسم جنس قاله علي بن أحمد النيسابوري فعلى هذا يدخل النضر بن الحارث وغيره في هذا وإن كانت الآية نزلت فيه

فأما من قال أريد به آدم ففي معنى الكلام قولان

أحدهما أنه خلق عجولا قاله الأكثرون فعلى هذا يقول لما طبع آدم على هذا المعنى وجد في أولاده وأورثهم العجل

والثاني خلق بعجل استعجل بخلقه قبل غروب الشمس من يوم الجمعة وهو آخر الأيام الستة قاله مجاهد

فأما من قال هو اسم جنس ففي معنى الكلام قولان

أحدهما خلق عجولا قال الزجاج خوطبت العرب بما تعقل

والعرب تقول للذي يكثر منه اللعب إنما خلقت من لعب يريدون المبالغة في وصفه بذلك

والثاني أن في الكلام تقديما وتأخيرا والمعنى خلقت العجلة في الإنسان قاله ابن قتيبة

قوله تعالى سأريكم آياتي فيه قولان

أحدهما ما أصاب الأمم المتقدمة والمعنى إنكم تسافرون فترون آثار الهلاك في الماضين قاله ابن السائب

والثاني أنها القتل ببدر قاله مقاتل

قوله تعالى فلا تستعجلون اثبت الياء في الحالين يعقوب

قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد يعنون القيامة لم يعلم الذين كفروا جوابه محذوف والمعنى لو علموا صدق الوعد ما استعجلوا حين لا يكفون أي لا يدفعون عن وجوههم النار إذا دخلوا ولا عن ظهورهم لإحاطتها بهم ولا هم ينصرون أي يمنعون مما نزل بهم بل تأتيهم يعني الساعة بغتة فجأة فتبهتهم تحيرهم وقد شرحنا هذا عند قوله فبهت الذي كفر البقرة ٢٥٨ فلا يستطيعون ردها أي صرفها عنهم ولا هم يمهلون لتوبة أو معذرة ثم عزى نبيه فقال ولقد استهزىء برسل من قبلك أي كما فعل بك قومك

فحاق أي نزل بالذين سخروا منهم أي من الرسل ما كانوا به يستهزؤون يعني العذاب الذي كانوا استهزؤوا به

قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا

(٣٥٢/٥)

هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون

قوله تعالى قل من يكلؤكم المعنى قل لهؤلاء المستعجلين بالعذاب من يحفظكم من بأس الرحمن إن أراد إنزاله بكم وهذا استفهام إنكار أي لا أحد يفعل ذلك بل هم عن ذكر ربهم أي عن كلامه ومواعظه معرضون لا يتفكرون ولا يعتبرون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا فيه تقديم وتأخير وتقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم وهاهنا تم الكلام ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال لا يستطيعون نصر أنفسهم والمعنى من لا يقدر عل نصر نفسه عما يراد به فكيف ينصر غيره

قوله تعالى ولا هم في المشار اليهم قولان

أحدهما أنهم الكفار وهو قول ابن عباس والثاني أنهم الأصنام قاله قتادة

وفي معنى يصحبون أربعة أقوال

أحدها يجارون رواه العوفي عن ابن عباس قال ابن قتيبة والمعنى لا يجيرهم منا احد لأن المجير صاحب لجاره والثاني يمنعون رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس والثالث ينصرون قاله مجاهد والرابع لا يصحبون بخير قاله قتادة

ثم بين اغترارهم بالإمهال فقال بل متعنا هؤلاء وآباءهم يعني أهل مكة حتى طال عليهم العمر فاغتروا بذلك أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها

(٣٥٣/٥)

من أطرافها قد شرحناه في الرعد ٤١ أفهم الغالبون أي مع هذه الحال وهو نقص الأرض والمعنى ليسوا بغالبين ولكنهم المغلوبون قل إنما أنذركم أي أخوفكم بالوحي أي بالقرآن والمعنى إنني ما جئت به من تلقاء نفسي إنما أمرت فبلغت ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع بالتاء مضمومة الصم نصبا وقرأ ابن يعمر والحسن ولا يسمع بضم الياء وفتح الميم الصم بضم الميم شبه الكفار بالصم

الذين لا يسمعون نداء مناديهم ووجه التشبيه أن هؤلاء لم ينتفعوا بما سمعوا كالصم لا يفيدهم صوت مناديهم ولئن مستهم أي أصابتهم نفحة قال ابن عباس طرف وقال الزجاج المراد أدنى شيء من العذاب ليقولن ياويلنا والويل ينادي به كل من وقع في هلكة

ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا إنا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين

قوله تعالى ونضع الموازين القسط قال الزجاج المعنى ونضع الموازين ذوات القسط والقسط العدل وهو مصدر يوصف به يقال ميزان قسط وميزانان قسط وموازين قسط قال الفراء القسط من صفة الموازين وإن كان موحدا كما تقول أنت عدل وأنتم رضى وقوله ليوم القيامة وفي يوم القيامة سواء وقد ذكرنا الكلام في الميزان في أول الأعراف ٨

فان قيل إذا كان الميزان واحدا فما المعنى بذكر الموازين

فالجواب أنه لما كانت أعمال الخلائق توزن وزنة بعد وزنة سميت موازين

قوله تعالى فلا تظلم نفس شيئا أي لا ينقص محسن من إحسانه ولا يزاد مسيء على إساءته وإن كان مثقال حبة أي وزن حبة وقرأ نافع مثقال برفع اللام قال الزجاج ونصب مثقال على معنى وإن كان العمل مثقال حبة وقال ابو علي الفارسي وإن كان الظلامة مثقال حبة لقوله تعالى فلا تظلم نفس شيئا قال ومن رفع أسند الفعل الى المثقال كما اسند في قوله تعالى وإن كان ذو عسرة البقرة ٢٨٠

قوله تعالى أتينا بها أي جئنا بها وقرأ ابن عباس ومجاهد وحميد آتينا ممدودة أي جازينا بها

قوله تعالى وكفى بنا حاسبين قال الزجاج هو منصوب على وجهين احدهما التمييز والثاني الحال

ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون

قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان فيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه التوارة التي فرق بها الحلال والحرام قاله مجاهد وقتادة

والثاني البرهان الذي فرق به بين حق موسى وباطل فرعون قاله ابن زيد

والثالث النصر والنجاة لموسى وإهلاك فرعون قاله ابن السائب

قوله تعالى وضياء روى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يرى الواو زائدة قال الزجاج وكذلك قال بعض النحويين أن المعنى الفرقان ضياء وعند

البصريين أن الواو لا تزاد ولا تأتي إلا بمعنى العطف فهي هاهنا مثل قوله تعالى فيها هدى ونور المائدة ٤٤ قال المفسرون والمعنى أنهم استضاؤوا بالتوراة حتى اهتدوا بها في دينهم ومعنى قوله تعالى وذكرا للمتقين أنهم يذكرونه ويعملون بما فيه الذين يخشون ربهم بالغيب فيه أربعة أقوال

أحدها يخافونه ولم يروه قاله الجمهور والثاني يخشون عذابه ولم يروه قاله مقاتل والثالث يخافونه من حيث لا يراهم أحد قاله الزجاج والرابع يخافونه إذا غابوا عن أعين الناس كخوفهم إذا كانوا بين الناس قاله ابو سليمان الدمشقي ثم عاد إلى ذكر القرآن فقال وهذا يعني القرآن ذكر لمن تذكر به وعظه لمن اتعظ مبارك أي كثير الخير أفأنتم يا أهل مكة له منكرون أي جاحدون وهذا استفهام توبيخ

ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون

قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده أي هداه من قبل وفيه ثلاثة أقوال

أحدها من قبل بلوغه قاله ابو صالح عن ابن عباس

والثاني آتيناه ذلك في العلم السابق قاله الضحاك عن ابن عباس

(٣٥٦/٥)

والثالث من قبل موسى وهارون قال الضحاك وقد أشرنا الى قصة ابراهيم في الأنعام ٧٥

قوله تعالى وكنا به عالمين أي علمنا أنه موضع لإيتاء الرشد ثم بين متى آتاه فقال إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل يعني الاصنام والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى وأصله من مثلث الشيء بالشيء إذا شبهته به وقوله التي أنتم لها أي على عبادتها عاكفون أي مقيمون فأجابوه أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فاقتدوا بهم فأجابهم بأنهم فيما فعلوا وآباءهم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين يعنون أجاد انت أم لاعب

قوله تعالى لأكيدن أصنامكم الكيد احتيال الكائد في ضر المكيد والمفسرون يقولون لأكيدنها بالكسر بعد أن تولوا أي تذهبوا عنها وكان لهم عيد في كل سنة يخرجون اليه ولا يخلفون بالمدينة أحدا فقالوا لإبراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق قال إني سقيم وألقى نفسه وقال سرا منهم وتالله لأكيدن أصنامكم فسمعه رجل منهم فأفشاه عليه فرجع إلى بيت الأصنام وكانت فيما ذكره مقاتل بن سليمان اثنين وسبعين صنما من ذهب وفضة ونحاس وحديد

وخشب فكسرها ثم وضع الفأس في عنق الصنم الكبير فذلك قوله فجعلهم جذاذا قرأ الأكثرون جذاذا بضم الجيم وقرأ أبو بكر الصديق وابن مسعود وأبو رزين وقتادة وابن محيصن والأعمش والكسائي جذاذا بكسر الجيم وقرأ أبو رجاء العطاردي وأيوب السختياني وعاصم الجحدري جذاذا بفتح الجيم وقرأ الضحاك وابن يعمر جذذا

(٣٥٧/٥)

بفتح الجيم من غير الف وقرأ معاذ القارىء وأبو حيوة وابن وثاب جذذا بضم الجيم من غير ألف قال أبو عبيدة أي مستأصلين قال جرير ... بني المهلب جذ الله دابرهم ... أمسوا رمادا فلا اصل ولا طرف ...

أي لم يبق منهم شيء ولفظ جذاذ يقع على الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث وقال ابن قتيبة جذاذا أي فتاتا وكل شيء كسرته فقد جذذته ومنه قيل للسويق الجذيذ وقرأ الكسائي جذاذا بكسر الجيم على أنه جمع جذيذ مثل ثقيل وثقال وخفيف وخفاف والجذيذ بمعنى المجذوذ وهو المكسور إلا كبيرا لهم أي كسر الأصنام إلا أكبرها قال الزجاج جائز أن يكون أكبرها في ذاته وجائز أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إياه لعلهم إليه يرجعون في هاء الكناية قولان

أحدهما أنها ترجع الى الصنم ثم فيه قولان أحدهما لعلهم يرجعون اليه فيشاهدونه هذا قول مقاتل

والثاني لعلهم يرجعون اليه بالتهمة حكاه ابو سليمان الدمشقي

والثاني أنها ترجع الى ابراهيم والمعنى لعلهم يرجعون الى دين ابراهيم بوجوب الحجة عليهم قاله الزجاج قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالو ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون

(٣٥٨/٥)

فلما رجعوا من عيدهم ونظروا الى آلهتهم قالو من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين أي قد فعل ما لم يكن له فعله فقال الذي سمع ابراهيم يقول لأكيدن أصنامكم سمعنا فتى يذكرهم قال الفراء أي يعيبهم نقول للجرل لئن ذكرتني لتندمن تريد بسوء

قوله تعالى فأتوا به على أعين الناس أي بمرأى منهم لا تأتوا به خفية قال أبو عبيدة تقول العرب إذا أظهر الأمر وشهر كن ذلك على أعين الناس

قوله تعالى لعلهم يشهدون فيه ثلاثة أقوال
أحدها يشهدون أنه قال لآلهتنا ما قال رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال الحسن وقتادة
والثاني يشهدون أنه فعل ذلك قاله السدي
والثالث يشهدون عقابه وما يصنع به قاله محمد بن اسحاق
قال المفسرون فانطلقوا به الى نمرود فقال له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه الصغار فكسرها فاسألوهم إن كانوا ينطقون من فعله بهم وهذا إلزام للحجة عليهم بأنهم جماد لا يقدرون على النطق
واختلف العلماء في وجه هذا القول من ابراهيم عليه السلام على قولين
أحدهما أنه وإن كان في صورة الكذب إلا أن المراد به التنبيه على أن من لا قدرة له لا يصلح أن يكون إلها ومثله قول الملكين لدواد إن هذا أخي ولم يكن أخاه له تسع وتسعون نعجة ص٢٣ ولم يكن له شيء

فجرى هذا مجرى التنبيه لداود على ما فعل وأنه هو المراد بالفعل والمثل المضروب ومثل هذا لا تسميه العرب كذبا
والثاني أنه من معاريض الكلام فروي عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله تعالى بل فعله ويقول معناه فعله من فعله ثم يبتدىء كبيرهم هذا قال الفراء وقرأ بعضهم بل فعله بتشديد اللام يريد فعله كبيرهم هذا قال الفراء وقرأ بعضهم بل فعلته بتشديد اللام يريد فلعله كبيرهم هذا وقال ابن قتيبة هذا من المعاريض ومعناه إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم وكذلك قوله إني سقيم الصافات ٨٩ أي سأسقم ومثله إنك ميت الزمر ٣٠ أي ستموت وقوله لا تؤاخذني بما نسيت الكهف ٧٤ قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام والمعنى لا تؤاخذني بنسياني ومن هذا قصة الخصمين إذ تسوروا المحراب ص٢١ مثله وإنا أو إياكم لعلى هدى سبأ ٢٤ والعرب تستعمل التعريض في كلامها كثيرا فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف من الكشف واحسن من التصريح وروي أن قوما من الأعراب خرجوا يمتارون فلما صدروا خالف رجل في بعض الليل إلى عكم صاحبه فأخذ منه برا وجعله في عكمه فلما أراد الرحلة وقاما يتعاكمان رأى عكمه يشول وعكم صاحبه يثقل فأنشأ يقول ... عكم تغشى بعض أعكام القوم ... لم أر عكما سارقا قبل اليوم ...
فخون صاحبه بوجه هو ألطف من التصريح قال ابن الأنباري كلام ابراهيم كان صدقا عند البحث ومعنى قول النبي صلى الله عليه و سلم كذب إبراهيم ثلاثة كذبات

(٣٦٠/٥)

قال قولا يشبه الكذب في الظاهر وليس بكذب قال المصنف وقد ذهب جماعة من العلماء إلى هذا الوجه وأنه من المعاريض والمعاريض لا تذم خصوصا إذا احتيج اليها روى عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يسرني أن

(٣٦١/٥)

لي بما أعلم من معاريض القول مثل أهلي ومالي وقال النخعي لهم كلام يتكلمون به إذا خشوا من شيء يدرؤون به عن أنفسهم وقال ابن سيرين الكلام أوسع من أن يكذب ظريف وقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعجوز إن الجنة لا تدخلها العجائز أراد قوله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء الواقعة ٣٥ وروي عنه صلى الله عليه و سلم أنه كان يمازح بلالا فيقول ما أخت خالك منك وقال لامرأة من زوجك فسمته له فقال الذي في عينيه بياض وقال لرجل إنا حاملوك على ولد ناقة وقال له العباس ما ترجو لأبي طالب فقال كل خير أرجوه من ربي وكان ابو بكر حين خرج من الغار مع رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا سأله أحد من هذا بين يديك يقول هاد يهديني وكانت امرأة ابن رواحة قد رأته مع جارية له فقالت له وعلى فراشي أيضا فجحد فقالت له فاقرأ القرآن فقال ... وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق مشهور من الصبح طالع ... يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

(٣٦٢/٥)

فقالت آمنت بالله وكذبت بصري فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره فضحك وأعجبه ما صنع وعرض شريح ناقة ليبيعها فقال له المشتري كيف لبناه قال احلب في أي اناء شئت قال كيف الوطاء قال افرش ونم قال كيف نجاؤها قال إذا رأتيها في الإبل عرفت مكانها علق سوطك وسر قال كيف قونها قال احمل على الحائط ما شئت فاستصراها فلم ير شيئا مما وصف فرجع اليه فقال لما أر فيها شيئا مما وصفتها به قال ما كذبتك قال أقلني قال نعم وخرج شريح من عند زياد وهو مريض فقيل له كيف وجدت الأمير قال تركته يأمر وينهى فقيل له ما معنى يأمر وينهى قال يأمر بالوصية وينهى عن النوح وأخذ محمد بن يوسف حجرا المدري فقال العن عليا فقال إن الأمير أمرني أن ألعن عليا محمد

بن يوسف فالعنوه لعنه الله وأمر بعض الأمراء صعصعة بن صوحان بلعن علي فقال لعن الله من لعن الله ولعن علي ثم قال إن هذا الأمير قد أبى إلا أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله وامتحنت الخوارج رجلا من الشيعة فجعل يقول أنا من علي ومن عثمان بريء وخطب رجل امرأة وتحته أخرى فقالوا لا نزوجك حتى تطلق امرأتك فقال اشهدوا أني قد طلقت ثلاثا فزوجوه فأقام مع المرأة الأولى فادعوا أنه قد طلق فقال أما تعلمون أنه كان تحتي فلانة فطلقتها ثم فلانة فطلقتها ثم فلانة فطلقتها قالو بلى قال فقد طلقت ثلاثا وحكي أن رجلا عثر به الطائف ليلة فقال له من أنت فقال ... أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره ... وإن نزلت يوما فسوف تعود

(٣٦٣/٥)

ترى الناس أفوجا إلى ضوء ناره ... فمنهم قيام حولها وقعود ...
فظن الطائف أنه ابن بعض الأشراف بالبصرة فلما أصبح سأل عنه فاذا هو ابن باقلائي ومثل هذا كثير فرجعوا الى انفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون
قوله تعالى فرجعوا الى أنفسهم فيه قولان
أحدهما رجع بعضهم الى بعض والثاني رجع كل منهم الى نفسه متفكرا
قوله تعالى فقالوا إنكم أنتم الظالمون فه خمسة أقوال
أحدها حين عبدتم من لا يتكلم قاله ابن عباس
والثاني حين تتركون آلهتكم وحدها وتذهبون قاله وهب بن منبه
والثالث في عبادة هذه الأصاغر مع هذا الكبير روي عن وهب أيضا
والرابع لإبراهيم حين اتهمتموه والفأس في يد كبير الأصنام قاله ابن اسحاق ومقاتل
والخامس أنتم ظالمون لإبراهيم حين سألتموه وهذه أصنامكم حاضرة فاسألوها ذكره ابن جرير
قوله تعالى ثم نكسوا على رؤوسهم وقرأ أبو رزين العقيلي وابن أبي عبلة وأبو حيوة نكسوا برفع النون وكسر الكاف مشددة وقرأ سعيد ابن جبير وابن يعمر وعاصم الجحدري نكسوا بفتح النون والكاف

(٣٦٤/٥)

مخففة قال ابو عبيدة نكسوا قلبوا تقول نكست فلانا على راسه إذا قهرته وعلوته
ثم في المراد بهذا الانقلاب ثلاثة أقوال

أحدها أدركتهم حيرة فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قاله مقتادة
والثاني رجعوا الى أول ما كانوا يعرفونها به من انها لا تنطق قاله ابن قتيبة
والثالث انقلبوا على ابراهيم يحتجون عليه بعد أن اقروا له ولاموا أنفسهم في تهمته قاله ابو سليمان الدمشقي وفي قوله لقع علمت إضمار قالوا وفي هذا إقرار منهم بعجز ما يعبدونه عن النطق فحينئذ توجهت لإبراهيم الحجة فقال موبخا لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم أي لا يرزقكم ولا يعطيكم شيئا ولا يضركم إذا لم تعبدوه وفي هذا حث لهم على عبادة من يملك النفع والضر أف لكم قال الزجاج معناه النتن لكم فلم الزمهم الحجة غضبوا فقالوا حرقوه وذكر في التفسير أن نمرود استشارهم بأي عذاب أعذبه فقال رجل حرقوه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة
قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا

صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة وكانا لنا عابدين
قوله تعالى وانصروا آلهتكم أي بتحريقه لأنه يعيبها إن كنتم فاعلين أي ناصريها
الإشارة الى القصة
ذكر أهل التفسر أنهم حبسوا ابراهيم عليه السلام في بيت ثم بنوا له حيرا طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل منيف ونادى منادي الملك أيها الناس احتطبوا لابراهيم ولا يتخلفن عن ذلك صغير ولا كبير فمن تخلف ألقي في تلك النار ففعلوا ذلك أربعين ليلة حتى إن كانت المرأة لتقول إن ظفرت بكذا لأحتطبن لنار ابراهيم حتى إذا كان الحطب يساوي رأس الجدار سدوا أبواب الحير وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى إن كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة حرها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم رأسه الى السماء فقال اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة ربنا ابراهيم يحرق فيك فائذن لنا في نصرته فقال أنا أعلم به وإن دعاكم فأغيثوه فقذفوه في النار وهو ابن ست عشرة سنة وقيل ست وعشرين فقال حسبي الله ونعم الوكيل فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك

فلا قال جبريل فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله عز و جل يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلم تبق نار على وجه الأرض يومئذ إلا طفئت وظنت أنها عنيت وزعم السدي أن جبريل هو الذي ناداها وقال ابن عباس لو لم يتبع بردها سلاما لمات ابراهيم من بدرها قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فأجلسوه على الأرض فاذا عين من ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ووهب فما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه وأقام في ذلك الموضع سبعة ايام وقال غيرهما أربعين أو خمسين يوما فنزل جبريل بقميص من الجنة وطنفسه من الجنة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه وإن آزر أتى نمرود فقال أئذن لي أن اخرج عظام ابراهيم فأدفنها فانطلق نمرود ومعه الناس فأمر بالحائط فنقب فاذا ابراهيم في روضة تهتز وثيابه تندى وعليه القميص وتحته الطنفسة والملك الى جنبه فناداه نمرود يا ابراهيم إن إلهك الذي بلغت قدرته هذا لكبير هل تستطيع أن تخرج قال نعم فقام إبراهيم يمشي حتى خرج فقال من الذي رأيت معك قال ملك أرسله الى ربي ليؤنسني فقال نمرود إني مقرب

(٣٦٧/٥)

لإلهك قربانا لما رأيت من قدرته فقال إذن لا يقبل الله منك ما كنت على دينك فقال يا ابراهيم لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبح له فذبح القربان وكف عن ابراهيم

قال المفسرون ومعنى كوني بردا أي ذات برد وسلاما أي سلامة وأرادوا به كيدا وهو التحريق بالنار فجعلناهم الأخسرين وهو أن الله تعالى سلط البعوض عليهم حتى أكل لحومهم وشرب دماءهم ودخلت واحدة في دماغ نمرود حتى أهلكته والمعنى أنهم كادوه بسوء فانقلب السوء عليهم

قوله تعالى ونجيناه أي من نمرود وكيده ولوطا وهو ابن أخي ابراهيم وهو لوط بن هاران بن تارح وكان قد آمن به فهاجرا من أرض العراق الى الشام وكانت سارة مع ابراهيم في قول وهب وقال السدي إنما هي إبنة ملك حران لقيها ابراهيم فتزوجها على أن لا يغيرها وكانت قد طعنت على قومها في دينهم

فأما قوله تعالى الى الأرض التي باركنا فيها ففيها قولان

أحدهما أنها أرض الشام وهذا قول الأكثرين وبركتها أن الله عز و جل بعث أكثر الأنبياء منها وأكثر فيها الخصب والثمار والأنهار

والثاني أنها مكة رواه العوفي عن ابن عباس والاول اصح

قوله تعالى ووهبنا له يعني ابراهيم اسحاق ويعقوب نافلة وفي معنى النافلة قولان

أحدهما أنها بمعنى الزيادة والمراد بها يعقوب خاصة فكأنه سأل واحدا فأعطي اثنين وهذا مذهب ابن

عباس وقتادة وابن زيد والفراء
والثاني أن النافلة بمعنى العطية والمراد بها اسحاق ويعقوب وهذا مذهب مجاهد وعطاء

(٣٦٨/٥)

قوله تعالى وكلا جعلناه صالحين يعني ابراهيم واسحاق ويعقوب قال ابو عبيدة كل يقع خبره على لفظ الواحد لأن لفظه لفظ الواحد ويقع خبره على لفظ الجميع لأن معناه معنى الجميع
قوله تعالى وجعلناهم أئمة أي رؤوسا يقتدى بهم في الخير يهدون بأمرنا أي يدعون الناس الى ديننا بأمرنا إياهم بذلك وأوحينا إليهم فعل الخيرات قال ابن عباس شرائع النبوة وقال مقاتل الأعمال الصالحة وإقام الصلاة قال الزجاج حذف الهاء من إقامة الصلاة قليل في اللغة تقول اقام إقامة والحذف جائز لأن الإضافة عوض من الهاء
ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين
قوله تعالى ولوطا آتيناه حكما قال الزجاج انتصب لوط بفعل مضمر لأن قبله فعلا فالمعنى وأوحينا إليهم وآتينا لوطا وذكر بعض النحويين أنه منصوب على واذكر لوطا وهذا جائز لأن ذكر ابراهيم قد جرى فحمل لوط على معنى واذكر
قال المفسرون لما هاجر لوط مع ابراهيم نزل ابراهيم أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة أو نحو ذلك من ابراهيم فبعثه الله نبيا
فأما الحكم ففيه قولان
أحدهما أنه النبوة قاله ابن عباس
والثاني الفهم والعقل قاله مقاتل وقد ذكرنا فيه أقوالا في سورة

(٣٦٩/٥)

يوسف ٢٢ وأما القرية هاهنا فهي سدوم والمراد أهلها والخبائث أفعالهم المنكرة فمنها اتيان الذكور وقطع السبيل الى غير ذلك مما قد ذكره الله عز و جل عنهم في مواضع هود ٧٨ والحجر ٦٩
قوله تعالى وأدخلناه في رحمتنا أي بانجائه من بينهم
ونوحا إذا نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين

قوله تعالى ونوحا المعنى واذكر نوحا وكذلك ما يأتيك من ذكر الأنبياء إذ نادى أي دعا على قومه من قبل أي من قبل ابراهيم ولوط فأما الكرب العظيم فقال ابن عباس هو الغرق وتكذيب قومه
قوله تعالى ونصرناه من القوم أي منعناه منهم أن يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على
وداود وسليمن إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمن الريح عاصفة تجري بأمره الى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين
قوله تعالى وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث وفيه قولان

(٣٧٠/٥)

أحدهما أنه كان عنبا قاله ابن مسعود ومسروق وشريح
والثاني كان زرعا قاله قتادة
إذ نفشت فيه غنم القوم قال ابن قتيبة أي رعت ليلا يقال نفشت الغنم بالليل وهي إبل نفش ونفاش نفاش والواحد نافش وسرحت وسربت بالنهار قال قتادة النفش بالليل والهمل بالنهار وقال ابن السكيت النفش أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع
الإشارة الى القصة
ذكر اهل التفسير أن رجلين كانا على عهد داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والأخر صاحب غنم فتفلتت الغنم فوقعت في الحرث فلم تبق منه شيئا فاختصما الى داود فقال لصاحب الحرث لك رقاب الغنم فقال سليمان أو غير ذلك قال ما هو قال ينطلق اصحاب الحرث بالغنم فيصيبون من ألبانها ومنافعها ويقبل أصحاب الغنم على الكرم حتى إذا كان كليلة نفشت فيه الغنم دفع هؤلاء الى هؤلاء غنمهم ودفع هؤلاء الى هؤلاء كرمهم فقال داود قد اصبت القضاء ثم حكم بذلك فذلك قوله وكنا لحكمهم شاهدين وفي المشار اليهم قولان
أحدهما داود وسليمان فذكرهما بلفظ الجمع لأن الاثنين جمع هذا قول الفراء
والثاني أنهم داود وسليمان والخصوم قاله ابو سليمان الدمشقي وقر ابن مسعود وابن عباس وابن أبي عبلة وكنا لحكمهما على التثنية ومعنى

(٣٧١/٥)

شاهدين أنه لم يغب عنا من أمرهم شيء ففهمناها سليمان يعني القضية والحكومة وإنما كنى عنها لأنه قد سبق ما يدل عليها من ذكر الحكم وكلا منهما آتينا حكما وقد سبق بيانه قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت أن القضاة قد هلكوا ولكنه أثنى على سليمان لصوابه وعذر دواد باجتهاده

فصل

قال ابو سليمان الدمشقي كان قضاء داود وسليمان جميعا من طريق الاجتهاد ولم يكن نصا إذ لو كان نصا ما اخلتفا قال القاضي ابو يعلى وقد اختلف الناس في الغنم إذا نفشت ليلا في زرع رجل فأفسدته فمذهب أصحابنا أن عليه الضمان وهو قول الشافعي وقال أبو حنيفة وأصحابه لا ضمان عليه ليلا ونهارا إلا أن يكون صاحبها هو الذي أرسلها فظاهر الآية يدل على قول أصحابنا لأن داود حكم بالضمان وشرع من قبلنا شرع لنا مالم يثبت نسخه فان قيل فقد ثبت نسخ هذا الحكم لأن داود حكم بدفع الغنم الى صاحب الحرث وحكم سليمان له بأولادها وأصوافها ولا خلاف أنه لا يجب على من نفشت غنمه في حرث رجل شيء من ذلك قيل الآية تضمنت أحكاما منها وجوب الضمان وكيفيته فالنسخ حصل على كيفيته ولم يحصل على أصله فوجب التعلق به وقد روى حرام بن محيصه عن ابيه ان ناقة للبراء دخلت حائط رجل فأفسدت فقضى رسول الله صلى الله عليه و سلم على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل

قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن تقديره الكلام وسخرنا الجبال يسبحن مع داود قال ابو هريرة كان إذا سبح أجابته الجبال والطير بالتسبيح والذكر وقال غيره كان إذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتى يشتاق هو فيسبح

قوله تعالى وكنا فاعلين أي لذلك قال الزجاج المعنى وكنا نقدر على ما نريده

قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم في المراد باللبوس قولان

أحدهما الدروع وكانت قبل ذلك صفائح وكان داود أول من صنع هذه الحلق وسرد قاله قتادة

والثاني أن اللبوس السلاح كله من درع الى رمح قاله ابو عبيدة وقرأ ابو المتوكل وابن السميفع لبوس بضم اللام

قوله تعالى ليحصنكم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي ليحصنكم بالياء وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم لتحصنكم بالتاء وروى أبو بكر عن عاصم لنحصنكم بالنون خفيفة وقرأ ابو الدرداء وأبو عمران الجوني وابو حيوة لتحصنكم بتاء مرفوعة وفتح الهاء وتشديد الصاد وقرأ ابن مسعود وابو الجوزاء وحميد ابن قيس لتحصنكم بتاء مفتوحة مع فتح الحاء وتشديد الصاد مع ضمها وقرأ ابو رزين

العقيلي وابو المتوكل ومجاهد لنحصنكم بنون مرفوعة وفتح الحاء وكسر الصاد مع تشديدها وقرأ معاذ القارئ وعكرمة وابن يعمر وعاصم الجحدري وابن السميفع ليحصنكم بياء مرفوعة وسكون الحاء وكسر الصاد مشددة النون

(٣٧٣/٥)

فمن قرأ بالياء ففيه أربعة أوجه قال ابو علي الفارسي أن يكون الفاعل اسم الله لتقدم معناه ويجوز أن يكون اللباس لأن اللبوس بمعنى اللباس من حيث كان ضربا منه ويجوز أن يكون داود ويجوز أن يكون التعليم وقد دل عليه علمناه

ومن قرأ بالتاء حمله على المعنى لأنه الدرع

ومن قرأ بالنون فلتقدم قوله وعلمناه

ومعنى لتحصنكم لتحرزكم وتمنعكم من بأسكم يعني الحرب

قوله تعالى ولسليمان الريح وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي وأبو عمران الجوني وأبو حيوة الحضرمي الرياح بألف مع رفع الحاء وقرأ الحسن وابو المتوكل وابو الجوزاء بالألف ونصب الحاء والمعنى وسخرنا لسليمان الريح عاصفة أي شديدة الهبوب تجري بأمره يعني بأمر سليمان الى الأرض التي باركنا فيها وهي أرض الشام وقد مر بيان بركتها في هذه السورة الأنبياء ٧٢ والمعنى أنها كانت تسير به الى حيث شاء ثم تعود به الى منزله بالشام

قوله تعالى وكنا بكل شيء عالمين علمنا أن ما نعطي سليمان يدعوه الى الخضوع لربه

قوله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له قال ابو عبيدة من تقع على الواحد والاثنين والجمع من المذكر والمؤنث قال المفسرون كانوا يغوصون في البحر فيستخرجون الجواهر ويعملون عملا دون ذلك قال الزجاج معناه سوى ذلك وكنا لهم حافظين أن يفسدوا ما عملوا وقال غيره أن يخرجوا عن أمره

وايوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين

(٣٧٤/٥)

فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين

قوله تعالى وأيوب إذ نادى ربه أي دعا ربه أني وقرأ أبو عمران الجوني إني بكسر الهمزة مسني الضر وقرأ حمزة مسني بتسكين الياء أي أصابني الجهد وأنت أرحم الراحمن أي أكثرهم رحمة وهذا تعريض

منه بسؤال الرحمة إذ أثنى عليه بأنه الأرحم وسكت

الإشارة الى قصته

ذكر أهل التفسير أن أيوب عليه السلام كان أغنى أهل زماهنه وكان كير الإحسان فقال ابليس يا رب سلطني على ماله وولده وكان له ثلاثة عشر ولدا فان فعلت رأيته كيف يطيعني ويعصيك فقيل له قد سلطتك على ماله وولده فرجع ابليس فجمع شياطينه ومردته فبعث بعضهم الى دوابه ورعاته فاحتملوها حتى قذفوها في البحر وجاء ابليس في صورة قيمه فقال يا أيوب الا أراك تصلي وقد أقبلت ريح عاصف فاحتملت دوابك ورعاتها حتى قذفتها في البحر فلم يرد عليه شيئا حتى فرغ من صلاته ثم قال الحمد لله الذي رزقني ثم قبله مني فانصرف خائبا ثم أرسل بعض الشياطين الى جنانه وزروعه فأحرقوها وجاء فأخبره فقال مثل ذلك فأرسل بعض الشياطين فزلزلوا منازل أيوب وفيها ولده وخدمه وفأهلكوهم وجاء فأخبره فحمد الله وقال لإبليس وهو يظنه قيمه في ماله لو كان فيك خير لقبضك معهم فانصرف خائبا

(٣٧٥/٥)

فقيل له كيف رأيت عبدي أيوب قال يا رب سلطني على جسده فسوف ترى قيل له قد سلطتك على جسده فجاء فنفخ في إبهام قدميه فاشتعل فيه مثل النار ولم يكن في زمانه أكثر بكاء منه خوفا من الله تعالى فلما نزل به البلاء لم يبك مخافة الجزع وبقي لسانه للذكر وقلبه للمعرفة والشكر وكان يرى أمعاءه وعروقه وعظامه وكان مرضه أنه خرج في جميع جسده ثآليل كأليات الغنم ووقعت به حكة لا يملكها فحك بأظفاره حتى سقطت ثم بالمسوح ثم بالحجارة فأنتن جسمه وتقطع وأخرجه أهل القرية فجعلوا له عريشا على كناسه ورفضه الخلق سوى زوجته واسمها رحمة بنت إفراييم بن يوسف ين يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وروى أبو بكر القرشي عن الليث ابن سعد قال كان ملك يظلم الناس فكلمه في ذلك جماعة من الأنبياء وسكت عنه أيوب لأجل خيل كانت له في سلطانه فأوحى الله اليه تركت كلامه من أجل خيلك لأطيلن بلاءك

واختلفوا في مدة لبثه في البلاء على أربعة أقوال

أحدها ثماني عشرة سنة رواه انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه و سلم

والثاني سبع سنين قاله ابن عباس وكعب ويحيى بن أبي كثير

(٣٧٦/٥)

والثالث سبع سنين وأشهر قاله الحسن

والرابع ثلاث سنين قاله وهب

وفي سبب سؤاله العافية ستة اقوال

أحدها أنه اشتهى إداما فلم تصبه امرأته حتى باعت قرنا من شعرها فلما علم ذلك قال مسني الضر رواه الضحاك عن ابن عباس

والثاني أن الله تعالى أنساه الدعاء مع كثرة ذكره الله فلما انتهى أجل البلاء يسر له الدعاء فاستجاب له رواه العوفي عن ابن عباس

والثالث أن نفرا من بني اسرائيل مروا به فقال بعضهم لبعض ما أصابه هذا الا بذنب عظيم فعند ذلك قال مسني الضر قاله نوف البكالي وقال عبد الله بن عبيد بن عمير كان له أخوان فأتياه يوما فوجدا ريحا فقالا لو كان الله علم منه خيرا ما بلغ به كل هذا فما سمع شيئا أشد عليه من ذلك فقال اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة شبعان وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق وهما يسمعان ثم قال اللهم إن كنت تعلم أني لم ألبس قميصا وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق وهما يسمعان فخر ساجدا ثم قال اللهم لا ارفع رأسي حتى تكشف ما بي فكشف الله عز و جل ما به

والرابع أن ابليس جاء الى زوجته بسخلة فقال ليذبح أيوب هذه لي وقد برأ فجاءت فأخبرته فقال إن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة أمرتني أن أذبح لغير الله ثم طردها عنه فذهبت فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال مسني الضر قاله الحسن

والخامس ان الله تعالى أوحى اليه وهو في عنفوان شبابه إني مبتليك

قال يا رب وأين يكون قلبي قال عندي فصب عليه من البلاء ما سمعتم حتى إذا بلغ البلاء منتهاه أوحى اليه أني معافيك قال يا رب وأين يكون قلبي قال عندك قال مسني الضر قاله ابراهيم بن شيبان القرميسي فيما حدثنا به عنه

والسادس أن الوحي انقطع عنه اربعين يوما فخاف هجران ربه فقال مسني الضر ذكره الماوردي

فان قيل اين الصبر وهذا لفظ الشكوى

فالجواب أن الشكوى الى الله لا تنافي الصبر وإنما المذموم الشكوى الى الخلق ألم تسمع قول يعقوب إنما أشكو بثي وحزني الى الله يوسف ٨٦ قال سفيان بن عيينه وكذلك من شكا الى الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله لم يكن ذلك جزعا ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه و سلم لجبريل في مرضه أجدني مغموما وأجدني مكروبا وقوله بل أنا وارأساه

قوله تعالى وآتيناه أهله يعني أولاده ومثلهم معهم فيه أربعة أقوال
أحدها أن الله تعالى أحيا له أهله بأعيانهم وآتاه مثلهم معهم في الدنيا قاله ابن مسعود والحسن وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس كانت

(٣٧٨/٥)

امرأته ولدت له سبعة بنين وسبع بنات فنشروا له وولدت له امرأته سبعة بنين وسبع بنات
والثاني أنهم كانوا قد غيبوا عنه ولم يموتوا فآتاه إياهم في الدنيا ومثلهم معهم في الآخرة رواه هشام عن الحسن
والثالث آتاه الله اجور أهله في الآخرة وآتاه مثلهم في الدنيا قاله نوف ومجاهد
والرابع آتاه اهله ومثلهم معهم في الآخرة حكاه الزجاج
قوله تعالى رحمة من عندنا أي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا وذكرى أي عظة للعابدين قال محمد بن كعب من أصابه بلاء فليذكر ما أصاب أيوب فليقل إنه قد أصاب من هو خير مني
قوله تعالى وذا الكفل اختلفوا هل كان نبيا أم لا على قولين
أحدهما أنه لم يكن نبيا ولكنه كان عبدا صالحا قاله ابو موسى الأشعري ومجاهد ثم اختلف أرباب هذا القول في علة تسميته بذي الكفل على ثلاثة أقوال أحدها أن رجلا كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي فكفل بصلاته فسمي ذا الكفل قاله ابو موسى الأشعري والثاني أنه تكفل للنبي بقومه أن يكفيه أمرهم ويقيمه ويقضي بينهم بالعدل ففعل فسمي ذا الكفل قاله مجاهد والثالث أن ملكا قتل في يوم ثلاثمائة نبي وفر منه مائة نبي فكفلهم ذو الكفل يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا فسمي ذا الكفل قاله ابن السائب والقول الثاني أنه كان نبيا قاله الحسن وعطاء قال عطاء

(٣٧٩/٥)

أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء إني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل لك بأنه يصلي الليل لا يفتر ويصوم النهار لايفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك إليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل به فوفى فشكر الله له ذلك ونبأه وسمي ذا الكفل وقد ذكر الثعلبي حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في الكفل أنه كان رجلا لا ينزع عن ذنب وأنه خلا بامرأة ليفجر بها فبكت وقالت ما فعلت هذا قط فقام عنها تائبا ومات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله للكفل والحديث معروف وقد ذكرته في الحدائق فجعله الثعلبي أحد

الوجوه في بيان ذي الكفل وهذا غلط لأن ذلك اسمه الكفل والمذكور في القرآن يقال له ذو الكفل ولأن الكفل مات في ليلته التي تاب فيها فلم يمض عليه زمان طويل يعالج فيه الصبر عن الخطايا وإذا قلنا إنه نبي فإن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحال وذكرت هذا لشيخنا أبي الفضل بن ناصر رحمه الله تعالى فوافقني وقال ليس هذا بذاك

قوله تعالى كل من الصابرين أي على طاعة الله وترك معصيته وأدخلناهم في رحمتنا في هذه الرحمة ثلاثة أقوال

أحدها أنها الجنة قاله ابن عباس والثاني النبوة قاله مقاتل والثالث النعمة والموالاة حكاها أبو سليمان الدمشقي

وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت

من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين

قوله تعالى وذا النون يعني يونس بن متى والنون السمكة أضيف إليها لابتلاعها إياه

قوله تعالى إذ ذهب مغاضبا قال ابن قتيبة المغاضبة مفاعلة وأكثر المفاعلة من اثنين كالمناظرة والمجادلة والمخاصمة وربما تكون من واحد كقولك سافرت وشارفت الأمر وهي هاهنا من هذا الباب وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء وعاصم الجحدري وابن السميفع مغضبا باسكان الغين وفتح الضاد من غير ألف

واختلفوا في مغاضابته لمن كانت على قولين

أحدهما أنه غضب على قومه قاله أبن عباس والضحاك وفي غضبه عليهم ثلاثة أقوال أحدها أن الله تعالى أوحى إلى بني نبي يقال له شعيا أن ائت فلان الملك فقل له يبعث نبيا أمينا إلى بني إسرائيل وكان قد غزا بني إسرائيل ملك وسبا منهم الكثير فاراد النبي والملك أن يبعثا يونس إلى ذلك الملك ليكلمه حتى يرسلهم فقال يونس لشعيا هل أمرك اللهباخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فهاهنا غيري من الأنبياء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك ولقومه هذا مروي عن ابن عباس وقد زدناه شرخا في يونس ٩٨ والثاني أنه عانى من قومه أمرا صعبا من الأذى والتكذيب فخرج عنهم قبل أن يؤمنوا ضجرلا وما ظن أن هذا الفعل نوجب عليه ما جرى من العقوبة ذكره ابن الأنباري وقد روي عن وهب بن منبه قال لما حملت عليه أثقال النبوة ضاق بها ذرعا ولم يصبر

فقذفها من يده وخرج هاربا والثالث أنه لما أوعدهم العذاب فتابوا ورفع عنهم قيل له ارجع إليهم فقال كيف أرجع فيجدوني كاذبا فانصرف مغاضبا لقومه عاتبا على ربه وقد ذكرنا هذا في يونس ٩٨

والثاني أنه خرج مغاضبا لربه قاله الحسن وسعيد بن جبير والشعبي وعروة وقال أبو بكر النقاش المعنى مغاضبا من أجل ربه وإنما غضب لأجل تمردهم وعصيانهم وقال ابن قتيبة كان مغيظا عليهم لطول ما عاناه من تكذيبهم مشتهيا أن ينزل بهم فعاقبه الله على كراهيته العفو عن قومه

قوله تعالى فظن أن لن نقدر عليه وقرأ يعقوب يفدر بضم الياء وتشديد الدال وفتحها وقرأ سعيد بن جبير وأبو الجوزاء وابن أبي ليلى يقدر بياء مرفوعة مع سكون القاف وتخفيف الدال وفتحها وقرأ أبو عمران الجوني يقدر بياء مفتوحة وسكون القاف وكسر الدال خفيفة وقرأ الزهري وابن يعمر وحميد بن قيس نقدر بنون مرفوعة وفتح القاف وكسر الدال وتشديدها ثم فيه ثلاثة أقوال

أحدها أن لن نقضي عليه بالعقوبة رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقتادة والضحاك قال الفراء معنى الآية فظن أن لن نقدر عليه ما قدرنا من العقوبة والعرب تقول قدر بمعنى قدر قال أبو صخر ... ولا عائدا ذاك الزمان الذي مضى ... تباركت ما تقدر يكن ولك الشكر ...

أراد ما تقدر وهذا مذهب الزجاج

(٣٨٢/٥)

والثاني فظن أن لن نضيق عليه قاله عطاء قال ابن قتيبة يقال فلان مقدر عليه ومقتر عليه ومنه قوله تعالى فقدر عليه رزقه الفجر ١٦ أي ضيق عليه فيه قال النقاش والمعنى فظن أن لن يضيق عليه الخروج فكأنه ظن أن الله قد وسع له إن شاء أن يقيم وإن شاء أن يخرج ولم يؤذن له في الخروج

والثالث أن المعنى فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه رواه عوف عن الحسن وقال ابن زيد وسليمان التيمي المعنى أفظن أن لن نقدر عليه فعلى هذا الوجه يكون استفهاما قد حذفت ألفه وهذا الوجه يدل على أنه من القدرة ولا يتصور إلا مع تقدير الاستفهام ولا أعلم له وجها إلا أن يكون اسفهام إنكار تقديره ما ظن عجزنا فأين يهرب منا

قوله تعالى فنادى في الظلمات فيها ثلاثة أقوال

أحدها أنها ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل قاله سعيد ابن جبير وقتادة والأكثرون

والثاني أن حوتا جاء فابتلع الحوت الذي هو في بطنه فنادى في ظلمة حوت ثم في ظلمة حوت ثم في ظلمة البحر قاله سالم ابن أبي الجعد

والثالث أنها ظلمة الماء وظلمة معى السمكة وظلمة بطنها قاله ابن السائب وقد روى سعد بن أبي

وقاص عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه كلمة أخي يونس فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال الحسن وهذا اعتراف من يونس بذنبه وتوبة من خطيئته

(٣٨٣/٥)

قوله تعالى فاستجبنا له أي أجبناه ونجيناه من الغم أي من الظلمات وكذلك ننجي المؤمنين إذا دعونا وروى أبو بكر عن عاصم أنه قرأ نجي المؤمنين بنون واحدة مشددة الجيم قال الزجاج وهذا لحن لا وجه له وقال ابو علي الفارسي غلط الراوي عن عاصم ويدل على هذا اسكانه الياء من نجي ونصب المؤمنين ولو كان على ما لم يسم فاعله ما سكن الياء ولرفع المؤمنين

وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون

قوله تعالى لا تذرني فردا أي وحيدا بلا ولد وانت خير الوارثين أي أفضل من بقي حيا بعد ميت

قوله تعالى وأصلحنا له زوجه فيه ثلاثة أقوال

أحدها أصلحت للولد بعد أن كانت عقيما قاله ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة

والثاني أنه كان في لسانها طول وهو البذاء فأصلحت قاله عطاء وقال السدي كانت سليطة فكف عنه لسانها

(٣٨٤/٥)

والثالث أنه كان خلقها سيئا قاله محمد بن كعب

قوله تعالى إنهم كانوا يسارعون في الخيرات أي يبادرون في طاعة الله وفي المشار اليهم قولان

أحدهما زكريا وامرأته ويحيى والثاني جميع الأنبياء المذكورون في هذه السورة

قوله تعالى ويدعوننا وقرأ ابن مسعود وابن محيصن ويدعونا بنون واحدة

قوله تعالى رغبا ورهبا أي رغبا فيما عندنا ورهبا منا وقرأ الأعمش رغبا ورهبا بضم الراءين وجزم الغين والهاء وهما لغتان مثل النحل والنحل والسقم والسقم وكانوا لنا خاشعين أي متواضعين

قوله تعالى والتي أحصنت فرجها فيه قولان

أحدهما أنه مخرج الولد والمعنى منعته مما لا يحل وإنما وصفت بالعفاف لأنها قذفت بالزنا

والثاني أنه جيب درعها ومعنى الفرج في اللغة كل فرجة بين شيئين وموضع جيب درع المرأة مشقوق فهو يسمى فرجا وهذا أبلغ في الثناء عليها لأنها إذا منعت جيب درعها فهي لنفسها أمنع

قوله تعالى فنفخنا فيها أي أمرنا جبريل فنفخ في درعها فأجرينا فيها روح عيسى كما تجري الريح بالنفخ واضاف الروح اليه اضافة الملك للتشريف والتخصيص وجعلناها وابنها اية قال الزجاج لما كان شأنهما واحدا كانت

(٣٨٥/٥)

الآية فيهما آية واحدة وهي ولادة من غير فحل وقرأ ابن مسعود وابن ابي عبلة آيتين على التثنية

قوله تعالى إن هذه أمتكم قال ابن عباس المراد بالامة هاهنا الدين وفي المشار اليهم قولان

أحدهما أنهم أمة محمد صلى الله عليه و سلم وهو معنى قول مقاتل

والثاني أنهم الأنبياء عليهم السلام قاله ابو سليمان الدمشقي ثم ذكر أهل الكتاب فذمهم بالاختلاف فقال تعالى وتقطعوا أمرهم بينهم أي اختلفوا في الدين فمن يعمل من الصالحات أي شيئا من الفرائض وأعمال البر فلا كفران لسعيه أي لا نجحد ما عمل قاله ابن قتيبة والمعنى أنه يقبل منه ويثاب عليه وإنا له كاتبون ذلك نأمر الحفظة أن يكتبوه لنجازيه به

وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون

قوله تعالى وحرام على قرية قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم وحرام بألف وقرأ حمزة والكسائي

(٣٨٦/٥)

وابو بكر عن عاصم وحرم بكسر الحاء من غير ألف وهما لغتان يقال حرم وحرام وقرأ معاذ القارئ وأبو المتوكل وأبو عمران الجوني حرم بفتح الحاء وسكون الراء من غير الف والميم مرفوعة منونة وقرأ سعيد بن جبير وحرم بفتح الحاء وسكون الراء وفتح الميم من غير تنوين ولا ألف وقرأ ابو الجوزاء وعكرمة والضحاك وحرم بفتح الحاء والميم وكسر الراء من غير تنوين ولا ألف وقرأ سعيد بن المسيب وأبو مجلز

وابو رجاء وحرم بفتح الحاء وضم الراء ونصب الميم من غير ألف

وفي معنى قوله تعالى وحرام قولان

أحدهما واجب قاله ابن عباس وانشدوا في معناه ... فان حراما لا أرى الدهر باكيا ... على شجوه إلا بكيت على عمرو ...

أي واجب

والثاني أنه بمعنى العزم قاله سعيد بن جبير وقال عطاء حتم من الله والمراد بالقرية أهلها

ثم في معنى الآية أربعة أقوال

أحدها واجب على قرية أهلكناها أنهم لا يتوبون رواه عكرمة عن ابن عباس

والثاني واجب عليها أنها إذا أهلكت لا ترجع الى دنياها هذا قول قتادة وقد روي عن ابن عباس نحوه

(٣٨٧/٥)

والثالث أن لا زائدة والمعنى حرام على قرية مهلكة أنهم يرجعون الى الدنيا قاله ابن جريج وابن قتيبة في آخرين

والرابع أن الكلام متعلق بما قبله لأنه لما قال فلا كفران لسعيه أعلمنا أنه قد حرم قبول اعمال الكفار

فمعنى الآية وحرام على قرية أهلكناها أن يتقبل منهم عمل لأنهم لا يتوبون هذا قول الزجاج

فان قيل كيف يصح أن يحرم على الإنسان ما ليس من فعله ورجوعهم بعد الموت ليس اليهم

فالجواب ان المعنى منعوا من ذلك كما يمنع الانسان من الحرام وإن قدر عليه فكان التشبيه بالتحريم للحالتين من حيث المنع

قوله تعالى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وقرأ ابن عامر فتحت بالتشديد والمعنى فتح الردم عنهم وهم من كل حدب قال ابن قتيبة من كل نشر من الأرض وأكمة ينسلون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الإسراع كمشي الذئب إذا بادر والعسلان مثله وقال الزجاج

(٣٨٨/٥)

الحدب كل أكمه وينسلون يسرعون وقرأ أبو رجاء العطاردي وعاصم الجحدري ينسلون بضم السين

وفي قوله تعالى وهم قولان

أحدهما أنه إشارة الى يأجوج ومأجوج قاله الجمهور

والثاني الى جميع الناس فالمعنى وهم يحشرون الى الموقف قاله مجاهد والأول اصح

فان قيل أين جواب حتى ففيه قولان
أحدهما أنه قوله تعالى واقترب الوعد الحق والواو في قوله تعالى واقترب زائدة قاله الفراء ومثله حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها الزمر ٧٣ وقوله تعالى فلما أسلما للجبين وناديناه الصافات ١٠٤ , ١٠٣ المعنى ناديناه وقال عبد الله بن مسعود الساعة من الناس بعد يأجوج ومأجوج كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلا أو نهارا
والثاني أنه قول محذوف في قوله يا ويلنا فالمعنى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد قالو يا ويلنا قال الزجاج هذا قول البصريين فاما الوعد الحق فهو القيامة
قوله تعالى فاذا هي في هي أربعة اقوال
أحدها أن هي كناية عن الابصار والابصار تفسير لها كقول الشاعر ... لعمرو أبيها لا تقول ظعينتي ... ألا فرعني مالك بن أبي كعب ...
فذكر الظعينة وقد كنى عنها في لعمرو أبيها

(٣٨٩/٥)

والثاني أن هي ضمير فصل وعماد ويصح في موضعها هو ومثله قول إنه أنا الله النمل ٩ وقوله فانها لا تعمى الأبصار الحج ٤٦ وأنشدوا ... بثوب ودينار وشاه ودرهم ... فهل هو مرفوع بما هاهنا رأس ... ذكرهما الفراء
والثالث ان يكون تمام الكلام عند قوله هي على معنى فاذا هي بارزة واقفة يعني من قربها كأنها آتية حاضرة ثم ابتدأ فقال شاخصة ذكره الثعلبي
والرابع أن هي كناية عن القصة والمعنى القصة أن ابصارهم شاخصة في ذلك اليوم ذكره علي بن احمد النيسابوري قال المفسرون تشخص ابصار الكفار من هول يوم القيامة ويقولون يا ويلنا قد كنا أي في الدنيا في غفلة من هذا أي عن هذا بل كنا ظالمين أنفسنا بكفرنا ومعاصينا هم خاطب أهل مكة فقال إنكم وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام حصب جهنم وقرأ علي بن ابي طالب وابو العالية وعمر بن عبد العزيز حطب بالطاء وقرأ ابن عباس وعائشة وابن السميفع حضب بالضاد المعجمة المفتوحة وقرأ عروة وعكرمة وابن يعمر وابن أبي عبلة حضب جهنم باسكان الضاد المعجمة وقرأ ابو المتوكل وأبو حيوة ومعاذ القارئ حضب بكسر الحاء مع تسكين الضاد المعجمة وقرأ ابو مجلز

(٣٩٠/٥)

وأبو رجاء وابن محيصن حصب بفتح الحاء وبصاد غير معجمة ساكنة قال الزجاج من قرأ حصب جهنم فمعناه كل ما يرمى به فيها ومن قرأ حطب فمعناه ما توقد به ومن قرأ بالضاد المعجمة فمعناه ما تهيج به النار وتذكى به قال ابن قتيبة الحصب ما ألقي فيها واصله من الحصباء وهو الحصى يقال حصبت فلانا إذا رميته حصبا بتسكين الصاد وما رميت به فهو حصب بفتح الصاد

قوله تعالى أنتم يعني العابدين والمعبودين لها واردون أي داخلون لو كان هؤلاء يعني الاصنام آلهة على الحقيقة ماوردوها فيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه اشارة إلى الاصنام والمعنى لو كانوا آلهة ما دخلوا النار

والثاني أنه اشارة الى عابديها فالمعنى لو كانت الأصنام آلهة منعت عابديها دخول النار

والثالث أنه إشارة الى الآلهة وعابديها بدليل قوله تعالى وكل فيها خالدون يعني العابد والمعبود

قوله تعالى لهم فيه زفير قد شرحنا معنى الزفير في هود ١٠٦ وفي علة كونهم لا يسمعون ثلاثة أقوال

أحدها أنه يوضع في مسامعهم مسامير من نار ثم يقذفون في توابيت من نار مقفلة عليهم رواه أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في حديث طويل وقال ابن مسعود إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار

ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحدهم ان في النار أحدا يعذب غيره

والثاني أن السماع أنس والله لا يحب أن يؤنسهم قاله عون بن عمارة

والثالث إنما لم يسمعوا لشدة غليان جهنم قاله ابو سليمان الدمشقي

إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقهم الملئكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين

قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى سبب نزولها أنه لما نزلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم شق ذلك على قريش وقالوا شتم آلهتنا فجاء ابن الزبعري فقال ما لكم قالوا شتم آلهتنا قال وما قال فاخبروه فقال ادعوه لي فلما دعي رسول الله صلى الله عليه و سلم قال يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله قال لا بل لكل من عبد من دون الله فقال ابن الزبعري

خصمت ورب هذه البنية ألست تزعم أن الملائكة عباد صالحون وأن عيسى عبد صالح وأن عزيرا عبد صالح

(٣٩٢/٥)

فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة وهذه النصارى تعبد عيسى وهذه اليهود تعبد عزيرا فضج أهل مكة فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس وقال الحسين ابن الفضل إنما أراد بقوله وما تعبدون الأصنام دون غيرها لأنه لو أراد الملائكة والناس لقال ومن وقيل إن بمعنى إلا فتقديره إلا الذين سبقت لهم منا الحسنى وهي قراءة ابن مسعود وأبي نهيك فانهما قرءا الا الذين وروي عن علي بن أبي طالب أنه قرأ هذه الآية فقال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن

وفي المراد بالحسنى قولان أحدهما الجنة قاله ابن عباس وعكرمة والثاني السعادة قاله ابن زيد

قوله تعالى اولئك عنها أي عن جهنم وقد تقدم ذكرها مبعدون و البعد طول المسافة والحسيس الصوت تسمعه من الشيء إذا مر قريبا منك قال ابن عباس لا يسمع أهل الجنة حسيس أهل النار إذا نزلوا منازلهم من الجنة

قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر وقرأ ابو رزين وقتادة

(٣٩٣/٥)

وابن أبي عبلة وابن محيصن وأبو جعفر الشيزري عن الكسائي لا يحزنهم بضم الياء وكسر الزاي

وفي الفزع الأكبر أربعة أقوال

أحدها أنه النفخة الآخرة رواه العوفي عن ابن عباس وبهذه النفخة يقوم الناس من قبورهم ويدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى وتتلقاهم الملائكة

والثاني أنه اطباق النار على أهلها رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال الضحاك

والثالث أنه ذبح الموت بين الجنة والنار وهو مروي عن ابن عباس أيضا وبه قال ابن جريج

والرابع أنه حين يؤمر بالعبد الى النار قاله الحسن البصري

وفي مكان تلقي الملائكة لهم قولان

أحدهما إذا قامو من قبورهم قاله مقاتل والثاني على أبواب الجنة قاله ابن السائب

قوله تعالى هذا يومكم فيه اضمار يقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون فيه الجنة

قوله تعالى يوم نطوي السماء وقرأ ابو العالية وابن أبي عبلة وأبو جعفر تطوى بتاء مضمومة السماء بالرفع

وذلك بمحو رسومها وتكدير نجومها وتكوير شمسها كطي السجل للكتاب قرأ الجمهور السجل بكسر السين والجيم وتشديد اللام وقرأ الحسن وأبو المتوكل

(٣٩٤/٥)

وابو الجوزاء ومحبوب عن أبي عمرو السجل بكسر السين وإسكان الجيم خفيفة وقرأ ابو السماك كذلك إلا أنه فتح الجيم

قوله تعالى للكتاب قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر للكتاب وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم للكتب على الجمع

وفي السجل اربعة اقوال

أحدها أنه ملك قاله علي بن أبي طالب وابن عمر والسدي

والثاني أنه كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم رواه ابو الجوزاء عن ابن عباس

والثالث أن السجل بمعنى الرجل روى ابو الجوزاء عن ابن عباس قال السجل هو الرجل قال شيخنا أبو منصور اللغوي وقد قيل السجل بلغة الحبشة الرجل

والرابع أنه الصحيفة رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال مجاهد والفراء وابن قتيبة وقرأت على شيخنا أبي منصور قال قال ابو بكر يعني ابن دريد السجل الكتاب والله أعلم ولا ألتفت الى قولهم إنه

(٣٩٥/٥)

فارسي معرب والمعنى كما يطوي السجل على ما فيه من كتاب واللام بمعنى على وقال بعض العلماء المراد بالكتاب المكتوب فلما كان المكتوب ينطوي بانطواء الصحيفة جعل السجل كأنه يطوي الكتاب ثم استأنف فقال تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده الخلق هاهنا مصدر وليس بمعنى المخلوق

وفي معنى الكلام اربعة أقوال

أحدها كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة روي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة غرلا كما خلقوا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده والى هذا المعنى ذهب مجاهد

والثاني أن المعنى إنا نهلك كل شيء كما كان أول مرة رواه العوفي عن ابن عباس

والثالث أن السماء تمطر أربعين يوما كمني الرجال فينبتون بالمطر في قبورهم كما ينبتون في بطون

امهاتهم رواه أبو صالح عن ابن عباس
والرابع أن المعنى قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الابتداء قاله الزجاج

(٣٩٦/٥)

قوله تعالى وعدا قال الزجاج هو منصوب على المصدر لأن قوله تعالى نعيده بمعنى وعدنا هذا وعدا إنا كنا فاعلين أي قادرين على فعل ما نشاء وقال غيره إنا كنا فاعلين ما وعدنا
قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر فيه اربعة أقوال
أحدها أن الزبور جميع الكتب المنزلة من السماء والذكر أم الكتاب الذي عند الله قاله سعيد بن جبير في رواية ومجاهد وابن زيد وهذا معنى قول ابن عباس في رواية ابن جبير فانه قال الزبور التوارة والإنجيل والقرآن والذكر الذي في السماء
والثاني أن الزبور الكتب والذكر التوراة رواه العوفي عن ابن عباس
والثالث أن الزبور القرآن والذكر التوراة والإنجيل قاله سعيد بن جبير في رواية
والرابع أن الزبور زبور داود والذكر ذكر موسة قاله الشعبي وفي الارض المذكورة هاهنا ثلاثة أقوال
أحدها أنه أرض الجنة رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال الاكثرون والثاني أرض الدنيا وهو منقول عن ابن عباس أيضا والثالث الارض المقدسة قاله ابن السائب
وفي قوله تعالى يرثها عبادي الصالحون ثلاثة أقوال
أحدها أنهم أمة محمد صلى الله عليه و سلم رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وفي رواية ترث أمه محمد أرض الدنيا بالفتوح
والثاني بنو اسرائيل قاله ابن السائب

(٣٩٧/٥)

والثالث أنه عام في كل صالح قاله بعض فقهاء المفسرين
قوله تعالى إن في هذا يعني القرآن لبلاغا أي لكفاية والمعنى أن من اتبع القرآن وعمل به كان القرآن بلاغه الى الجنة
وقوله تعالى لقوم عابدين قال كعب هم امة محمد صلى الله عليه و سلم الذين يصلون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان
قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال ابن عباس هذا عام للبر والفاجر فمن آمن به تمت له

الرحمة في الدنيا والآخرة ومن كفر به صرفت عنه العقوبة الى الموت والقيامة وقال ابن زيد هو رحمة لمن آمن به خاصة

قل إنما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري اقريب أم بعيد ما توعدون إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

(٣٩٨/٥)

قوله تعالى فهل انتم مسلمون قال ابن عباس فهل أنتم مخلصون له العبادة قال اهل المعاني هذا استفهام بمعنى الأمر

قوله تعالى فان تولوا أي اعرضوا ولم يؤمنوا فقل آذنتكم على سواء في معنى الكلام قولان

أحدهما نابذتكم وعاديتكم وأعلمتكم ذلك فصرت أنا وأنتم على سواء قد استوينا في العلم بذلك وهذا من الكلام المختصر قاله ابن قتيبة

والثاني أعلمتكم بالوحي الي لتستووا في الإيمان به قال الزجاج

قوله تعالى وإن أدري أي وما أدري اقريب أم بعيد ما توعدون بنزول العذاب بكم إنه يعلم الجهر وهو ما يقولونه للنبي صلى الله عليه و سلم متى هذا الوعد يس ٤٨ وما تكتمون إسرارهم ان العذاب لا يكون

قوله تعالى لعله فتنة لكم في هاء لعله قولان

أحدهما انها ترجع الى ما آذنهم به قاله الزجاج

والثاني الى العذاب فالمعنى لعل تأخير العذاب عنكم فتنة قاله ابن جرير وأبو سليمان الدمشقي ومعنى الفتنة هاهنا الاختبار ومتاع الى حين أي تستمعون الى انقضاء آجالكم قل رب وروى حفص عن عاصم قال رب احكم قرأ ابو جعفر رب احكم بضم الباء وروى زيد عن يعقوب ربي بفتح الياء أحكم بقطع الهمزة وفتح الكاف ورفع الميم ومعنى احكم بالحق أي بعذاب كفار قومي الذي نزوله حق فحكم عليهم بالقتل في يوم بدر وفيما بعده من الأيام والمعنى على هذا افصل بيني وبين المشركين

(٣٩٩/٥)

بما يظهر به الحق ومعنى على ما تصفون أي من كذبكم وباطلكم وقرا ابن عامر والمفضل عن عاصم يصفون بالياء

فان قيل فهل يجوز على الله أن يحكم بغير الحق
فالجواب أن المعنى احكم بحكمك الحق كأنه استعجل النصر عليهم

(٤٠٠/٥)

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير
فصل في نزولها
روى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية كلها غير آيتين نزلتا بالمدينة قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف والتي تليها الحج ١٣ , ١٢ وي رواية اخرى عن ابن عباس انها مدنية الا أربع آيات نزلت بمكة وهي قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الى آخر الاربع الحج ٥٧ – ٥٣ وقال عطاء بن يسار نزلت بمكة الا ثلاثة آيات منها نزلت بالمدينة

(٤٠١/٥)

هذان خصمان واللتان بعدها الحج ٢٢ , ٢٠ وقال ابو سليمان الدمشقي أولها مدني الى قوله تعالى وبشر المحسنين الحج ٣٨ وسائرها مكي وقال الثعلبي هي مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى هذان خصمان الى قوله تعالى الحميد الحج ٢٥ , ٢٠ وقال هبة الله بن سلامة هي من أعاجيب سور القرآن لأن فيها مكية ومدنيا وحضريا وسفريا وحربيا وسلميا وليليا ونهاريا وناسخا ومنسوخا
فأما المكي فمن رأس الثلاثين منها الى آخرها
واماالمدني فمن رأس خمس وعشرين الى رأس ثلاثين
وأما الليلي فمن أولها الى آخر خمس آيات
وأما النهاري فمن رأس خمس آيات الى رأس تسع
وأما السفري فمن رأس تسع الى اثنتي عشرة
وأما الحضري فالى رأس العشرين منها نسب الى المدينة لقرب مدته

قوله تعالى اتقوا ربكم أي احذروا عقابة إن زلزلة الساعة الزلزلة الحركة على الحالة الهائلة
وفي وقت هذه الزلزلة قولان
أحدهما أنها يوم القيامة بعد النشور روى عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قرأ إن زلزلة الساعة شيء عظيم وقال تدرون أي يوم ذلك فأنه يوم ينادي الرب عز و جل آدم عليه السلام ابعث بعثا الى النار فذكر الحديث وروى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم

(٤٠٢/٥)

يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم قم فابعث بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار فحينئذ يشيب المولود وتضع كل ذات حمل حملها وقرأ الآية وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها يعني أنها تقارب قيام الساعة وتكون معها وقال الحسن والسدي هذه الزلزلة تكون يوم القيامة
والثاني أنها تكون في الدنيا قبل القيامة وهي من اشراط الساعة قاله علقمة والشعبي وابن جريج وروى ابو العالية عن ابي بن كعب قال ست آيات قبل القيامة بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت ففزع الجن الى الإنس والإنس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش فماج بعضهم في بعض فقالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحور فاذا هي نار تأجج فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض الى الأرض السابعة والسماء الى السماء السابعة فينما هم كذلك إذ جاءتهم

(٤٠٣/٥)

الريح فماتوا وقال مقاتل هذه الزلزلة قبل النفخة الأولى وذلك أن مناديا ينادي من السماء يا أيها الناس أتى أمر الله فيفزعون فزعا شديدا فيشيب الصغير وتضع الحوامل
قوله تعالى شيء عظيم أي لا يوصف لعظمه
قوله تعالى يوم ترونها يعني الزلزلة تذهل كل مرضعة عما أرضعت فيه قولان
أحدهما تسلو عن ولدها وتتركه قاله ابن قتيبة
والثاني تشغل عنه قاله قطرب ومنه قول ابن رواحة
... ويذهل الخليل عن خليله ...
وقرأ ابو عمران الجوني وابن ابي عبلة تذهل برفع التاء وكسر الهاء كل بنصب اللام قال الأخفش وإنما

قال مرضعة لأنه أراد والله أعلم الفعل ولو اراد الصفة فيما نرى لقال مرضع قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وهذا يدل على أن الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا تكون حبلى

قوله تعالى وترى الناس سكارى وقرأ عكرمة والضحاك وابن يعمر وترى بضم التاء ومعنى سكارى من شدة الخوف وما هم بسكارى من الشراب والمعنى ترى الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمر بهم يضطربون اضطراب السكران من الشراب وقرأ حمزة والكسائي وخلف سكرى وما هم بسكرى وهي قراءة ابن مسعود قال الفراء

(٤٠٤/٥)

وهو وجه جيد لأنه بمنزله الهلكى والجرحى وقرا عكرمة والضحاك وابن السميفع سكارى وما هم بسكارى بفتح السين والراء وإثبات الألف ولكن عذاب الله شديد فيه دليل على أن سكرهم من خوف عذابه

قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله قال المفسرون نزلت في النضر بن الحارث وفيما جادل فيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه كان كلما نزل شيء من القرآن كذب به قاله ابن عباس

والثاني أنه زعم أن الملائكة بنات الله قاله مقاتل

والثالث أنه قال لا يقدر الله على إحياء الموتى ذكره ابو سليمان الدمشقي

قوله تعالى بغير علم أي إنما يقوله باغواء الشيطان لا بعلم ويتبع ما يسول له كل شيطان مريد وقد ذكرنا معنى المريد في سورة النساء ١١٧

قوله تعالى كتب عليه أنه من تولاه كتب بمعنى قضي والهاء في عليه وفي تولاه كناية عن الشيطان ومعنى الآية قضي على الشيطان أنه يضل من اتبعه وقرأ ابو عمران الجوني كتب بفتح الكاف أنه بفتح الهمزة فانه بكسر الهمزة وقرأ ابو مجلز وابو العالية وابن ابي ليلى والضحاك وابن يعمر إنه فانه بكسر الهمزة فيهما وقد بينا معنى السعير في سورة النساء ١٠

يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة

(٤٠٥/٥)

وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور

قوله تعالى يا أيها الناس يعني أهل مكة إن كنتم في ريب من البعث أي في شك من القيامة فانا خلقناكم من تراب يعني خلق آدم ثم من نطفة يعني خلق ولده والمعنى إن شككتم في بعثكم فتدبروا أمر خلقكم وابتدائكم فانكم لا تجدون في القدرة فرقا بين الابتداء والاعادة فأما النطفة فهي المني والعلقة دم عبيط جامد وقيل سميت علقة لرطوبتها وتعلقها بما تمر به فاذا جفت فليست علقة والمضغة لحمة صغير قال ابن قتيبة وسميت بذلك لأنه بقدر ما يمضغ كما قيل غرفة لقدر ما يغرف

قوله تعالى مخلقة وغير مخلقة فيه خمسة اقوال

أحدها أن المخلقة ما خلق سويا وغير المخلقة ما ألقته الأرحام من النطف وهو دم قبل أن يكون خلقا قاله ابن مسعود

والثاني أن المخلقة ما أكمل خلقه بنفخ الروح فيه وهو الذي يولد

(٤٠٦/٥)

حيا لتمام وغير المخلقة ما سقط غير حي لم يكمل خلقه بنفح الروح فيه هذا معنى قول ابن عباس

والثالث أن المخلقة المصورة وغير المخلقة غير مصورة قاله الحسن

والرابع أن المخلقة وغير المخلقة السقط تارة يسقط نطفة وعلقة وتارة قد صور بعضه وتارة قد صور كله قاله السدي

والخامس أن المخلقة التامة وغير المخلقة السقط قاله الفراء وابن قتيبة

قوله تعالى لنبين لكم فيه أربعة أقوال

أحدها خلقناكم لنبين لكم ما تأتون وما تذرون

والثاني لنبين لكم في القرآن بدو خلقكم وتنقل احوالكم

والثالث لنبين لكم كمال حكمتنا وقدرتنا في تقليب أحوال خلقكم

والرابع لنبين لكم أن البعث حق

وقرأ أبو عمران الجوني وابن أبي عبلة ليبين لكم بالياء

قوله تعالى ونقر في الأرحام وقرأ ابن مسعود وابو رجاء ويقر بباء مرفوعة وفتح القاف ورفع الراء وقرأ ابو

الجوزاء وابو اسحاق السبيعي ويقر بياء مرفوعه وبكسر القاف ونصب الراء والذي يقر في الأرحام هو الذي لا يكون سقطا الى اجل مسمى وهو أجل الولادة هم نخرجكم طفلا

(٤٠٧/٥)

قال ابو عبيدة هو في موضع اطفال والعرب قد تضع لفظ الواحد في معنى الجميع قال الله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير التحريم ٤ أي ظهراء وأنشد ... فقلنا أسلموا إنا أخوكم ... فقد برئت من الإحن الصدور ...

وأنشد أيضا ... في حلقكم عظم وقد شجينا ...

وقال غيره إنما قال طفلا فوحد لأن الميم في قوله تعالى نخرجكم قد دلت على الجميع فلم يحتج الى ان يقول اطفالا

قوله تعالى ثم لتبلغوا فيه اضمار تقديره ثم نعمركم لتبلغوا اشدكم وقد سبق معنى الأشد الأنعام ١٥٣ ومنكم من يتوفى من قبل بلوغ الأشد ومنكم من يرد الى ارذل العمر وقد شرحناه في النحل ٧٠ ثم إن الله تعالى دلهم على احيائه الموتى باحيائه الأرض فقال تعالى وترى الأرض هامدة قال ابن قتيبة أي ميتة يابسة ومثله همدت النار إذا طفئت فذهبت

قوله تعالى فاذا انزلنا عليها الماء يعني المطر اهتزت أي تحركت للنبات وذلك أنها ترتفع عن النبات إذا ظهر فهو معنى قوله تعالى وربت أي ارتفعت وزادت وقال المبرد أراد اهتز نباتها وربا فحذف المضاف قال الفراء وقرأ ابو جعفر المدني وربأت بهمزة مفتوحة بعد الباء فان كان ذهب الى الربيئة الذي يحرس القوم أي أنه يرتفع والا فهو غلط

(٤٠٨/٥)

قوله تعالى وانبتت من كل زوج بهيج قال ابن قتيبة من كل جنس حسن يبهج أي يسر وهو فعيل في معنى فاعل

قوله تعالى ذلك قال الزجاج المعنى الأمر ذلك كما وصف لكم والأجود أن يكون موضع ذلك رفعا ويجوز أن يكون نصبا على معنى فعل الله ذلك بأنه هو الحق

قوله تعالى وأن الساعة أي ولتعلموا أن الساعة آتية

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد

قوله تعالى ومن الناس من يجادل قد سبق بيانه وهذا مما نزل في النضر أيضا والهدى البيان والبرهان قوله تعالى ثاني عطفه العطف الجانب وعطفا الرجل جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان ويلويه عند إعراضه عن المشي قال الزجاج ثاني منصوب على الحال ومعناه التنوين معناه ثانيا عطفه وجاء في التفسير أن معناه لاويا عنقه وهذا يوصف به المتكبر والمعنى ومن الناس من يجادل بغير علم متكبرا

قوله تعالى ليضل أي ليصير أمره الى الضلال فكأنه وإن لم يقدر أنه يضل فإن أمره يصير الى ذلك له في الدنيا خزي وهو ما أصابه يوم بدر وذلك أنه قتل وما بعد هذا قد سبق تفسيره يونس ٧٠ الى قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف وفي سبب نزول هذه الآية قولان

(٤٠٩/٥)

أحدهما أن ناسا من العرب كان يأتون رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقولون نحن على دينك فان أصابوا معيشة ونتجت خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان اطمأنوا وقالوا هذا دين حق وإن لم يجر الأمر على ذلك قالوا هذا دين سوء فينقلبون عن دينهم فنزلت هذه الآية هذا معنى قول ابن عباس وبه قال الأكثرون

والثاني أن رجلا من اليهود أسلم فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالإسلام فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال أقلني فقال إن الإسلام لا يقال فقال إن لم اصب في ديني هذا خيرا أذهب بصري ومالي وولدي فقال يا يهودي إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب فنزلت هذه الآية رواه عطية عن ابي سعيد الخدري

ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعوا من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد

(٤١٠/٥)

قوله تعالى على حرف قال مجاهد وقتادة على شك قال ابو عبيدة كل شاك في شيء فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم وبيان هذا أن القائم على حرف الشيء غير متمكن منه فشبه به الشاك لأنه قلق في دينه على غير ثبات ويوضحه قوله تعالى فان اصابه خير أي رخاء وعافية اطمأن به على عبادة الله وإن اصابته

فتنة اختبار بجدب وقلة مال انقلب على وجهه أي رجع عن دينه الى الكفر والمعنى انصرف الى وجهه الذي توجه منه وهو الكفر خسر الدنيا حيث لم يظفر بما أراد منها وخسر الآخرة بارتداده عن الدين وقرأ ابو رزين العقيلي وابو مجلز ومجاهد وطلحة ابن مصرف وابن ابي عبلة وزيد عن يعقوب خاسر الدنيا بألف قبل السين وبنصب الراء والآخرة بخفض التاء يدعو هذا المرتد أي يعبد مالا يضره إن لم يعبده ولا ينفعه إن أطاعة ذلك الذي فعل هو الضلال البعيد عن الحق يدعو لمن ضره قال بعضهم اللام صلة والمعنى يدعو من ضره وحكى الزجاج عن البصريين والكوفيين أن اللام معناها التأخير والمعنى يدعو من لضره أقرب من نفعه قال وشرح هذا أن اللام لليمين والتوكيد فحقها أن تكون أول الكلام فقدمت لتجعل في حقها قال السدي ضره في الآخرة بعبادته إياه أقرب من نفعه

فان قيل فهل للنفع من عبادة الصنم وجه

(٤١١/٥)

فالجواب أنه لا نفع من قبله اصلا غير أنه جاء على لغة العرب وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون هذا بعيد

قوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير قال ابن قتيبة المولى الولي والعشير الصاحب والخليل

ومن كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله عل كل شيء شهيد

قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة قال مقاتل نزلت في نفر من أسد وغطفان قالوا إنا نخاف أن لا ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود والى نحو هذا ذهب ابو حمزة الثمالي والسدي وحكى ابو سليمان الدمشقي أن الإشارة بهذه الآية الى الذين انصرفوا عن الإسلام لأن أرزاقهم ما اتسعت وقد شرحنا القصة في قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف

وفي هاء ينصره قولان

أحدهما أنها ترجع على من والنصر بمعنى الرزق هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء وبه قال مجاهد قال ابو عبيدة وقف علينا سائل

(٤١٢/٥)

من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله أي من يعطيني أعطاه الله ويقال نصر المطر أرض كذا أي جادها وأحياها قال الراعي ... إذا ادبر الشهر الحرام فودعي ... بلاد تميم وانصري أرض عامر ...
والثاني أنها ترجع الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فالمعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمد رواه التميمي عن ابن عباس وبه قال عطاء وقتادة قال ابن قتيبة وهذه كناية عن غير مذكور وكان قوم من المسلمين لشدة حنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر واخرون من

(٤١٣/٥)

المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يتم أمره فقال هذه الآية للفريقين ثم في معنى هذا النصر قولان
أحدهما أنه الغلبة قاله ابو صالح عن ابن عابس والجمهور
والثاني أنه الرزق حكاه أبو سليمان الدمشقي
قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء في المراد بالسماء قولان
أحدهما سقف بيته والمعنى فليشدد حبلا في سقف بيته فليختنق به ثم ليقطع الحبل ليموت مختنقا هذا قول الأكثرين ومعنى الآية ليصور هذا الأمر في نفسه لا انه يفعله لأنه إذا اختنق لا يمكنه النظر والعلم
والثاني أنها السماء المعروفة والمعنى فليقطع الوحي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم إن قدر قاله ابن زيد
قوله تعالى ثم ليقطع قرأ ابو عمرو وابن عامر ثم ليقطع ثم ليقضوا الحج ٢٩ بكسر اللام زاد ابن عامر وليوفوا الحج ٢٩ وليطوفوا الحج ٢٩ بكسر اللام أيضا وكسر أبن كثير لام ثم ليقضوا فحسب وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بسكون هذه اللامات وكذلك في كل القرآن إذا كان قبلها واو أو فاء أو ثم قال الفراء من سكن فقد خفف وكل لام أمر وصلت بواو أو فاء فأكثر كلام العرب تسكينها وقد كسرها بعضهم قال ابو علي الأصل الكسر لأنك إذا ابتدأت قلت ليقم زيد
قوله تعال هل يذهبن كيده قال ابن قتيبة المعنى هل تذهبن حيلته غيظه والمعنى ليجهد جهده
قوله تعالى وكذلك أي ومثل ذلك الذي تقدم من آيات القرآن

(٤١٤/٥)

أنزلناه يعني القرآن وما بعد هذا ظاهر الى قوله تعالى إن الله يفصل بينهم أي يقضي يوم القيامة بينهم بادخال المؤمنين الجنة والآخرين النار إن الله عل كل شيء من أعمالهم شهيد
ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر

والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء
قوله تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب أي ألم تعلم وقد بينا في سورة النحل ٤٩ معنى السجود في حق من يعقل ومن لا يعقل
قوله تعالى وكثير من الناس يعني الموحدين ا لذين يسجدون لله
وفي قوله تعالى وكثير حق عليه العذاب قولان
أحدهما أنهم الكفار وهم يسجدون وسجودهم سجود ظلهم قاله مقاتل
والثاني أنهم لا يسجدون والمعنى وكثير من الناس أبى السجود فحق عليه العذاب لتركه السجود هذا قول الفراء
قوله تعالى ومن يهن الله أي من يشقه الله فما له من مسعد إن الله يفعل ما يشاء في خلقه من الكرامة والإهانة

(٤١٥/٥)

هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق
قوله تعالى هذان خصمان اختلفوا فيمن نزلت على اربعة أقوال
أحدها أنها نزلت في النفر الذين تبارزوا للقتال يوم بدر حمزة وعلي وعبيد بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة هذا قول أبي ذر
والثاني أنها نزلت في أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس وقتادة
والثالث أنها في جميع المؤمنين والكفار والى هذا المعنى ذهب الحسن وعطاء ومجاهد

(٤١٦/٥)

والرابع أنها نزلت في اختصام الجنة والنار فقالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته قاله عكرمة

فأما قوله تعالى هذان وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعكرمة وابن كثير هاذان بتشديد النون خصمان فمعناه جمعان وليسا برجلين ولهذا قال تعالى اختصموا ولم يقل اختصما على أنه قرأ ابن مسعود وابن أبي عبلة اختصما

وفي خصومتهم ثلاثة أقوال

أحدها في دين ربهم وهذا على القولين الأوليين والثاني في البعث قاله مجاهد والثالث أنه خصام مفاخرة على قول عكرمة

قوله تعالى قطعت لهم ثياب أي سويت وجعلت لباسا قال ابن عباس قمص من نار وقال سعيد بن جبير المراد بالنار هاهنا النحاس فأما الحميم فهو الماء الحار يصهر به قال الفراء يذاب به يقال صهرت الشحم بالنار قال المفسرون يذاب بالماء الحار ما في بطونهم من شحم أو معى حتى يخرج من أدبارهم وتنضج الجلود فتتسقاط من حره ولهم مقامع قال الضحاك هي المطارق وقال الحسن إن النار ترميهم بلهبها حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفا فاذا انتهوا الى اسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعة قال مقاتل إذا جاشت جهنم ألقتهم في أعلاها فيريدون الخروج فتتلقاهم خزنة جهنم بالمقامع فيضربونهم

(٤١٧/٥)

فيهوي أحدهم من تلك الضربة الى قعرها وقال غيره إذا دفعتهم النار ظنوا أنها ستقذفهم خارجا منها فتعيدهم الزبانية بمقامع الحديد

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد

قوله تعالى ولؤلؤ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ولؤلو بالخفض وقرأ نافع وابو بكر عن عاصم ولؤلؤا بالنصب قال أبو علي من خفض فالمعنى يحلون أساور من ذهب ومن لؤلؤ ومن نصب قال ويحلون لؤلؤا

قوله تعالى وهدوا أي أرشدوا في الدنيا الى الطيب من القول وفيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه لا إله إلا الله والحمد لله قاله ابن عباس وزاد ابن زيد والله أكبر

والثاني القرآن قاله السدي

والثالث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حكاه الماوردي

فأما صراط الحميد فقال ابن عباس هو طريق الإسلام

إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد

الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم
قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله أي يمنعون الناس من الدخول في الإسلام قال الزجاج ولفظ يصدون لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي لأن معنى الذين كفروا الذين هم كافرون فكأنه قال إن الكافرين والصادين فأما خبر إن فمحذوف فيكون المعنى إن الذين هذه صفتهم هلكوا
وفي المسجد الحرام قولان
أحدهما جميع الحرم روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال كانوا يرون الحرم كله مسجدا
والثاني نفس المسجد حكاه الماوردي
قوله تعالى الذي جعلناه للناس هذا وقف التمام
وفي معناه قولان
أحدهما جعلناه للناس كلهم لم نخص به بعضهم دون بعض هذا على أنه جميع الحرم
والثاني جعلناه قبلة لصلاتم ومنسكا لحجتهم وهذا على أنه نفس المسجد وقرأ إبراهيم النخعي وابن أبي عبلة وحفص عن عاصم سواء بالنصب فيتوجه الوقف على سواء وقد وقف بعبض القراء كذلك قال أبو علي الفارسي أبدل العاكف والبادي من الناس من حيث كانا كالشامل لهم فصار المعنى الذي جعلناه للعاكف والبادي سواء فأما العاكف فهو المقيم والبادي الذي يأتيه من غير أهله وهذا من قولهم بدا القوم إذا خرجوا

من الحضر الى الصحراء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو البادي بالياء غير أن ابن كثير وقف بياء وأبو عمرو بغير ياء وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي والمسيبي عن نافع بغير ياء في الحالتين
ثم في معنى الكلام قولان
أحدهما أن العاكف والبادي يستويان في سكنى مكة والنزول بها فليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخر غير أنه لا يخرج أحد من بيته هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والى نحو هذا ذهب أبو حنيفة وأحمد ومذهب هؤلاء أن كراء دور مكة وبيعها حرام هذا على أن المسجد الحرم كله
والثاني أنهما يستويان في تفضيله وحرمته وإقامة المناسك به هذا قول الحسن ومجاهد ومنهم من أجاز بيع دور مكة واليه يذهب الشافعي وعلى هذا يجوز أن يراد بالمسجد الحرم ويجوز أن يراد نفس المسجد

قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد الإلحاد في اللغة العدول عن القصد والباء زائدة كقوله تعالى تنبت بالدهن المؤمنون ٢٠ وأنشدوا ... بواد يمان ينبت الشث صدره ... وأسفله بالمرخ والشبهان ... المعنى وأسفله ينبت المرخ وقال آخر ... هن الحرائر لاربات أخمرة ... سود المحاجر لا يقرأن بالسور

(٤٢٠/٥)

وقال آخر ... نحن بنوا جعدة أرباب الفلج ... نضرب بالسيف ونرجو بالفرج ...
هذا قول جمهور اللغويين قال ابن قتيبة والباء قد تزاد في الكلام كهذه الآية وكقوله تعالى اقرأ باسم ربك العلق ١ وهزي اليك بجذع النخلة مريم ٢٤ بأيكم المفتون القلم ٦ تلقون اليهم بالمودة الممتحنة ١ عينا يشرب بها الانسان ٦ أي يشربها وقد تزاد من كقوله تعالى ما أريد منهم من رزق الذاريات ٥٧ وتزاد اللام كقوله تعالى الذين هم لربهم يرهبون الاعراف ١٥٤ والكاف كقوله تعالى ليس كمثله شيء الشورى ١١ وعن كقوله تعالى يخالفون عن أمره النور ٦٣ وإن كقوله تعالى فانه ملاقيكم الجمعة ٨ وإن الخفيفة كقوله تعالى فيما إن مكناكم فيه الاحقاف ٢٦ وما كقوله تعالى عما قليل ليصبحن نادمين المؤمنون ٤٠ والواو كقوله تعالى وتله للجبين وناديناه الصافات ١٠٤ , ١٠٣
وفي المراد بهذا الإلحاد خمسة أقوال
أحدها أنه الظلم رواه العوفي عن ابن عباس وقال مجاهد هو عمل سيئة فعلى هذا تدخل فيه جميع المعاصي وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال لا تحتكروا الطعام بمكة فان احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم

(٤٢١/٥)

والثاني أنه الشرك رواه ابن ابي طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وقتادة
والثالث الشرك والقتل قاله عطاء
والرابع أنه استحلال محظورات الإحرام وهذا المعنى محكي عن عطاء أيضا
والخامس استحلال الحرام تعمدا قاله ابن جريج
فان قيل هل يؤاخذ الإنسان إن أراد الظلم بمكة ولم يفعله
فالجواب من وجهين
أحدهما أنه إذا هم بذلك في الحرم خاصة عوقب هذا مذهب ابن مسعود فانه قال لو أن رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو أن رجلا هم بقتل مؤمن عند البيت وهو ب عدن أبين أذاقه الله

في الدنيا من عذاب أليم وقال الضحاك إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى فتكتب عليه ولم يعملها وقال مجاهد تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وسئل الإمام أحمد هل تكتب السيئة أكثر من واحدة فقال لا إلا بمكة لتعظيم البلد وأحمد على هذا يرى فضيلة المجاورة بها وقد جاور جابر بن عبد الله وكان ابن عمر يقيم بها

والثاني أن معنى ومن يرد من يعمل قال ابو سليمان الدمشقي هذا قول سائر من حفظنا عنه

وإذا بوأنا لإبرهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام

(٤٢٢/٥)

معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق

قوله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم قال ابن عباس جعلنا وقال مقاتل دللناه عليه وقال ثعلب وإنما أدخل اللام على أن بوأنا في معنى جعلنا فيكون بمعنى ردف لكم النمل ٧٢ أي ردفكم وقد شرحنا كيفية بناء البيت في البقرة ١٢٩

قوله تعالى أن لا تشرك بي شيئا المعنى وأوحينا اليه ذلك وطهر بيتي حرك هذه الياء نافع وحفص عن عاصم وقد شرحنا الآية في البقرة ١٢٥

وفي المراد ب القائمين قولان أحدهما القائمون في الصلاة قاله عطاء والجمهور والثاني المقيمون بمكة حكي عن قتادة

قوله تعالى وأذن في الناس بالحج قال المفسرون لما فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج فقال ابراهيم يا رب وما يبلغ صوتي وقال أذن وعلي البلاغ فعلا على جبل أبي قبيس وقال يا أيها الناس ان ربكم قد بنى بيتا فحجوه فأسمع من في اصلاب الرجال وأرحام النساء ممن سبق في علم الله أن يحج فأجابوه لبيك اللهم لبيك والأذان بمعنى النداء والإعلام والمأمور بهذا الأذان إبراهيم في قول الجمهور

(٤٢٣/٥)

إلا ماروي عن الحسن أنه قال المأمور به محمد صلى الله عليه و سلم والناس هاهنا اسم يعم جميع بني آدم عند الجمهور إلا ما روى العوفي عن ابن عباس انه قال عنى بالناس أهل القبلة

واعلم أن من أتى البيت الذي دعا اليه ابراهيم فكأنه قد أتى ابراهيم لأنه أجاب نداءه وواحد الرجال هاهنا راجل مثل صاحب وصحاب والمعنى يأتوك مشاة وقد روي ان ابراهيم واسماعيل حجا ماشيين وحج الحسن بن علي خمسا وعشرين حجة ماشيا من المدينة الى مكة والنجائب تقاد معه وحج الإمام أحمد ماشيا مرتين أو ثلاثا

قوله تعالى وعلى كل ضامر أي ركبانا على ضمر من طول السفر قال الفراء ويأتين فعل للنوق وقال الزجاج يأتين على معنى الإبل وقرأ ابن مسعود وابن ابي عبلة يأتون بالواو

قوله تعالى من كل فج عميق أي طريق بعيد وقد ذكرنا تفسير الفج عند قوله تعالى وجعلنا فيها فجاجا الانبياء ٣١

قوله تعالى ليشهدوا أي ليحضروا منافع لهم وفيها ثلاثة أقوال

أحدها التجارة قاله ابن عباس والسدي

والثاني منافع الآخرة قاله سعيد بن المسيب والزجاج في أخرين

(٤٢٤/٥)

والثالث منافع الدارين جميعا قاله مجاهد وهو أصح لأنه لا يكون القصد للتجارة خاصة وإنما الأصل قصد الحج والتجارة تبع

وفي الأيام المعلومات ستة أقوال

أحدها أنها أيام العشر رواه مجاهد عن ابن عمر وسعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال الحسن وعطاء وعكرمة ومجاهد وقتادة والشافعي

والثاني تسعة ايام من العشر قاله ابو موسى الأشعري

والثالث يوم الأضحى وثلاثة أيام بعده رواه نافع عن ابن عمر ومقسم عن ابن عباس

والرابع أنها أيام التشريق رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال عطاء الخراساني والنخعي والضحاك

والخامس أنها خمسة ايام أولها يوم التروية رواه ابو صالح عن ابن عباس

والسادس ثلاثة أيام أولها يوم عرفة قاله مالك بن أنس وقيل إنما قال معلومات ليحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها قال الزجاج والذكر هاهنا يدل على التسمية على ما ينحر لقوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الأنعام قال القاضي أبو يعلى ويحتمل أن يكون الذكر المذكور هاهنا هو

الذكر على الهدايا الواجبة كالدم الواجب لأجل التمتع والقران ويحتمل أن يكون الذكر المفعول عند رمي الجمار وتكبير التشريق لأن الآية عامة في ذلك

(٤٢٥/٥)

قوله تعالى فكلوا منها يعني الأنعام التي تنحر وهذا أمر إباحة وكان أهل الجاهلية لا يستحلون أكل ذبائحهم فأعلم الله عز و جل أن ذلك جائز غير أن هذا إنما يكون في الهدي المتطوع به فأما دم التمتع والقران فعندنا أنه يجوز أن يأكل منه وقال الشافعي لا يجوز وقد روى عطاء عن ابن عباس انه قال من كل الهدي يؤكل إلا ما كان من فداء أو جزاء أو نذر فأما البائس فهو ذو البؤس وهو شدة الفقر

قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم فيه اربعة أقوال

أحدها حلق الرأس وأخذ الشارب ونتف الإبط وحلق العانة وقص الأظفار والأخذ من العارضين ورمي الجمار والوقوف بعرفة رواه عطاء عن ابن عباس

والثاني مناسك الحج رواه عكرمة عن ابن عباس وهو قول ابن عمر

والثالث حلق الرأس قاله مجاهد

(٤٢٦/٥)

والرابع الشعر والظفر قاله عكرمة

والقول الأول أصح لأن التفث الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار والشعث وقضاؤه نقضه وإذهابه والحاج مغبر شعث لم يدهن ولم يستحد فاذا قضى نسكه وخرج من احرامه بالحلق والقلم وقص الأظفار ولبس الثياب ونحو ذلك فهذا قضاء تفثه قال الزجاج وأهل اللغة لا يعرفون التفث الا من التفسير وكأنه الخروج من الإحرام الى الإحلال

قوله تعالى وليوفوا نذورهم وروى أبو بكر عن عاصم وليوفوا بتسكين اللام وتشديد الفاء قال ابن عباس هو نحر ما نذروا من البدن وقال غيره ما نذروا من أعمال البر في أيام الحج فان الإنسان ربما نذر أن يتصدق إن رزقه الله رؤية الكعبة وقد يكون عليه نذور مطلقة فالأفضل أن يؤديها بمكة

قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق هذا هو الطواف الواجب لأنه أمر به بعد الذبح والذبح إنما يكون في يوم النحر فدل على أنه الطواف المفروض

وفي تسمية البيت عتيقا أربعة اقوال

أحدها لأن الله تعالى أعتقه من الجبابرة روى عبد الله بن الزبير عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إنما سمى الله البيت العتيق لأن الله اعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار قط وهذا قول مجاهد وقتادة

(٤٢٧/٥)

والثاني أن معنى العتيق القديم قاله الحسن وابن زيد
والثالث لأنه لم يملك قط قاله مجاهد في رواية وسفيان بن عيينة
والرابع لأنه أعتق من الغرق زمان الطوفان قاله ابن السائب وقد تكلمنا في هذه السورة في ليقضوا وليوفوا وليطوفوا
ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم أو تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق
قوله تعالى ذلك أي الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج ومن يعظم حرمات الله فيجتنب ما حرم الله عليه في الإحرام تعظيما لأمر الله قال الليث الحرمة مالا يحل انتهاكه وقال الزجاج الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه
قوله تعالى فهو يعني التعظيم خير له عند ربه في الآخرة وأحلت لكم الأنعام وقد سبق بيانها المائدة ١ إلا ما يتلى عليكم تحريمه يعني به ما ذكر في المائدة ٣ من المخنقة وغيرها وقيل وأحلت لكم الأنعام في حال احرامكم الا ما يتلى عليكم في الصيد فانه حرام
قوله تعالى فاجتنبوا الرجس أي دعوه جانبا قال الزجاج ومن هاهنا لتخليص جنس من أجناس المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن وقد شرحنا معنى الرجس في المائدة ٩٠

(٤٢٨/٥)

وفي المراد بقول الزور اربعة أقوال
أحدها شهادة الزور قاله ابن مسعود والثاني الكذب قاله مجاهد والثالث الشرك قاله أبو مالك والرابع أنه قول المشركين في الأنعام هذا حلال وهذا حرام قاله الزجاج قال وقوله تعالى حنفاء لله منصوب على الحال وتأويله مسلمين لا ينسبون الى دين غير الإسلام ثم ضرب الله مثلا للمشرك فقال ومن يشرك بالله الى قوله سحيق والسحيق البعيد

واختلفوا في قراءة فتخطفه فقرأ الجمهور فتخطفه بسكون الخاء من غير تشديد الطاء وقرأ نافع بتشديد الطاء وقرأ ابو المتوكل ومعاذ القارىء بفتح التاء والخاء وتشديد الطاء ونصب الفاء وقرأ ابو رزين وأبو الجوزاء وأبو عمران الجوني بكسر التاء والخاء وتشديد الطاء ورفع الفاء وقرأ الحسن والأعمش بفتح التاء وكسر الخاء وتشديد الطاء ورفع الفاء وكلهم فتح الطاء

وفي المراد بهذا المثل قولان

أحدهما أنه شبه المشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه بالذي يخر من السماء قال قتادة

والثاني أنه شبه حال المشرك في أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا دفع ضر يوم القيامة بحال الهاوي من السماء حكاه الثعلبي

قوله تعالى ذلك أي الأمر ذلك الذي ذكرناه ومن يعظم شعائر الله قد شرحنا معنى الشعائر في البقرة ١٥٨

وفي المراد بها هاهنا قولان

أحدهما أنها البدن وتعظيمها استحسانها واستسمانها لكم فيها منافع

(٤٢٩/٥)

قبل أن يسميها صاحبها هديا أو يشعرها ويوجبها فاذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء روى هذا المعنى مقسم عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقتادة والضحاك وقال عطاء ابن أبي رباح لكم في هذه الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم الى شيء من ذلك أو اضطررتم الى شرب البانها الى أجل مسمى وهو أن تنحر

والثاني أن الشعائر المناسك ومشاهد مكة والمعنى لكم فيها منافع بالتجارة الى أجل مسمى وهو الخروج من مكة رواه ابو رزين عن ابن عباس وقيل لكم فيها منافع من الأجر والثواب في قضاء المناسك الى اجل مسمى وهو انقضاء ايام الحج

قوله تعالى فانها يعني الأفعال المذكورة من اجتناب الرجس وقول الزور وتعظيم الشعائر وقال الفراء فانه يعني الفعلة من تقوى القلوب وإنما اضاف التقوى الى القلوب لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب

قوله تعالى ثم محلها أي حيث يحل نحرها الى البيت يعني عند البيت والمراد به الحرم كله لأنا نعلم أنها لا تذبح عند البيت ولا في المسجد هذا على القول الاول وعلى الثاني يكون المعنى ثم محل الناس من احرامهم الى البيت وهو أن يطوفوا به بعد قضاء المناسك

ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمه الأنعام فالهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلوة ومما

رزقناهم ينفقون
قوله تعالى ولكل أمة جعلنا منسكا قرأ حمزة والكسائي وبعض

(٤٣٠/٥)

أصحاب ابي عمرو بكسر السين وقرأ الباقون بفتحها فمن فتح أراد المصدر من نسك ينسك ومن كسر أراد مكان النسك كالمجلس والمطلع ومعنى الآية لكل جماعة مؤمنة من الامم السالفة جعلنا ذبح القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام وإنما خص بهيمة الأنعام لأنها المشروعة في القرب والمراد من الآية أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة وأن التسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمة
قوله تعالى فآلهكم إله واحد أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم سواه فله أسلموا أي انقادوا واخضعوا وقد ذكرنا معنى الإخبات في هود ٢٣ وكذلك الفاظ الآية التي تلي هذه
والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا والله على ما هداكم وبشر المحسنين
قوله تعالى والبدن وقرأ الحسن وابن يعمر برفع الدال قال الفراء يقال بدن وبدن والتخفيف أجود وأكثر لأن كل جمع كان واحده على فعلة ثم ضم أول جمعه خفف مثل أكمة وأكم وأجمة وأجم وخشبة وخشب وقال الزجاج البدن منصوبة بفعل مضمر يفسره الذي ظهر والمعنى وجعلنا البدن وإن شئت رفعتها على الاستئناف والنصب أحسن ويقال بدن وبدن وبدنة مثل قولك ثمر وثمر وثمرة وإنما سميت بدنة لأنها تبدن أي تسمن

(٤٣١/٥)

وللمفسرين في البدن قولان
أحدهما أنها الإبل والبقر قاله عطاء
والثاني الإبل خاصة حكاه الزجاج وقال الأول قول أكثر فقهاء الأمصار قال القاضي أبو يعلى البدنة اسم يختص الإبل في اللغة والبقرة تقوم مقامها في الحكم لأن النبي صلى الله عليه و سلم جعل البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة
قوله تعالى جعلناها لكم من شعائر الله أي جعلنا لكم فيها عبادة لله من سوقها الى البيت وتقليدها

وإشعارها ونحرها والإطعام منها لكم فيها خير وهو النفع في الدنيا والأجر في الآخرة فاذكروا اسم الله عليها أي على نحرها صواف وقرأ ابن مسعود وابن عباس وقتادة صوافن بالنون وقرأ الحسن وابو مجلز وابو العالية والضحاك وابن يعمر صوافي بالياء قال الزجاج صواف منصوبة على الحال ولكنها لا تنون لأنها لا تنصرف أي قد صفت قوائمها والمعنى اذكروا اسم الله عليها في حال نحرها والبعير ينحر قائما وهذا الآية تدل على ذلك ومن قرأ صوافن فالصافن التي تقوم على ثلاث والبعير إذا أرادوا نحره تعقل إحدى يديه فهو الصافن والجميع صوافن هذا ومن قرأ صوافي بالياء وبالفتح بغير تنوين فتفسيره خوالص أي خالصه لله لا تشركوا به في التسمية على نحرها أحدا فاذا وجبت جنوبها أي إذا سقطت الى الأرض يقال وجب الحائط وجبة

(٤٣٢/٥)

إذا سقط ووجب القلب وجيبا إذا تحرك من فزع واعلم أن نحرها قياما سنة والمراد بوقوعها على جنوبها موتها والأمر بالأكل منها أمر إباحة وهذا في الأضاحي

قوله تعالى وأطعموا القانع والمعتر وقرأ الحسن والمعتر بكسر الراء خفيفة وفيهما ستة أقوال

أحدها أن القانع الذي يسأل والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل رواه بكر بن عبد الله عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير واختاره الفراء

والثاني أن القانع المتعفف والمعتز السائل رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال قتادة والنخعي وعن الحسن كالقولين

والثالث ان القانع المستغني بما أعطيته وهو في بيته والمعتر الذي يتعرض لك ويلم بك ولا يسأل رواه العوفي عن ابن عباس وقال مجاهد القانع جارك الذي يقنع بما أعطيته والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل وهذا مذهب القرظي فعلى هذا يكون معنى القانع أن يقنع بما أعطي ومن قال هو المتعفف قال هو القانع بما عنده

والرابع القانع أهل مكة والمعتر الذي يعتر بهم من غير أهل مكة رواه خصيف عن مجاهد

والخامس القانع الجار وإن كان غنيا والمعتر الذي يعتر بك رواه ليث عن مجاهد

والسادس القانع المسكين السائل والمعتر الصديق الزائر قاله زيد ابن اسلم قال ابن قتيبة يقال قنع يقنع قنوعا إذا سأل وقنع يقنع

(٤٣٣/٥)

قناعة إذا رضي ويقال في المعتر اعترني واعتراني وعراني وقال الزجاج مذهب أهل اللغة أن القانع السائل يقال قنع يقنع قنوعا إذا سأل فهو قانع قال الشماخ ... لما المرء يصلحه فيغني ... مفاقره أعف من القنوع ...

أي من السؤال ويقال قنع قناعة إذا رضي فهو قنع والمعتر والمعتري واحد

قوله تعالى كذلك أي مثل ما وصفنا من نحرها قائمة سخرناها لكم نعمة منا عليكم لتتمكنوا من نحرها على الوجه المسنون لعلكم تشكرون أي لكي تشكروا

قوله تعالى لن ينال الله لحومها وقرأ عاصم الجحدري وابن يعمر وابن أبي عبلة ويعقوب لن تنال الله لحومها بالتاء ولكن تناله التقوى بالتاء أيضا

سبب نزولها أن المشركين كانوا إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء ينضحون بها نحو الكعبة فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فنزلت هذه الآية قاله ابو صالح عن ابن عباس قال المفسرون ومعنى الآية لن ترفع الى الله لحومها ولا دماؤها وإنما يرفع اليه التقوى وهو ما اريد به وجهه منكم فمن قرأ تناله التقوى بالتاء فانه أنث للفظ التقوى ومن قرأ يناله بالياء فلأن التقوى والتقى واحد والإشارة بهذه الآية الى أنه لا يقبل اللحوم والدماء إذا لم تكن صادرة عن تقوى الله وإنما يتقبل ما يتقونه به وهذا تنبيه على امتناع قبول الأعمال إذا عريت عن نية صحيحة

(٤٣٤/٥)

قوله تعالى كذلك سخرها قد سبق تفسيره الحج ٣٧ لتكبروا الله على ما هداكم أي على ما بين لكم وأرشدكم الى معالم دينه ومناسك حجه وذلك أن يقول الله أكبر على ما هدانا وبشر المحسنين قال ابن عباس يعني الموحدين

إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله للناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيه اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور

قوله تعالى إن الله يدافع عن الذين آمنوا قرأ ابن كثير وأبو عمرو يدفع ولولا دفع الله بغير ألف وهذا على مصدر دفع وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي إن الله يدافع بألف ولولا دفع بغير الف وهذا على مصدر دافع والمعنى يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم قال الزجاج والمعنى إذا فعلتم هذا وخالفتم الجاهلية فيما يفعلونه من نحرهم وإشراكهم فإن الله يدفع عن

حزبه وال خوان فعال من الخيانة والمعنى أن من ذكر غير اسم الله وتقرب الى الأصنام بذبيحته فهو خوان

قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا قرأ ابن كثير وابن عامر

(٤٣٥/٥)

وحمزة والكسائي أذن بفتح الألف وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر وحفص عن عاصم أذن بضمها

قوله تعالى للذين يقاتلون قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بكسر التاء وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بفتحها قال ابن عباس كان مشركوا أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم فأنزل الله هذه الآية وهي أول آية أنزلت في القتال وقال مجاهد هم ناس خرجوا من مكة مهاجرين فأدركهم كفار قريش فأذن لهم في قتالهم قال الزجاج معنى الآية أذن للذين يقاتلون أن يقاتلوا بأنهم ظلموا أي بسبب ما ظلموا ثم وعدهم النصر بقوله وإن الله على نصرهم لقدير ولا يجوز أن تقرأ بفتح إن هذه من غير خلاف بين اهل اللغة لأن إن إذا كانت معها اللام لم تفتح أبدا وقوله إلا أن يقولوا ربنا الله معناه أخرجوا لتوحيدهم

قوله تعالى ولو لا دفع الله الناس قد فسرناه في البقرة ٢٥١

قوله تعالى لهدمت قرأ ابن كثير ونافع لهدمت خفيفة والباقون بتشديد الدال

فأما الصوامع ففيها قولان

أحدهما أنها صوامع الرهبان قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد وابن زيد

والثاني أنها صوامع الصابئين قاله قتادة وابن قتيبة

فأما البيع فهي جمع بيعة وهي بيع النصارى

(٤٣٦/٥)

وفي المراد بالصلوات قولان

أحدهما مواضع الصلوات ثم فيها قولان أحدهما أنها كنائس اليهود قاله قتادة والضحاك وقرأ على شيخنا أبي منصور اللغوي قال قوله وصلوات هي كنائس اليهود وهي بالعبرانية صلوثا والثاني أنها مساجد الصابئين قاله ابو العالية

والقول الثاني أنها الصلوات حقيقة والمعنى لولا دفع الله عن المسلمين بالمجاهدين لانقطعت الصلوات

في المساجد قاله ابن زيد
فأما المساجد فقال ابن عباس هي مساجد المسلمين وقال الزجاج معنى الآية لولا دفع بعض الناس ببعض لهدمت في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد المساجد وفي قوله يذكر فيها اسم الله قولان
أحدهما أن الكناية ترجع الى جميع الأماكن المذكورات قاله الضحاك
والثاني الى المساجد خاصة لأن جميع المواضع المذكورة الغالب فيها الشرك قاله ابو سليمان الدمشقي
قوله تعالى ولينصرن الله من ينصره أي من ينصر دينه وشرعه
قوله تعالى الذين إن مكناهم في الأرض قال الزجاج هذه صفة ناصريه قال المفسرون التمكين في الأرض نصرتهم على عدوهم والمعروف لا إله إلا الله والمنكر الشرك قال الأكثرون وهؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال القرظي هم الولاة
قوله تعالى ولله عاقبة الأمور أي إليه مرجعها لأن كل ملك يبطل سوى ملكه

(٤٣٧/٥)

وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد
قوله تعالى ثم أخذتهم أي بالعذاب فكيف كان نكير أثبت الياء في نكير يعقوب في الحالين ووافقه ورش في إثباتها في الوصل والمعنى كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالإهلاك والمعنى أني أنكرت عليهم أبلغ إنكار وهذا استفهام معناه التقرير
قوله تعالى أهلكتها قرأ ابو عمرو أهلكتها بالتاء والباقون أهلكناها بالنون
قوله تعالى وبئر معطلة قرأ ابن كثير وعاصم وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وبئر مهموز وروى ورش عن نافع بغير همز والمعنى وكم بئر معطلة أي متروكة وقصر مشيد فيه قولان
أحدهما مجصص قاله ابن عباس وعكرمة قال الزجاج أصل الشيد الجص والنورة وكل ما بني بهما أو بأحدهما فهو مشيد
والثاني طويل قاله الضحاك ومقاتل وفي الكلام إضمار تقديره وقصر مشيد معطل أيضا ليس فيه ساكن أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن

(٤٣٨/٥)

يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير

قوله تعالى افلم يسيروا قال المفسرون أفلم يسر قومك في أرض اليمن والشام فتكون لهم قلوب يعقلون بها إذا نظروا آثار من هلك أو آذان يسمعون بها أخبار الأمم المكذبة فانها لا تعمى الأبصار قال الفراء الهاء في قوله فانها عماد والمعنى أن أبصارهم لم تعم وإنما عميت قلوبهم وأما قوله التي في الصدور فهو توكيد لأن القلب لا يكون إلا في الصدر ومثله تلك عشرة كاملة البقرة ١٩٦ يطير بجناحيه الأنعام ٣٨ يقولون بأفواههم آل عمران ١٦٧

قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب قال مقاتل نزلت في النضر بن الحارث القرشي وقال غيره هو قولهم له متى هذا الوعد الملك ٢٥ ونحوه من استعجالهم ولن يخلف الله وعده في إنزال العذاب بهم في الدنيا فأنزله بهم يوم بدر وإن يوما عند ربك أي من ايام الآخرة كألف سنة مم تعدون من أيام الدنيا قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر تعدون بالتاء وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعدون بالياء

فان قيل كيف انصرف الكلام من ذكر العذاب الى قوله وإن يوما عند ربك فعنه جوابان

أحدهما أنهم استعجلوا العذاب في الدنيا فقيل لهم لن يخلف الله وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا وإن يوما من ايام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا فكيف تستعجلون بالعذاب فقد تضمنت الآية وعدهم بعذاب الدنيا والآخرة هذا قول الفراء

والثاني وإن يوما عند الله والف سنة سواء في قدرته على عذابهم فلا فرق بين وقوع ما يستعجلونه وبين تأخيره في القدرة إلا أن الله تفضل عليهم بالإمهال هذا قول الزجاج

قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعلموا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم

قوله تعالى ورزق كريم يعني به الرزق الحسن في الجنة

قوله تعالى والذين سعوا في آياتنا أي عملوا في أبطالها معاجزين قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي معجزين بغير ألف وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معاجزين بألف قال الزجاج معاجزين أي ظانين أنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون وأنه لا جنة ولا نار قال وقيل في التفسير معاجزين معاندين وليس هو بخارج عن القول الأول ومعجزين تأويلها أنهم كانوا يعجزون من اتبع النبي صلى الله عليه و سلم ويثبطونهم عنه وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي

الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم

(٤٤٠/٥)

قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الآية قال المفسرون سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما نزلت عليه سورة النجم قرأها حتى بلغ قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى النجم ٢٠ , ١٩ فألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش بذلك فرحوا فأتاه جبريل فقال ماذا صنعت تلوت على الناس مالم آتك به عن الله فحزن رسول الله صلى الله عليه و سلم حزنا شديدا فنزلت هذه الآية تطييبا لقلبه وإعلاما له أن الأنبياء قد جرى لهم مثل هذا قال العلماء المحققون وهذا لا يصح لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم معصوم عن مثل هذا ولو صح كان المعنى أن بعض شياطين الإنس قال تلك الكلمات فانهم كانوا إذا تلا لغطوا كما قال الله عز و جل وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فصلت ٢٦ قال وفي معنى تمنى قولان أحدهما تلا قاله الاكثرون وانشدوا

(٤٤١/٥)

تمنى كتاب الله أول ليله ... وآخره لاقى حمام المقادر ...
وقال آخر ... تمنى كتاب الله آخر ليله ... تمني دواد الزبور على رسل

(٤٤٢/٥)

والثاني أنه من الأمنية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم تمنى يوما أن لا يأتيه من الله شيء ينفر عنه به قومه فألقى الشيطان على لسانه كان قد تمناه قاله محمد بن كعب القرظي
قوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يبطله ويذهبه ثم يحكم الله آياته قال مقاتل يحكمها من الباطل
قوله تعالى ليجعل اللام متعلقة بقوله ألقى الشيطان والفتنة هاهنا بمعنى البلية والمحنة والمرض الشك

والنفاق والقاسية قلوبهم يعني الجافية عن الإيمان ثم أعلمه أنهم ظالمون وأنهم في شقاق دائم والشقاق غاية العدواة

قوله تعالى وليعلم الذين أوتوا العلم وهو التوحيد والقرآن وهم المؤمنون وقال السدي التصديق بنسخ الله

قوله تعالى أنه الحق إشارة الى نسخ ما يلقي الشيطان فالمعنى ليعلموا أن نسخ ذلك وإبطاله حق من الله فيؤمنوا بالنسخ فتخبت له قلوبهم أي تخضع وتذل ثم بين بباقي الآية أن هذا الإيمان والإخبات إنما هو بلطف الله وهدايته

(٤٤٣/٥)

قوله تعالى في مرية منه أي في شك

وفي هاء منه أربعة اقوال

أحدها أنها ترجع الى قوله تلك الغرانيق العلى والثاني أنها ترجع الى سجوده في سورة النجم والقولان عن سعيد بن جبير فيكون المعنى إنهم يقولون ما باله ذكر آلهتنا ثم رجع عن ذكرها والثالث أنها ترجع الى القرآن قاله ابن جريج والرابع أنها ترجع الى الدين حكاه الثعلبي

قوله تعالى حتى تأتيهم الساعة وفيها قولان

أحدهما القيامة تأتي من تقوم عليه من المشركين قاله الحسن

والثاني ساعة موتهم ذكره الواحدي

قوله تعالى أو يأتيهم عذاب يوم عقيم فيه قولان

أحدهم أنه يوم بدر روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي

والثاني أنه يوم القيامة قاله عكرمة والضحاك وأصل العقم في الولادة يقال امرأة عقيم لا تلد ورجل عقيم لا يولد له وانشدوأ ... عقم النساء فلا يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله عقم

(٤٤٤/٥)

وسميت الريح العقيم بهذا الاسم لأنها لا تأتي بالسحاب الممطر فقيل لهذا اليوم عقيم لأنه لم يأت بخير

فعلى قول من قال هو يوم بدر في تسميته بالعقيم ثلاثة أقوال

أحدها أنه لم يكن فيه للكفار بركة ولا خير قاله الضحاك

والثاني لأنهم لم ينظروا فيه الى الليل بل قتلوا قبل المساء قاله ابن جريج
والثالث لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه قاله يحيى ابن سلام
وعلى قول من قال هو يوم القيامة في تسميته بذلك قولان
أحدهم لأنه لا ليلة له قاله عكرمة
والثاني لأنه لا يأتي المشركين بخير ولا فرج ذكره بعض المفسرين
الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم
قوله تعالى الملك يومئذ أي يوم القيامة لله من غير منازع ولا مدع يحكم بينهم أي بين المسلمين والمشركين وحكمه بينهم بما ذكره في تمام الآية وما بعدها ثم ذكر فضل المهاجرين فقال والذين هاجروا في سبيل الله أي من مكة الى المدينة
وفي الرزق الحسن قولان

(٤٤٥/٥)

أحدهما أنه الحلال قاله ابن عباس والثاني رزق الجنة قاله السدي
قوله تعالى ثم قتلوا أو ماتوا وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد
قوله تعالى ليدخلنهم مدخلا وقرأ نافع بفتح الميم يرضونه يعني الجنة والمدخل يجوز أن يكون مصدرا فيكون المعنى ليدخلنهم إدخالا يكرمون به فيرضونه ويجوز أن يكون بمعنى المكان ومدخلا بفتح الميم على تقدير فيدخلون مدخلا وإن الله لعليم بنياتهم حليم عنهم
ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير
قوله تعالى ذلك قال الزجاج المعنى الأمر ذلك أي الأمر ما قصصنا عليكم ومن عاقب بمثل ما عوقب به والعقوبة الجزاء والأول ليس بعقوبة ولكنه سمي عقوبة لاستواء الفعلين في جنس المكروه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الشورى ٤٠ لما كانت المجازاة إساءة بالمفعول به سميت سيئة ومثله الله يستهزئ بهم البقرة ١٥ قاله الحسن ومعنى الآية من قاتل المشركين كما قاتلوه ثم بغي عليه أي ظلم بإخراجه عن منزله وزعم مقاتل أن سبب نزول هذه الآية أن مشركي مكة لقوا المسلمين لليلة بقيت من

المحرم فقاتلوهم فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا إلا القتال فثبت المسلمون ونصرهم الله على المشركين

(٤٤٦/٥)

ووقع في نفوس المسلمين من القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية وقال إن الله لعفو عنهم غفور لقتالهم في الشهر الحرام

قوله تعالى ذلك أي ذلك النصر بأن الله القادر على ما يشاء فمن قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع لدعاء المؤمنين بصير بهم حيث جعل فيهم الإيمان والتقوى ذلك الذي فعل من نصر المؤمنين بأن الله هو الحق أي هو الإله الحق وان ما يدعون قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم يدعون بالياء وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم بالتاء والمعنى وأن ما يعبدون من دونه هو الباطل

ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد

قوله تعالى ألم تر أن الله انزل من السماء ماء يعني المطر فتصبح الأرض مخضرة بالنبات وحكى الزجاج عن الخليل أنه قال معنى الكلام التنبيه كأنه قال اتسمع أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا وقال ثعلب معنى الآية عند الفراء خبر كأنه قال أعلم أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح ولو كان استفهاما والفاء شرطا لنصبه

قوله تعالى إن الله لطيف أي باستخراج النبات من الأرض رزقا لعباده خبير بما في قلوبهم عند تأخير المطر وقد سبق معنى الغني الحميد في البقرة ٢٦٧

(٤٤٧/٥)

ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور

قوله تعالى ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض يريد البهائم التي تركب ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه قال الزجاج كراهة أن تقع وقال غيره لئلا تقع إن الله بالناس لرؤوف رحيم فيما سخر لهم وفيما حبس عنهم من وقوع السماء عليهم وهو الذي أحياكم بعد أن كنتم نظفا ميتة ثم يميتكم عند آجالكم ثم يحييكم للبعث والحساب إن الإنسان يعني المشرك لكفور لنعم الله إذ لم يوحده

لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع الى ربك إنك لعلى هدى مستقيم وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير

قوله تعالى لكل أمة جعلنا منسكا قد سبق بيانه في هذه السورة الحج ٣٤ فلا ينازعنك في الأمر أي في الذبائح وذلك ان

(٤٤٨/٥)

كفار قريش وخزاعة خاصموا رسول الله صلى الله عليه و سلم في أمر الذبيحة فقالوا كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة

فان قيل إذا كانوا هم المنازعين له فكيف قيل فلا ينازعنك في الأمر

فقد أجاب عنه الزجاج فقال المراد النهي له عن منازعتهم فالمعنى لا تنازعنهم كما تقول للرجل لا يخاصمنك فلان في هذا أبدا وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا من اثنين لأن المجادلة والمخاصمة لا تتم الا باثنين فاذا قلت لا يجادلنك فلان فهو بمنزلة لا تجادلنه ولا يجوز هذا في قولك لا يضربنك فلان وأنت تريد لا تضربنه ولكن لو قلت لا يضاربنك فلان لكان كقولك لا تضاربن ويدل على هذا الجواب قوله وإن جادلوك

قوله تعالى وادع الى ربك أي الى دينه والإيمان به وجادلوك بمعنى خاصموك في أمر الذبائح فقل الله أعلم بما تعملون من التكذيب فهو يجازيكم به الله يحكم بينكم يوم القيامة أي يقضي بينكم فيما كنتم

(٤٤٩/٥)

فيه تختلفون من الدين أي تذهبون الى خلاف ما ذهب اليه المؤمنون وهذا أدب حسن علمه الله عباده ليردوا به من جادل على سبيل التعنت ولا يجيبوه ولا يناظروه

فصل

قال أكثر المفسرين هذا نزل قبل الأمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف وقال بعضهم هذا نزل في حق المنافقين كانت تظهر من أقوالهم وأفعالهم فلتات تدل على شركهم ثم يجادلون على ذلك فوكل أمرهم الى الله تعالى فالآية على هذا محكمة

قوله تعالى ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء الأرض هذا استفهام يراد به التقرير والمعنى قد علمت ذلك إن ذلك يعني ما يجري في السموات والأرض في كتاب يعني اللوح المحفوظ إن ذلك أي علم

الله بجميع ذلك على الله يسير سهل لا يتعذر عليه العلم به
ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ذلك النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير

(٤٥٠/٥)

قوله تعالى ويعبدون يعني كفار مكة ما لم ينزل به سلطانا أي حجة وما ليس لهم به علم أنه إلة وما للظالمين يعني المشركين من نصير أي مانع من العذاب وإذا تتلى عليهم آياتنا يعني القرآن والمنكر هاهنا بمعنى الإنكار فالمعنى أثر الإنكار من الكراهة وتعبيس الوجوه معروف عندهم يكادون يسطون أي يبطشون ويوقعون بمن يتلو عليهم القرآن من شدة الغيظ يقال سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالعنف والشدة قل لهم يا محمد افأنبئكم بشر من ذلكم أي بأشد عليكم وأكره اليكم من سماع القرآن ثم ذكر ذلك فقال النار أي هو النار
يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز
قوله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل قال الأخفش إن قيل أين المثل
فالجواب أنه ليس هاهنا مثل وإنما المعنى يا أيها الناس ضرب لي مثل أي شبهت بي الأوثان فاستمعوا لهذا المثل وتأويل الآية جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي فاستمعوا حالها ثم بين ذلك بقوله إن الذين تدعون أي تعبدون من دون الله وقرأ ابن عباس وابو رزين وابن أبي عبلة يدعون بالياء المفتوحة وقر ابن السميفع وأبو رجاء وعاصم الجحدري يدعون بضم الياء وفتح العين يعني الأصنام لن يخلقوا ذبابا والذباب واحد والجمع القليل أذبة والكثير الذبان مثل

(٤٥١/٥)

غراب وأغربة وغربان وقيل إنما خص الذباب لمهانته واستقذاره وكثرته ولو اجتمعوا يعني الأصنام له أي لخلقه وإن يسلبهم يعني الاصنام قال ابن عباس كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران فيجف فيأتي الذباب فيختلسه وقال ابن جريج كانوا إذا طيبوا أصنامهم عجنوا طيبهم بشيء من الحلواء كالعسل ونحوه فيقع عليه الذباب فيسلبها إياه فلا تستطيع الآلهه ولا من عبدها أن يمنعه ذلك وقال السدي كانوا يجعلون

للآلهة طعاما فيقع الذباب عليه فيأكل منه قال ثعلب وإنما قال لا يستنقذوه منه فجعل أفعال الآلهة كأفعال الآدميين إذ كانوا يعظمونها ويذبحون لها وتخاطب كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم النمل ١٨ لما خاطبهم جعلهم كالآدميين ومثله رأيتم لي ساجدين يوسف ٤٠ وقد بينا هذا المعنى في الأعراف ١٩١ عند قوله تعالى وهم يخلقون

قوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب فيه ثلاثة أقوال

أحدها أن الطالب الصنم والمطلوب الذباب رواه عطاء عن ابن عباس

والثاني الطالب الذباب يطلب ما يسلبه من الطيب الذي على الصنم والمطلوب الصنم يطلب الذباب منه سلب ما عليه روي عن ابن عباس أيضا

والثالث الطالب عباد الصنم يطلب التقرب بعبادته والمطلوب الصنم هذا معنى قول الضحاك والسدي

(٤٥٢/٥)

قوله تعالى ما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه حق عظمته إذ جعلوا هذه الأصنام شركاء له إن الله لقوي لا يقهر عزيز لا يرام

الله يصطفي من الملئكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الامور

قوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا كجبريل وميكئايل وإسرافيل وملك الموت ومن الناس الانبياء المرسلين إن الله سميع لمقالة العباد بصير بمن يتخذه رسولا وزعم مقاتل ان هذه الآية نزلت حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا ص٨

قوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم الإشارة الى الذين أصطفاهم وقد بينا معنى ذلك في آية الكرسي البقرة ٢٥٥

يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سمكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولكم فنعم المولى ونعم النصير

(٤٥٣/٥)

قوله تعالى اركعوا واسجدوا قال المفسرون المراد صلوا لأن الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود واعبدوا ربكم أي وحدوه وافعلوا الخير يريد أبواب المعروف لعلكم تفلحون أي لكي تسعدوا وتبقوا في الجنة

فصل

لم يختلف أهل العلم في السجدة الأولى من الحج واختلفوا في هذه السجدة الأخيرة فروي عن عمر وابن عمر وعمار وابي الدرداء وابي موسى وابن عباس أنهم قالوا في الحج سجدتان وقالوا فضلت هذه السورة على غيرها بسجدتين وبهذا قال أصحابنا وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه وروي عن ابن عباس انه قال في الحج سجدة وبهذا قال الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وابراهيم وجابر بن زيد وابو حنيفة وأصحابه ومالك ويدل على الأول ما روى عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله أفي الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما

فصل

واختلف العلماء في عدد سجود القرآن فروي عن أحمد روايتان إحداهما أنها اربع عشرة سجدة وبه قال الشافعي والثانية أنها خمس عشرة فزاد سجدة ص ٢٤ وقال ابو حنيفة هي أربع عشرة فأخرج التي في آخر الحج وأبدل منها سجعة ص ٢٤

فصل

وسجود التلاوة سنة وقال ابو حنيفة واجب ولا يصح سجود التلاوة إلا بتكبيرة الإحرام والسلام خلافا لأصحاب ابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي ولا يجزىء الركوع عن سجود التلاوة وقال ابو حنيفة يجزىء ولا يسجد المستمع إذا لم يسجد التالي نص عليه أحمد رضي الله عنه وتكره قراءة السجدة في صلاة الإخفات خلافا للشافعي

قوله تعالى وجاهدوا في الله في هذا الجهاد ثلاثة أقوال

أحدها أنه فعل جميع الطاعات هذا قول الأكثرين والثاني أنه جهاد الكفار قاله الضحاك والثالث أنه جهاد النفس والهوى قاله عبد الله بن المبارك

فأما حق الجهاد ففيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه الجد في المجاهدة واستيفاء الإمكان فيها والثاني أنه اخلاص النية لله عز و جل والثالث أنه فعل ما فيه وفاء لحق الله عز و جل

فصل

وقد زعم قوم أن هذه الآية منسوخة واختلفوا في ناسخها على قولين

أحدهما قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها البقرة ٢٨٦

والثاني قوله فاتقوا الله ما استطعتم التغابن ١٦ وقال اخرون بل هي محكمة ويؤكده القولان الأولان في تفسير حق الجهاد وهو الأصح لأن الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها

قوله تعالى هو اجتباكم أي اختاركم واصطفاكم لدينه والحرج الضيق فما من شيء وقع الإنسان فيه إلا وجد له في الشرع مخرجا بتوبة أو كفارة أو انتقال الى رخصة ونحو ذلك وروي عن ابن عباس انه قال الحرج ما كان على بني اسرائيل من الإصر والشدائد وضعه الله عن هذه الأمة

قوله تعالى ملة ابيكم قال الفراء المعنى وسع عليكم كملة أبيكم فاذا ألقيت الكاف نصبت ويجوز النصب على معنى الأمر بها لأن أول الكلام أمر وهو قوله اركعوا واسجدوا والزموا ملة ابيكم

فان قيل هذا الخطاب للمسلمين وليس ابراهيم أبا لكلهم

فالجواب أنه إن كان خطابا عاما للمسلمين فهو كالأب لهم لأن حرمته وحقه عليهم كحق الولد وإن كان خطابا للعرب خاصة فابراهيم أبو العرب قاطبة هذا قول المفسرين والذي يقع لي أن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه و سلم لأن ابراهيم أبوه وأمة رسول الله صلى الله عليه و سلم داخلة فيما خوطب به رسول الله

قوله تعالى هو سماكم المسلمين في المشار اليه قولان

أحدهما أنه الله عز و جل قاله ابن عباس ومجاهد والجمهور فعلى هذا في قوله من قبل قولان أحدهما من قبل إنزال القرآن سماكم بهذا في الكتب التي أنزلها والثاني من قبل أي في أم الكتاب وقوله وفي هذا أي في القرآن

والثاني أنه ابراهيم عليه السلام حين قال ومن ذريتنا أمة مسلمة لك البقرة ١٢٨ فالمعنى من قبل هذا الوقت وذلك في زمان ابراهيم عليه السلام وفي هذا الوقت حين قال ومن ذريتنا أمة مسلمة هذا قول ابن زيد

قوله تعالى ليكون الرسول المعنى اجتباكم وسماكم ليكون الرسول يعني محمدا صلى الله عليه و سلم شهيدا عليكم يوم القيامة أنه قد بلغكم وقد شرحناه هذا المعنى في البقرة ١٤٣ الى قوله وآتوا الزكاة

قوله تعالى واعتصموا بالله قال ابن عباس سلوه أن يعصمكم من كل ما يسخط ويكره وقال الحسن تمسكوا بدين الله وما بعد هذا مشروح في الأنفال ٤٠

(٤٥٧/٥)

سورة المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

سورة المؤمنين مكية في قول الجميع

روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون إلى عشر آيات رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه وروى أبو سعيد الخدري

(٤٥٨/٥)

عن رسول الله صلى الله عليه و سلم انه قال إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غرسها بيده فقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فقال لها طوبى لك منزل الملوك قال الفراء قد هاهنا يجوز أن تكون تأكيدا لفلاح المؤمنين ويجوز أن تكون تقريبا للماضي من الحال لأن قد تقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه الا تراهم يقولون قد قامت الصلاة قبل حال قيامها فيكون معنى الآية إن الفلاح قد حصل لهم وإنهم عليه في الحال وقرأ ابي بن كعب وعكرمة وعاصم الجحدري وطلحة بن مصرف قد أفلح بضم الألف وكسر اللام وفتح الحاء على ما لم يسم فاعله قال الزجاج ومعنى الآية قد نال المؤمنون البقاء الدائم في الخير ومن قرأ قد أفلح بضم الألف كان معناه قد أصيروا الى الفلاح وأصل الخشوع في اللغة الخضوع والتواضع

وفي المراد بالخشوع في الصلاة اربعة اقوال

أحدها أنه النظر الى موضع السجود روى أبو هريرة قال كان رسول الله

صلى الله عليه و سلم إذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت الذين هم في صلاتم خاشعون فنكس رأسه والى هذا المعنى ذهب مسلم بن يسار وقتادة

والثاني أنه ترك الالتفات في الصلاة وأن تلين كنفك للرجل المسلم قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه

والثالث أنه السكون في الصلاة قاله مجاهد وابراهيم والزهري

والرابع أنه الخوف قاله الحسن

وفي المراد باللغو هاهنا خمسة اقوال

أحدها الشرك رواه ابو صالح عن ابن عباس والثاني الباطل رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس والثالث المعاصي قاله الحسن والرابع الكذب قاله السدي والخامس الشتم والأذى الذي كانوا يسمعونه من الكفار قاله مقاتل قال الزجاج واللغو كل لعب ولهو وكل معصية فهي مطرحة ملغاة فالمعنى شغلهم الجد فيما أمرهم الله به عن اللغو

قوله تعالى للزكاة فاعلون أي مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لأنه فعل

قوله تعالى إلا على أزواجهم قال الفراء على بمعنى من وقال الزجاج المعنى أنهم يلامون في اطلاق ما حظر عليهم وأمروا بحفظه إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم لا يلامون

قوله تعالى فمن ابتغى أي طلب وراء ذلك أي سوى الأزواج والمملوكات فأولئك هم العادون يعني الجائرين الظالمين لأنهم قد تجاوزوا الى مالا يحل والذين هم لأماناتهم قرأ أبن كثير لأمانتهم وهو اسم جنس والمعنى للأمانات التي ائتمنوا عليها فتارة تكون الأمانة بين العبد وبين ربه وتارة تكون بينه وبين جنسه فعليه مراعاة الكل وكذلك العهد ومعنى راعون حافظون قال الزجاج وأصل الرعي في اللغة القيام على اصلاح ما يتولاه الراعي من كل شيء

قوله تعالى على صلواتهم قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وابن عامر صلواتهم على الجمع وقرأ حمزة والكسائي صلاتهم على التوحيد وهو اسم جنس والمحافظة على الصلوات أداؤها في أوقاتها

قوله تعالى اولئك هم الوارثون ذكر السدي عن أشياخه ان الله تعالى يرفع للكفار الجنة فينظرون الى بيوتهم فيها لو أنهم أطاعوا ثم تقسم بين المؤمنين فيرثونهم فذلك قوله أولئك هم الوارثون وقد شرحنا هذا في الأعراف ٤٣ عند قوله أروثتموها وشرحنا معنى الفردوس في الكهف ١٠٧

ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه

(٤٦١/٥)

خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون

قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان فيه قولان

أحدهما أنه آدم عليه السلام وإنما قيل من سلالة لأنه استل من كل الأرض هذا مذهب سلمان الفارسي وابن عباس في رواية وقتادة

والثاني أنه ابن آدم والسلالة النطفة استلت من الطين والطين آدم عليه السلام قاله ابو صالح عن ابن عباس قال الزجاج والسلالة فعالة وهي القليل مما ينسل وكل مبني على فعالة يراد به القليل من ذلك الفضالة والنخالة والقلامة

قوله تعالى ثم جعلناه يعني ابن آدم نطفة في قرار وهو الرحم مكين أي حريز قد هيىء لاستقراره فيه وقد شرحنا في سورة الحج ٥ معنى النطفة والعلقة والمضغة

قوله تعالى فخلقنا المضغة عظاما قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم عظاما فكسونا العظام على الجمع وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم عظما فكسونا العظم على التوحيد

قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر وهذه الحالة السابعة قال علي عليه السلام لا تكون موؤودة حتى تمر على التارات السبع

وفي محل هذا الإنشاء قولان

أحدهما انه بطن الأم ثم في صفة الإنشاء قولان أحدهما أنه نفخ

(٤٦٢/٥)

الروح فيه رواه عطاء عن ابن عباس وبه قال ابو العالية والشعبي ومجاهد وعكرمة والضحاك في آخرين

والثاني أنه جعله ذكرا أو أنثى قاله الحسن

والقول الثاني أنه بعد خروجه من بطن أمه ثم في صفة هذا الإنشاء أربعة أقوال أحدها أن ابتداء ذلك الإنشاء أنه استهل ثم دل على الثدي وعلم كيف يبسط رجليه الى أن قعد إلى أن قام على رجليه الى أن مشى إلى أن فطم إلى أن بلغ الحلم إلى أن تقلب في البلاد رواه العوفي عن ابن عباس والثاني أنه استواء الشباب قاله ابن عمر ومجاهد والثالث أنه خروج الاسنان والشعر قاله الضحاك فقيل له أليس

يولد وعلى رأسه الشعر فقال وأين العانة والإبط والرابع أنه إعطاء العقل والفهم حكاه الثعلبي
قوله تعالى فتبارك الله أي استحق التعظيم والثناء وقد شرحنا معنى تبارك في الأعراف ٥٤ أحسن الخالقين أي المصورين والمقدرين والخلق في اللغة التقدير وجاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قرأ هذه الآية وعنده عمر الى قوله تعالى خلقا آخر فقال عمر فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لقد ختمت بما تكلمت به يا ابن الخطاب
فان قيل كيف الجمع بين قوله أحسن الخالقين وقوله هل من خالق غير الله فاطر ٣

(٤٦٣/٥)

فالجواب أن الخلق يكون بمعنى الإيجاد ولا موجد سوى الله ويكون بمعنى التقدير كقول زهير ...
ولأنت تفري ما خلقت وبعد ... ض القوم يخلق ثم لا يفري ...
فهذا المراد هاهنا أن بني آدم قد يصورون ويقدرون ويصنعون الشيء فالله خير المصورين والمقدرين وقال الاخفش الخالقون هاهنا هم الصانعون فالله خير الخالقين
قوله تعالى ثم إنكم بعد ذلك أي بعد ما ذكر من تمام الخلق لميتون عند انقضاء آجالكم وقرأ ابو رزين العقيلي وعكرمة وابن ابي عبلة لمائنون بألف قال الفراء والعرب تقول لمن لم يمت إنك مائت عن قليل وميت ولا يقولون للميت الذي قد مات هذا مائت إنما يقال في الاستقبال فقط وكذلك يقال هذا سيد قومه اليوم فاذا اخبرت أنه يسودهم عن قليل قلت هذا سائد قومه عن قليل وكذلك هذا شريف القوم وهذا شارف عن قليل وهذا الباب كله في العربية على ما وصفت لك
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين

(٤٦٤/٥)

قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق يعني السموات السبع قال الزجاج كل واحدة طريقة وقال ابن قتيبة إنما سميت طرائق بالتطارق لأن بعضها فوق بعض يقال طارقت الشيء إذا جعلت بعضه فوق بعض
قوله تعالى وما كنا عن الخلق غافلين فيه ثلاثة أقوال
أحدها ما غفلنا عنهم إذ بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب

والثاني ما كنا تاركين لهم بغير رزق فأنزلنا المطر
والثالث لم نغفل عن حفظهم من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم
قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر يعلمه الله وقال مقاتل بقدر ما يكفيهم للمعيشة
قوله تعالى وشجرة هي معطوفة على قوله جنات وقرأ ابو مجلز وابن يعمر وابراهيم النخعي وشجرة بالرفع
والمراد بهذه الشجرة شجرة الزيتون
فان قيل لماذا خص هذه الشجرة من بين الشجر
فالجواب من اربعة أوجه
أحدها لكثرة انتفاعهم بها فذكرهم من نعمه ما يعرفون وكذلك

(٤٦٥/٥)

خص النخيل والأعناب في الآية الأولى لأنهما كانا جل ثمار الحجاز وماوالاها وكانت النخيل لأهل المدينة والأعناب لأهل الطائف
والثاني لأنهم لا يكادون يتعاهدونها بالسقي وهي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن
والثالث أنها تنبت بالماء الذي هو ضد النار وفي ثمرتها حياة للنار ومادة لها
والرابع لأن أول زيتونة نبتت بذلك المكان فيما زعم مقاتل
قوله تعالى طور سيناء قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو طور سيناء مكسورة السين وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي مفتوحة السين وكلهم مدها قال الفراء العرب تقول سيناء بفتح السين في جميع اللغات إلا بني كنانة فانهم يكسرون السين قال ابو علي ولا تنصرف هذه الكلمة لأنها جعلت اسما لبقعة أو ارض وكذلك سينين ولو جعلت اسما للمكان أول للمنزل أو نحو ذلك من الأسماء المذكرة لصرفت لأنك كنت قد سميت مذكرا بمذكر والطور الجبل
وفي معنى سيناء خمسة أقوال
أحدها أنه بمعنى الحسن رواه ابو صالح عن ابن عباس وقال الضحاك الطور الجبل بالسريانية وسيناء الحسن بالنبطية وقال عطاء يريد الجبل الحسن
والثاني أنه المبارك رواه العوفي عن ابن عباس
والثالث أنه اسم حجارة بعينها أضيف الجبل اليها لوجودها عنده قاله مجاهد
والرابع أن طور سيناء الجبل المشجر قاله ابن السائب

(٤٦٦/٥)

والخامس أن سيناء اسم المكان الذي به هذا الجبل قاله الزجاج قال الواحدي وهو أصح الأقوال قال ابن زيد وهذا هو الجبل الذي نودي منه موسى وهو بين مصر وأيلة

قوله تعالى تنبت بالدهن قرأ ابن كثير وأبو عمرو تنبت برفع التاء وكسر الباء وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بفتح التاء وضم الباء قال الفراء وهما لغتان نبتت وأنبتت وكذلك قال الزجاج يقال نبت الشجر وأنبت في معنى واحد قال زهير ... رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل ...

قال ومعنى تنبت بالدهن تنبت ومعها دهن كما تقول جاءني زيد بالسيف أي جاءني ومعه السيف وقال ابو عبيدة معنى الآية تنبت الدهن والباء زائدة كقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم الحج ٢٥ وقد بينا هذا المعنى هناك

قوله تعالى وصبغ وقرأ ابن مسعود وابن يعمر وابراهيم النخعي

والأعمش وصبغا بالنصب وقرأ ابن السميفع وصباغ بألف مع الخفض قال ابن قتيبة الصبغ مثل الصباغ كما يقال دبغ ودباغ ولبس ولباس قال المفسرون والمراد بالصبغ هاهنا الزيت لأنه يلون الخبز إذا غمس فيه والمراد أنه إدام يصبغ به

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون

قوله تعالى وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم نسقيكم بفتح النون وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بضمها وقد شرحناه هذا في النحل ٦٦ الى قوله تعالى ولكم فيه منافع كثيرة يعني في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها ومنها تأكلون من لحومها وأولادها والكسب عليها

قوله تعالى وعليها يعني الإبل خاصة وعلى الفلك تحملون فالإبل تحمل في البر والسفن تحمل في البحر

ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون فقال الملؤا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملئكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين

وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجنا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون

قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه قال المفسرون هذا تعزية

(٤٦٩/٥)

لرسول الله صلى الله عليه و سلم بذكر هذا الرسول الصابر ليتأسى به في صبره وليعلم أن الرسل قبله قد كذبوا

قوله تعالى يريد أن يتفضل عليكم أي يعلوكم بالفضيلة فيصير متبوعا ولو شاء الله أن لا يعبد شيء سواه لأنزل ملائكة تبلغ عنه أمره لم يرسل بشرا ما سمعنا بهذا الذي يدعونا اليه نوح من التوحيد في آبائنا الأولين فأما الجنة فمعناها الجنون

وفي قوله حتى حين قولان

أحدهما أنه الموت فتقديره انتظروا موته والثاني أنه وقت منكر

قوله تعالى قال رب انصرني وقرأ عكرمة وابن محيصن قال رب بضم الباء وفي القصة الأخرى المؤمنون ٣٩

قوله تعالى بما كذبون وقرأ يعقوب كذبوني بياء وفي القصة التي تليها أيضا فاتقوني المؤمنون ٥٢ أن يحضروني المؤمنون ٩٨ رب أرجعوني المؤمنون ولا تكلموني المؤمنون ١٠٨ أثبتهن في الحالين يعقوب والمعنى انصرني بتكذيبهم أي انصرني باهلاكهم جزاء لهم بتكذيبهم فأوحيانا اليه قد شرحناه في هود ٣٧ الى قوله فاسلك فيها أي أدخل في سفينتك من كل زوجين اثنين قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو

وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم من كل بكسر اللام من غير تنوين وقرأ حفص عن عاصم من كل بالتنوين قال ابو علي قراءة الجمهور إضافة كل الى زوجين وقراءة حفص تؤول الى زوجين لأن المعنى من كل الأزواج زوجين

(٤٧٠/٥)

قوله تعالى وقل رب أنزلني منزلا قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم منزلا بضم الميم وروى أبو بكر عن عاصم فتحها والمنزل بفتح الميم اسم لكل ما نزلت به والمنزل بضمها المصدر بمعنى الإنزال تقول أنزلته إنزالا ومنزلا

وفي الوقت الذي قال فيه نوح ذاك قولان

أحدهما عند نزوله في السفينة والثاني عند نزوله من السفينة

قوله تعالى إن في ذلك أي في قصة نوح وقومه لآيات وإن كنا أي وما كنا لمبتلين أي لمختبرين إياهم بارسال نوح اليهم ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين يعني عادا فأرسلنا فيهم رسولا منهم وهو هود هذا قول الأكثرين وقال ابو سليمان الدمشقي هم ثمود والرسول صالح وما بعد هذا ظاهر الى قوله أيعدكم أنكم قال الزجاج موضع أنكم نصب على معنى أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم فلما طال الكلام أعيد ذكر أن كقوله ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم التوبة ٦٣

قوله تعالى هيهات هيهات قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي هيهات هيهات بفتح التاء فيهما في الوصل وإسكانها في الوقف وقرأ أبي بن كعب وابو مجلز وهارون عن أبي عمرو هيهاتا هيهاتا بالنصب والتنوين وقرا ابن مسعود وعاصم الجحدري وابو حيوة الحضرمي وابن السميفع هيهات هيهات بالرفع والتنوين وقرأ أبو العالية وقتادة هيهات هيهات بالخفض والتنوين وقرأ ابو جعفر هيهات هيهات بالخفض من غير تنوين وكان يقف بالهاء وقرأ أبو المتوكل

(٤٧١/٥)

الناجي وسعيد بن جبير وعكرمة هيهات هيهات بالرفع من غير تنوين وقرأ معاذ القارىء وابن يعمر وابو رجاء وخارجة عن ابي عمرو هيهات هيهات باسكان التاء فيهما وفي هيهات عشر لغات قد ذكرنا منها سبعة عن القراء والثامنة إيهات والتاسعة إيهان بالنون والعاشرة إيها بغير نون ذكرهن ابن القاسم وأنشد الأحوص في الجمع بين لغتين منهن ... تذكر أياما مضين من الصبا ... وهيهات هيهاتا إليك رجوعها ...

قال الزجاج فأما الفتح فالوقف فيه بالهاء تقول هيهاه إذا فتحت ووقفت بعد الفتح فاذا كسرت ووقفت على التاء كنت ممن ينون في الوصل أو كنت ممن لا ينون وتأويل هيهات البعد لما توعدون وإذا قلت هيهات ما قلت فمعناه بعيد ما قلت وإذا قلت هيهات لما قلت فمعناه البعد لما قلت ويقال أيهات في معنى هيهات وأنشدوا ... وأيهات أيهات العقيق ومن به ... وأيهات وصل بالعقيق نواصله ...

قال ابو عمرو بن العلاء إذا وقفت على هيهات فقل هيهاه وقال الفراء الكسائي يختار الوقف بالهاء وأنا اختار التاء

قوله تعالى لما توعدون قرأ ابن مسعود وابن أبي عبلة ما توعدون بغير لام قال المفسرون استبعد القوم بعثهم بعد الموت إغفالا منهم للتفكر في بدو امرهم وقدرة الله على إيجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد أنه لا يكون أبدا إن هي الا حياتنا الدنيا يعنون ما الحياة إلا ما نحن فيه و ليس بعد الموت حياة

(٤٧٢/٥)

فان قيل كيف قالوا نموت ونحايا وهم لا يقرون بالبعث

فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها الزجاج

أحدها نموت ويحيا أولادنا فكأنهم قالوا يموت قوم ويحيا قوم

والثاني نحيا ونموت لأن الواو للجمع لا للترتيب

والثالث أبتداؤنا موات في أصل الخلقة ثم نحيا ثم نموت

قوله تعالى إن هو يعنون الرسول وقد سبق تفسير ما بعد هذا هود ٧ النحل ٣٨ الى قوله قال عما قليل قال الزجاج معناه عن قليل وما زائدة بمعنى التوكيد

قوله تعالى ليصبحن نادمين أي على كفرهم فأخذتهم الصيحة بالحق أي باستحقاقهم العذاب بكفرهم قال المفسرون صاح بهم جبريل صيحة رجفت لها الأرض من تحتهم فصاروا لشدتها غثاء قال ابو عبيدة الغثاء ما أشبه الزبد وما ارتفع على السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به في شيء وقال ابن قتيبة المعنى فجعلناهم هلكى كالغثاء وهو ما علا السيل من الزبد والقمش لأنه يذهب ويتفرق وقال الزجاج الغثاء الهالك والبالي من ورق الشجر الذي إذا جرى السيل رأيته مخالطا زبده وما بعد هذا قد سبق شرحه الحجر ٥ الى قوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر تترى كلما منونة والوقف بالألف وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بلا تنوين والوقف عند نافع وابن عامر بألف وروى هبيرة وحفص عن عاصم أنه يقف بالياء قال ابو علي يعني بقوله يقف بالياء

(٤٧٣/٥)

أي بألف ممالة قال الفراء أكثر العرب على ترك التنوين ومنهم من نون قال ابن قتيبة والمعنى نتابع بفترة بين كل رسولين وهو من التواتر والأصل وترى فقبلت الواو تاء كما قلبوها في التقوى والتخمة وحكى الزجاج عن الأصمعي أنه قال معنى واترت الخبر اتبعت بعضه بعضا وبين الخبرين هنية وقرات على شيخنا أبي منصور اللغوي قال ومما تضعه العامة غير موضعه قولهم تواترت كتبي اليك يعنون اتصلت من غير انقطاع فيضعون التواتر في موضع الاتصال وذلك غلط إنما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعة ثم مجيئه وهو التفاعل من الوتر وهو الفرد يقال واترت الخبر أتبعت بعضه بعضا وبين الخبرين هنيهة قال الله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى أصلها وترى من المواترة فأبدلت التاء من الواو ومعناه منقطعة متفاوته لأن بين كل نبيين دهرا طويلا وقال أبو هريرة لا بأس بقضاء رمضان تترى أي منقطعا فاذا قيل واتر فلان كتبه فالمعنى تابعها وبين كل كتابين فقرة

قوله تعالى فأتبعنا بعضهم بعضا أي أهلكنا الأمم بعضهم في إثر بعض وجعلناهم أحاديث قال ابو عبيدة أي يتمثل بهم في الشر ولا يقال في الخير جعلته حديثا

ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين

(٤٧٤/٥)

قوله تعالى فاستكبروا أي عن الإيمان بالله وعبادته وكانوا قوما عالين أي قاهرين للناس بالبغي والتطاول عليهم

قوله تعالى وقومهما لنا عابدون أي مطيعون قال ابو عبيدة كل من دان لملك فهو عابد له

ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين

قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة أعطيها جملة واحدة بعد غرق فرعون لعلهم يعني بني اسرائيل والمعنى لكي يهتدوا

قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وقرأ ابن مسعود وابن أبي عبلة آيتين على التثنية وهذا كقوله وجعلناها وابنها آية الانبياء ٩١ وقد سبق شرحه

قوله تعالى وأويناهما أي جعلناهما يأويان الى ربوة قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وحمزو والكسائي ربوة بضم الراء وقرأ عاصم وابن عامر بفتحها وقد شرحنا معنى الربوة في البقرة ٢٦٥ ذات قرار أي مستوية يستقر عليها ساكنوها والمعنى ذات موضع قرار وقال الزجاج أي ذات مستقر ومعين وهو الماء الجاري من العيون وقال ابن قتيبة ذات قرار أي يستقر بها للعمارة ومعين هو الماء الظاهر

(٤٧٥/٥)

ويقال هو مفعول من العين كأن أصله معيون كما يقال ثوب مخيط وبر مكيل
واختلف المفسرون في موضع هذه الربوة الموصوفة على أربعة أقوال
أحدها أنها دمشق رواه عكرمة عن ابن عباس وبه قال عبد الله بن سلام وسعيد بن المسيب
والثاني أنها بيت المقدس رواه عطاء عن ابن عباس وبه قال قتادة وعن الحسن كالقولين
والثالث أنها الرملة من أرض فلسطين قاله ابو هريرة
والرابع مصر قاله وهب بن منبه وابن زيد وابن السائب فأما السبب الذي لأجله أويا الى الربوة فقال ابو صالح عن ابن عباس فرت مريم بابنها عيسى من ملكهم ثم رجعت الى أهلها بعد اثنتي عشرة سنة قال وهب بن منبه وكان الملك أراد قتل عيسى

(٤٧٦/٥)

يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
قوله تعالى يا أيها الرسل قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة في آخرين يعني بالرسل هاهنا محمدا صلى الله عليه و سلم وحده وهو مذهب العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجميع ويتضمن هذا أن الرسل جميعا كذا أمروا وإلى هذا المعنى ذهب ابن قتيبة والزجاج والمراد بالطيبات الحلال قال عمرو بن شرحبيل كان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه

(٤٧٧/٥)

قوله تعالى وأن هذه أمتكم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وان بالفتح وتشديد النون وافق ابن عامر في فتح الألف لكنه سكن النون وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وإن بكسر الالف وتشديد النون قال الفراء من فتح عطف على قوله إني بما تعملون عليم وبأن هذه أمتكم فموضعها خفض لأنها مردودة على ما وإن شئت كانت منصوبة بفعل مضمر كأنك قلت واعلموا هذا ومن كسر استأنف قال ابوعلي الفارسي وأما ابن عامر فانه خفف النون المشددة وإذا خففت تعلق بها ما يتعلق بالمشددة وقد شرحنا معنى الآية والتي بعدها في الانبياء ٩٢ الى قوله زبرا وقرا ابن عباس وابو عمران الجوني زبرا برفع الزاي وفتح الباء وقرأ ابو الجوزاء وابن السميفع زبرا برفع الزاي وإسكان الباء قال الزجاج من قرأ زبرا بضم الباء فتأويله

جعلوا دينهم كتبا مختلفة جمع زبور ومن قرأ زبرا بفتح الباء أراد قطعا
قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون أي بما عندهم من الدين الذي ابتدعوه معجبون يرون انهم على الحق
وفي المشار اليهم قولان
أحدهما أنهم اهل الكتاب قاله مجاهد
والثاني أنهم أهل الكتاب ومشركو العرب قاله ابن السائب

(٤٧٨/٥)

قوله تعالى فذرهم في غمرتهم وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب في غمراتهم على الجمع قال الزجاج في عمايتهم وحيرتهم حتى حين أي الى حين يأتيهم ما وعدوا به من العذاب قال مقاتل يعني كفار مكة
فصل
وهل هذه الآية منسوخة أم لا فيها قولان
أحدهما أنها منسوخة بآية السيف والثاني أن معناها التهديد فهي محكمة
قوله تعالى أيحسبون أنما نمدهم به وقرأ عكرمة وابو الجوزاء يمدهم بالياء المرفوعة وكسر الميم وقرأ ابو عمران الجوني نمدهم بنون مفتوحة ورفع الميم قال الزجاج المعنى أيحسبون أن الذي نمدهم به من مال وبنين مجازاة لهم إنما هو استدراج نسارع لهم في الخيرات أي نسارع لهم به في الخيرات وقرأ ابن عباس وعكرمة وأيوب السختياني يسارع بياء مرفوعة وكسر الراء وقرأ معاذ القارئ وأبو المتوكل مثله إلا أنهما فتحا الراء وقرأ ابو عمران الجوني وعاصم الجحدري وابن السميفع يسرع بياء مرفوعة وسكون السين ونصب الراء من غير ألف
قوله تعالى بل لا يشعرون أي لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم
إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون

(٤٧٩/٥)

ثم ذكر المؤمنين فقال ان الذين هم خشية ربهم مشفقون وقد شرحنا هذا المعنى في قوله وهم من خشيته مشفقون الانبياء ٢٨

قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقرأ عاصم الجحدري يأتون ما أتوا بقصر همزة أتوا وسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه و سلم عن هذه الآية فقالت يا رسول الله أهم الذين يذنبون وهم مشفقون فقال لا بل هم الذين يصلون وهم مشفقون ويصومون وهم مشفقون ويتصدقون وهم مشفقون أن لا يتقبل منهم قال الزجاج فمعنى يؤتون يعطون ما أعطوا وهم يخافون أن لا يتقبل منهم أنهم إلى ربهم راجعون أي لأنهم يوقنون أنهم يرجعون ومعنى يأتون يعملون الخيرات وقلوبهم خائفة أن يكونوا مع اجتهادهم مقصرين أولئك يسارعون في الخيرات وقرأ ابو المتوكل وابن السميفع يسرعون برفع الياء واسكان السين وكسر الراء من غير ألف قال الزجاج يقال اسرعت وسارعت في معنى واحد الا ان سارعت أبلغ من أسرعت وهم لها أي من أجلها وهذا كما تقول أنا أكرم فلانا لك أي من أجلك وقال بعض أهل العلم الوجل المذكور هاهنا واقع على مضمر

(٤٨٠/٥)

ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجئرون لا تجئروا اليوم إنكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون

قوله تعالى ولدينا كتاب يعني اللوح المحفوظ ينطق بالحق قد أثبت فيه أعمال الخلق فهو ينطق بما يعملون وهم لا يظلمون أي لا ينقصون من ثواب اعمالهم ثم عاد الى الكفار فقال بل قلوبهم في غمرة من هذا قال مقاتل في غفلة عن الإيمان بالقرآن وقال ابن جرير في عمى عن هذا القرآن قال الزجاج يجوز أن يكون إشارة إلى ما وصف من أعمال البر في قوله أولئك يسارعون في الخيرات فيكون المعنى بل قلوب هؤلاء في عماية من هذا ويجوز أن يكون إشارة الى الكتاب فيكون المعنى بل قلوبهم في غمرة من الكتاب الذي ينطق بالحق وأعمالهم محصاة فيه

فخرج في المشار اليه ب هذا ثلاثة أقوال

أحدها القرآن والثاني أعمال البر والثالث اللوح المحفوظ

قوله تعالى ولهم أعمال من دون ذلك فيه أربعة أقوال

أحدها أعمال سيئة دون الشرك رواه عكرمة عن ابن عباس

والثاني خطايا سيئة من دون ذلك الحق قاله مجاهد وقال ابن جرير من دون أعمال المؤمنين وأهل التقوى والخشية

(٤٨١/٥)

والثالث أعمال غير الأعمال التي ذكروا بها سيعملونها قاله الزجاج
والرابع أعمال من قبل الحين الذي قدر الله تعالى أنه يعذبهم عند مجيئه من المعاصي قاله ابو سليمان الدمشقي
قوله تعالى هم لها عاملون إخبار بما سيعملونه من أعمالهم الخبيثة التي كتبت عليهم لا بد لهم من عملها
قوله تعالى حتى إذا أخذنا مترفيهم أي أغنياءهم ورؤساءهم والإشارة الى قريش وفي المراد بالعذاب قولان
أحدهما ضرب السيوف يوم بدر قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك
والثاني الجوع الذي عذبوا به سبع سنين قاله ابن السائب ويجأرون بمعنى يصيحون لا تجأروا اليوم أي لا تستغيثوا من العذاب إنكم منا لا تنصرون أي لا تمنعون من عذابنا قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على أعقابكم تنكصون أي ترجعون وتتأخرون عن الإيمان بها مستكبرين منصوب على الحال وقوله به الكناية عن البيت الحرم وهي كناية عن غير مذكور والمعنى إنكم تستكبرون وتفتخرون بالبيت والحرام لأمنكم فيه مع خوف سائر الناس في مواطنهم تقولون نحن أهل الحرم فلا نخاف أحدا ونحن أهل بيت الله وولاته هذا مذهب ابن عباس وغيره قال الزجاج ويجوز أن تكون الهاء في به للكتاب فيكون المعنى تحدث لكم تلاوته عليكم استكبارا
قوله تعالى سامرا قال ابو عبيدة معناه تهجرون سمارا والسامر بمعنى السمار بمنزلة طفل في موضع أطفال وهو من سمر الليل وقال

(٤٨٢/٥)

ابن قتيبة سامرا أي متحدثين ليلا والسمر حديث الليل وقرأ ابي بن كعب وابو العالية وابن محيصن سمرا بضم السين وتشديد الميم وفتحها جمع سامر وقرأ ابن مسعود وابو رجاء وعاصم الجحدري سمارا برفع السين تشديد الميم وألف بعدها
قوله تعالى تهجرون قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي تهجرون بفتح التاء وضم الجيم وفي معناها أربعة أقوال
أحدها تهجرون ذكر الله والحق رواه العوفي عن ابن عباس
والثاني تهجرون كتاب الله تعالى ونبيه صلى الله عليه و سلم قاله الحسن
والثالث تهجرون البيت قاله ابو صالح وقال سعيد بن جبير كانت قريش تسمر حول البيت وتفتخر به

ولا تطوف به

والرابع تقولون هجرا من القول وهو اللغوا والهذيان قاله ابن قتيبة قال الفراء يقال قد هجر الرجل في منامه إذا هذى والمعنى إنكم تقولون في رسول الله صلى الله عليه و سلم ما ليس فيه ومالا يضره وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن محيصن ونافع تهجرون بضم التاء وكسر الجيم قال ابن قتيبة وهذا من الهجر وهو السب والإفحاش من المنطق يريد سبهم للنبي صلى الله عليه و سلم ومن اتبعه وقرأ ابو العالية وعكرمة وعاصم الجحدري وأبو نهيك تهجرون بتشديد الجيم ورفع التاء قال ابن الأنباري ومعناها معنى قراءة ابن عباس

(٤٨٣/٥)

أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون

قوله تعالى أفلم يدبروا القول يعني القرآن فيعرفوا ما فيه من الدلالات والعبر على صدق رسولهم أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين المعنى أليس قد أرسل الانبياء الى أممهم كما أرسل محمد صلى الله عليه و سلم أم لم يعرفوا رسولهم هذا توبيخ لهم لانهم عرفوا نسبه وصدقه وأمانته صغيرا وكبيرا ثم أعرضوا عنه الجنة الجنون بل جاءهم بالحق يعني القرآن

ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسئلهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وإنك لتدعوهم الى صراط مستقيم

قوله تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم في المراد بالحق قولان

أحدهما أنه الله عز و جل قاله مجاهد وابن جريج والسدي في آخرين

والثاني أنه القرآن ذكره الفراء والزجاج فعلى القول الأول يكون المعنى لو جعل الله لنفسه شريكا كما يحبون وعلى الثاني لو نزل القرآن بما يحبون من جعل شريك لله لفسدت السموات والأرض و من فيهن بل أتيناهم بذكرهم أي بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن فهم عن ذكرهم معرضون أي قد تولوا عما جاءهم من شرف الدنيا والآخرة وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب وابو رجاء وابو الجوزاء بل أتيناهم بذكراهم فهم عن ذكراهم معرضون بألف فيهما أم تسألهم عما جئتهم به خرجا

(٤٨٤/٥)

قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم خرجا بغير الف فخراج بألف وقرأ ابن عامر خرجا فخرج بغير ألف في الحرفين وقرأ حمزة والكسائي خراجا بألف فخراج بألف في الحرفين ومعنى خرجا أجرا ومالا فخراج ربك أي فما يعطيك ربك من أجره وثوابه خير وهو خير الرازقين أي أفضل من أعطى وهذا على سبيل التنبيه لهم أنه لم يسالهم أجرا لا أنه قد سألهم والناكب العادل يقال نكب عن الطريق أي عدل عنه

وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون

قوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قال ابن عباس الضر هاهنا الجوع الذي نزل بأهل مكة حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال اللهم أعني على قريش بسنين كسني يوسف فجاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فشكا اليه الضر وأنهم قد أكلوا القد والعظام فنزلت هذه الآية والتي بعدها وهو العذاب المذكور في قوله ولقد أخذناهم بالعذاب

قوله تعالى حتى إذا فتحنا عليه بابا ذا عذاب شديد فيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه يوم بدر رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

(٤٨٥/٥)

والثاني أنه الجوع الذي أصابهم قاله مقاتل

والثالث باب من عذاب جهنم في الآخرة حكاه الماوردي

قوله تعالى إذا هم فيه مبلسون وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي وأبو المتوكل وأبو نهيك ومعاذ القارىء مبلسون بفتح اللام وقد شرحنا معنى المبلس في الأنعام ٤٥

وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا ءإذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءإنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذ إلا أساطير الأولين قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل أفلا تذكرون

قوله تعالى قليلا ما تشكرون قال المفسرون يريد أنهم لا يشكرون اصلا

قوله تعالى ذرأكم في الأرض أي خلقكم من الارض

قوله تعالى وله اختلاف الليل والنهار أي هو الذي جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض أفلا تعقلون ما ترون من صنعه وما بعد هذا ظاهر الى قوله قل لمن الأرض أي قل لأهل مكة

المكذبين بالبعث لمن الأرض ومن فيها من الخلق إن كنتم تعلمون بحالها سيقولون لله قرأ أبو عمرو لله بغير ألف هاهنا وفي اللذين بعدها بالف وقرأ الباقون لله في المواضع الثلاثة وقراءة ابي عمرو على القياس قال الزجاج ومن قرأ سيقولون الله فهو جواب السؤال ومن قرأ لله فجيد أيضا لأنك

(٤٨٦/٥)

إذا قلت من صاحب هذ الدار فقيل لزيد جاز لأن معنى من صاحب هذه الدار لمن هي وقال ابو علي الفارسي من قرأ لله في الموضعين الآخرين فقد أجاب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ وقرأ سعيد بن جبير وأبو المتوكل وابو الجوزاء سيقولون الله الله بألف فيهن كلهن قال أبو علي الأهوازي وهو في مصاحف أهل البصرة بألف فيهن

قوله تعالى قل أفلا تذكرون فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداءا أقدر على إحياء الأموات

قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون

قوله تعالى افلا تتقون فيه قولان

أحدهما تتقون عبادة غيره والثاني تخشون عذابه فأما الملكوت فقد شرحناه في الأنعام ٧٥

قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه أي يمنع من السوء من شاء ولا يمنع منه من أراده بسوء يقال أجرت فلانا أي حميته وأجرت عليه أي حميت عنه

قوله تعالى فأنى تسحرون قال ابن قتيبة أنى تخدعون وتصرفون عن هذا

بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى

(٤٨٧/٥)

بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون

قوله تعالى بل أتيناهم بالحق أي بالتوحيد والقرآن وإنهم لكاذبون فيما يضيفون الى الله من الولد والشريك ثم نفاهما عنه بما بعد هذا الى قوله إذا لذهب كل إله بما خلق أي لانفرد بخلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره ولمنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق ولعلا بعضهم على بعض أي غلب بعضهم بعضا

قوله تعالى عالم الغيب قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم عالم بالخفض وقرأ نافع

وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم عالم بالرفع قال الاخفش الجر اجود ليكون الكلام من وجه واحد والرفع على أن يكون خبر ابتداء محذوف ويقويه أن الكلام الأول قد انقطع

قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون إدفع بالتي هي احسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون

قوله تعالى إما تريني وقرأ ابو عمران الجوني والضحاك ترئني بالهمز بين الراء والنون من غير ياء والمعنى إن أريتني ما يوعدون من القتل والعذاب فاجعلني خارجا عنهم ولا تهلكني بهلاكهم فأراه الله تعالى ما وعدهم ببدر وغيرها ونجاه ومن معه

قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة فيه اربعة اقوال

(٤٨٨/٥)

أحدها ادفع إساءة المسيء بالصفح قاله الحسن

والثاني أدفع الفحش بالسلام قاله عطاء والضحاك

والثالث ادفع الشرك بالتوحيد قاله ابن السائب

والرابع ادفع المنكر بالموعظة حكاه الماوردي وذكر بعض المفسرين أن هذا منسوخ بأية السيف

قوله تعالى نحن أعلم بما يصفون أي بما يقولون من الشرك والتكذيب والمعنى إنا نجازيهم على ذلك

وقل رب أعوذ أي ألجأ وامتنع بك من همزات الشياطين قال ابن قتيبة هو نخسها وطعنها ومنه قيل للعائب همزة كأنه يطعن وينخس إذا عاب وقال ابن فارس الهمز كالعصر يقال همزت الشيء في كفي ومنه الهمز في الكلام لأنه كأنه يضغط الحرف وقال غيره الهمز في اللغة الدفع وهمزات الشياطين دفعهم بالإغواء الى المعاصي

قوله تعالى أن يحضرون أي أن يشهدون والمعنى أن يصيبوني بسوء لأن الشيطان لا يحضر ابن آدم الا بسوء هم ثم أخبر أن هؤلاء الكفار المنكرين للبعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند الموت بالآية التي تلي هذه وقيل هذا السؤال منهم للملائكة الذين يقبضون أرواحهم

فان قيل كيف قال ارجعون وهو يريد ارجعني

فالجواب أن هذا اللفظ تعرفه العرب للعظيم الشأن وذلك أنه يخبر عن نفسه فيه بما تخبر به الجماعة كقوله إنا نحن نحيي ونميت ق ٤٣ فجاء خطابه كاخباره عن نفسه هذا قول الزجاج

(٤٨٩/٥)

حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يؤمئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون

قوله تعالى لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال ابن عباس فيما مضى من عمري وقال مقاتل فيما تركت من العمل الصالح

قوله تعالى كلا أي لا يرجع الى الدنيا إنها يعني مسألته الرجعة كلمة هو قائلها أي هو كلام لا فائدة له فيه ومن ورائهم أي أمامهم وبين أيديهم برزخ قال ابن قتيبة البرزخ ما بين الدنيا والآخرة وكل شيء بين شيئين فهو برزخ وقال الزجاج البرزخ في اللغة الحاجز وهو هاهنا ما بين موت الميت وبعثه

قوله تعالى فاذا نفخ في الصور في هذه النفخة قولان

أحدهما أنها النفخة الأولى رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس

والثاني أنها الثانية رواه عطاء عن ابن عباس

قوله تعالى فلا أنساب بينهم في الكلام محذوف تقديره لا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها او يتقاطعون بها لأن الأنساب لا تنقطع يومئذ إنما يرفع التواصل والتفخار بها

وفي قوله ولا يتساءلون ثلاثة أقوال

أحدها لا يتساءلون بالانساب أن يترك بعضهم لبعض حقه

والثاني لا يسأل بعضهم بعضا عن شأنه لاشتغال كل واحد بنفسه

والثالث لا يسأل بعضهم بعضا من أي قبيل أنت كما تفعل العرب لتعرف النسب فتعرف قدر الرجل وما بعد هذا قد سبق تفسيره الاعراف ٨ الى قوله تلفح وجوههم النار قال الزجاج تلفح وتنفح بمعنى واحد إلا أن اللفح أعظم تأثيرا والكالح الذي قد تشمرت شفته عن اسنانه نحو ما ترى من رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه وقال ابن مسعود قد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشيط بالنار وروى أبو عبد الله الحاكم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال في هذه الآية تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته

ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا

منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا

(٤٩١/٥)

وراحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون إني حزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون

قوله تعالى الم تكن المعنى ويقال لهم الم تكن آياتي تتلى عليكم يعني القرآن قالوا ربن غلبت علينا شقوتنا قرأ ابن كثير وعاصم ونافع وأبو عمرو وابن عامر شقوتنا بكسر الشين من غير الف وقرأ عمرو ابن العاص وابو رزين العقبلي كما ورد في المصدر و الأصح العقيلي وأبو رجاء العطاردي كذلك إلا أنه بفتح الشين و قرأ ابن مسعود وابن عباس وابو عبد الرحمن السلمي والحسن والأعمش وحمزة والكسائي شقاوتنا بألف مع فتح الشين والقاف وعن الحسن وقتادة كذلك إلا أن الشين مكسورة قال المفسرون أقر القوم بأن ما كتب عليهم من الشقاء منعهم الهدى

قوله تعالى ربنا أخرجنا منها أي من النار قال ابن عباس طلبوا الرجوع الى الدنيا فان عدنا أي الى الكفر والمعاصي

قوله تعالى اخسؤوا قال الزجاج تباعدوا تباعد سخط يقال خسأت الكلب اخسؤه إذا زجرته ليتباعد

قوله تعالى ولا تكلمون أي في رفع العذاب عنك قال عبد الله ابن عمرو إن اهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاما فلا يجيبهم ثم يقول إنكم ماكثون الزخرف ٧٧ ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فيدعهم مثل عمر الدنيا ثم يقول إنكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فيدعهم مثل عمر الدنيا ثم يرد عليهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان الا الزفير والشهيق

(٤٩٢/٥)

ثم بين الذي لأجله أخسأهم بقوله إنه وقرأ ابن مسعود وأبو عمران الجوني وعاصم الجحدري أنه بفتح الهمزة كان فريق من عبادي قال ابن عباس يريد المهاجرين قوله تعالى فاتخذتموهم قال الزجاج الأجود إدغام الذال في التاء لقرب المخرجين وإن شئت أظهرت لأن الذال من كلمة والتاء من كلمة وبين الذل والتاء في المخرج شيء من التباعد

قوله تعالى سخريا قرأ نافع وحمزة والكسائي وابو حاتم عن يعقوب سخريا بضم السين هاهنا وفي ص٦٣ تابعهم المفضل في ص٣٢ وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم وابن عامر بكسر السين في

السورتين ولم يختلف في ضم السين في الحرف الذي في الزخرف ٣٢ واختار الفراء الضم والزجاج الكسر وهل هما بمعنى فيه قولان

أحدهما أنهما لغتان ومعناهما واحد قاله الخليل وسيبويه ومثله قول العرب بحر لجي ولجي وكوكب دري ودري

والثاني أن الكسر بمعنى الهمز والضم بمعنى السخرة والاستعباد قاله ابو عبيدة وحكاه الفراء وهو مروي عن الحسن وقتادة

قال ابوعلي قراءة عن كسر ارجح من قراءة من ضم لأنه من الهزء والأكثر في الهزء كسر السين قال مقاتل كان رؤوس كفار قريش كأبي جهل وعقبة والوليد قد اتخذوا فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم كعمار وبلال وخباب وصهيب سخريا يستهزئون بهم ويضحكون منهم

(٤٩٣/٥)

قوله تعالى حتى أنسوكم ذكري أي أنساكم الاشتغال بالاستهزاء بهم ذكري فنسب الفعل الى المؤمنين وإن لم يفعلوه لأنهم كانوا السبب في وجوده كقوله إنهن أضللن كثيرا من الناس ابراهيم ٣٦

قوله تعالى إني جزيتهم اليوم بما صبروا أي على أذاكم واستهزائكم أنهم قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابو عمرو وابن عامر أنهم بفتح الألف وقرأ حمزة والكسائي إنهم بكسرها فمن فتح أنهم فالمعنى جزيتهم بصبرهم الفوز ومن كسر إنهم استأنف

قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فسئل العادين قال إن لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلها آخر لابرهان له به فانما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين

قوله تعالى قال كم لبثتم قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر قال كم لبثتم وهذا سؤال الله تعالى للكافرين وفي وقته قولان

أحدهما أنه يسألهم يوم البعث

والثاني بعد حصولهم في النار

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي قل كم لبثتم وفيها قولان

أحدهما أنه خطاب لكل واحد منهم والمعنى قل يا ايها الكافر

(٤٩٤/٥)

والثاني أن المعنى قولوا فأخرجه مخرج الأمر للواحد والمراد الجماعة لأن المعنى مفهوم وأبو عمرو وحمزة والكسائي يدغمون ثاء لبثتم والباقون لا يدغمونها فمن أدغم فلتقارب مخرج الثاء والتاء ومن لم يدغم فلتباين المخرجين

وفي المراد بالأرض قولان أحدهما أنها القبور والثاني الدنيا فاحتقر القوم ما لبثوا لما عاينوا من الأهوال والعذاب فقالوا لبثنا يوما أبو بعض يوم قال الفراء والمعنى لا ندري كم لبثنا

وفي المراد بالعادين قولان

أحدهما الملائكة قاله مجاهد

والثاني الحساب قاله قتادة وقرأ الحسن والزهري وأبو عمران الجوني وابن يعمر العادين بتخفيف الدال

قوله تعالى قال إن لبثتم قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابو عمرو وابن عامر قال إن لبثتم وقرأ حمزة والكسائي قل إن لبثتم على معنى قل أيها السائل عن لبثهم وزعموا أن في مصحف أهل الكوفة قل في الموضعين فقرأهما حمزة والكسائي على ما في مصاحفهم أي ما لبثتم في الأرض إلا قليلا لأن مكثهم في الأرض وإن طال فانه متناه ومكثهم في النار لا يتناهى

وفي قوله لو أنكم كنتم تعلمون قولان

أحدهما لو علمتم قدر لبثكم في الأرض

والثاني لم علمتم أنكم الى الله ترجعون فعملتم لذلك

قوله تعالى أفحسبتم أي أفظننتم أنما خلقناكم عبثا أي

للعبث والعبث في اللغة اللعب وقيل هو الفعل لا لغرض صحيح وأنكم إلينا لا ترجعون قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم لا ترجعون بضم التاء وقرأ حمزة والكسائي بفتحها فتعالى الله عما يصفه به الجاهلون من الشرك والولد الملك قال الخطابي هو التام الملك الجام ع لأصناف المملوكات وأما المالك فهو الخالص الملك وقد ذكرنا معنى الحق في يونس ٣٢

قوله تعالى رب العرش الكريم والكريم في صفة الجماد بمعنى الحسن وقرأ ابن محيصن الكريم برفع الميم يعني الله عز و جل

قوله تعالى لا برهان له به أي لا حجة له به ولا دليل وقال بعضهم معناه فلا برهان له به

قوله تعالى فانما حسابه عند ربه أي جزاؤه عند ربه

تم بعون الله تبارك وتعالى الجزءالخامس من كتاب

زاد المسير في علم التفسير ويليه الجزء السادس
وأوله تفسير سورة النور

(٤٩٦/٥)

سورة النور بسم الله الرحمن الرحيم سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين
وهي مدينة كلها باجماعهم
روى ابو عبد الله الحاكم في صحيحه من حديث عائشة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسوره النور يعني النساء

(٣/٦)

قوله عز و جل سورة قرأ الجمهور بالرفع وقرأ أبو رزين العقبلي وابن أبي عبلة ومحبوب عن أبي عمرو سورة بالنصب قال أبو عبيدة من رفع فعلى الابتداء وقال الزجاج هذا قبيح لأنها نكرة وأنزلناها صفة لها وإنما الرفع على إضمار هذه سورة والنصب على وجهين أحدهما على معنى أنزلنا سورة وعلى معنى أتل سورة
قوله تعالى وفرضناها قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتشديد وقرأ ابن مسعود وأبو عبد الرحمن السلمي والحسن وعكرمة والضحاك والزهري ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وابن يعمر والأعمش وابن أبي عبلة بالتخفيف قال الزجاج من قرأ بالتشديد فعلى وجهين أحدهما على معنى التكثير أي إننا فرضنا فيها فروضا والثاني على معنى بينا وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام ومن قرأ بالتخفيف فمعناه ألزمناكم العمل

(٤/٦)

بما فرض فيها وقال غيره من شدد أراد فصلنا فرائضها ومن خفف فمعناه فرضنا مافيها
قوله تعالى الزانية والزاني القراءة المشهورة بالرفع وقرأ أبو رزين العقيلي وأبو الجوزاء وابن أبي عبلة

وعيسى بن عمر الزانية بالنصب واختار الخليل وسيبويه الرفع اختيار الأكثرين قال الزجاج والرفع أقوى في العربية لأن معناه من زنى فاجلدوه فتأويله الابتداء ويجوز النصب على معنى اجلدوا الزانية فأما الجلد فهو ضرب الجلد يقال جلده إذا ضرب جلده كما يقال بطنه إذا ضرب بطنه

قال المفسرون ومعنى الآية الزانية والزاني إذا كانا حرين بالغين بكرين فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة – فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله هذه الآية تقتضي وجوب الجلد على البكر والثيب وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في حق البكر زيادة على الجلد بتغريب عام وفي حق الثيب زيادة على الجلد بالرجم بالحجارة فروى عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة وممن قال بوجوب النفي في حق البكر

(٥/٦)

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عمر وممن بعدهم عطاء وطاووس وسفيان ومالك وابن أبي ليلى والشافعي وأحمد وإسحاق وممن قال بالجمع بين الجلد والرجم في حق الثيب علي بن أبي طالب والحسن البصري والحسن بن صالح واحمد وإسحاق قال وذهب قوم من العلماء إلى أن المراد بالجلد المذكور في هذه الآية البكر

(٦/٦)

فأما الثيب فلا يجب عليه الجلد وإنما يجب الرجم روي عن عمر وبه قال النخعي والزهري والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة ومالك وروي عن احمد رواية مثل قول هؤلاء

قوله تعالى ولا تأخذكم وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وأبو رزين والضحاك وبن يعمر والأعمش يأخذكم بالياء بهما رأفة قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي رأفة باسكان الهمزة وقرا المتوكل ومجاهد وأبو عمران الجوني وابن كثير بفتح الهمزة وقصرها على وزن رعفة وقرأ سعيد بن جبير والضحاك وأبو رجاء العطاردي رآفة مثل سآمة وكآبة

وفي معنى الكلام قولان

أحدهما لا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب ولكن أوجعوهما قاله سعيد بن المسيب والحسن والزهري وقتادة

والثاني لا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا نقيموها قاله مجاهد والشعبي وابن زبد في آخرين –

فصل

واختلف العلماء في شدة الضرب في الحدود فقال الحسن البصري ضرب الزنا أشد من القذف والقذف أشد من الشرب ويضرب الشارب أشد من ضرب التعزير وعلى هذا مذهب أصحابنا وقال أبو حنيفة التعزير أشد الضرب وضرب الزاني أشد من ضرب الشارب وضرب الشارب أشد من ضرب القذف وقال مالك الضرب في الحدود كلها سواء غير مبرح

– فصل

فأما ما يضرب من الأعضاء فنقل الميموني عن احمد في جلد الزاني قال يجرد ويعطى كل عضو حقه ولا يضرب وجهه ولا رأسه ونقل يعقوب ابن بختان لا يضرب الرأس ولا الوجه ولا المذاكير وهو قول أبي حنيفة وقال مالك لا يضرب إلا في الظهر وقال الشافعي يتقى الفرج والوجه

قوله تعالى في دين الله فيه قولان

أحدهما في حكمه قاله ابن عباس والثاني في طاعة الله ذكره الماوردي

قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الزجاج القراءة باسكان اللام ويجوز كسرها والمراد بعذابهما ضربهما

وفي المراد بالطائفة هاهنا خمسة أقوال

أحدها الرجل فما فوقه رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقال النخعي الواحد طائفة والثاني ألإثنان فصاعدا قاله سعيد بن جبير وعطاء وعن عكرمة كالقولين قال الزجاج والقول الأول على غير ما عند أهل اللغة لأن الطائفة في معنى جماعة وأقل الجماعة اثنان

والثالث

والثالث ثلاثة فصاعدا قاله الزهري

والرابع أربعة قاله ابن زيد

والخامس عشرة قاله الحسن البصري

قوله تعالى الزاني لا ينكح إلا زانية قال عبد الله بن عمرو كانت امرأة تسافح وتشترط للذي يتزوجها أن تكفيه النفقة فأراد رجل من المسلمين أن يتزوجها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم فنزلت

هذه الآية وقال عكرمة نزلت في بغايا كن بمكة ومنهن تسع صواحب رايات وكانت بيوتهن تسمى في الجاهلية المواخير ولا يدخل عليهن إلا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان فأراد ناس من المسلمين نكاحهن فنزلت هذه الآية قال المفسرون ومعنى الآية الزاني من المسلمين لا يتزوج من اولئك البغايا إلا زانية أو مشركة لأنهن كذلك كن والزانية منهن لا ينكحها إلا زان أو مشرك ومذهب أصحابنا أنه إذا زنى بامرأة لم يجز له ان يتزوجها إلا بعد التوبة منهما

(٩/٦)

قوله تعالى وحرم ذلك وقرأ أبي بن كعب وأبو المتوكل وأبو الجوزاء وحرم الله ذلك بزيادة اسم الله عز و جل مع فتح حروف حرم وقرأ زيد بن علي وحرم ذلك بفتح الحاء وضم الراء مخففة ثم فيه قولان أحدهما أنه نكاح الزواني قاله مقاتل والثاني الزنا قاله الفراء والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبد وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم

قوله تعالى والذين يرمون المحصنات شرائط الإحصان في الزنا الموجب للرجم عندنا أربعة البلوغ والحرية والعقل والوطء في نكاح صحيح فأما الإسلام فليس بشرط في الإحصان خلافا لأبي حنيفة ومالك وأما شرائط إحصان القذف فأربع الحرية والإسلام والعفة وأن يكون المقذوف ممن يجامع مثله ومعنى الآية يرمون المحصنات بالزنا فاكتفى بذكره المتقدم عن إعادته ثم لم يأتوا على ما رموهن به بأربعة شهداء عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ذلك فاجلدوهم يعني القاذفين – فصل

وقد أفادت هذه الآية أن على القاذف إذا لم يقم البينة الحد ورد الشهادة وثبوت الفسق واختلفوا هل يحكم بفسقه ورد شهادته بنفس القذف أم بالحد فعلى قول أصحابنا إنه يحكم بفسقه ورد شهادته إذا لم يقم البينة وهو قول

(١٠/٦)

الشافعي وقال أبو حنيفة ومالك لا يحكم بفسقه وتقبل شهادته مالم يقم الحد عليه – فصل

والتعريض بالقذف كقوله لمن يخاصمه ما أنت بزان ولا أمك زانية يوجب الحد في المشهور من مذهبنا وقال أبو حنيفة لا يوجب الحد وحد العبد في القذف نصف حد الحر وهو أربعون قاله الجماعة إلا الأوزاعي فانه قال ثمانون فأما قاذف المجنون فقال الجماعة لا يحد وقال الليث يحد فأما الصبي فان كان مثله يجامع أو كانت صبية مثلها يجامع فعلى القاذف الحد وقال مالك يحد قاذف الصبية التي

يجامع مثلها ولايحد قذف الصبي وقال ابو حنيفه والشافعي لا يحد قاذفهما فان قذف رجل جماعة بكلمة واحدة فعليه حد واحد وإن أفرد كل واحد بكلمة فعليه لكل واحد حد وهو قول الشعبي وابن أبي ليلى وقال أبو حنيفة وأصحابه عليه حد واحد سواء قذفهم بكلمة أو بكلمات – فصل

وحد القذف حق لآدمي يصح ان يبرئ منه ويعفو عنه وقال أبو حنيفة هو حق لله وعندنا أنه لا يستوفي إلا بمطالبة المقذوف وهو قول الأكثرين وقال ابن أبي ليلى يحده الإمام وإن لم يطالب المقذوف

(٦/١١)

قوله تعالى إلا الذين تابوا أي من القذف وأصلحوا قال ابن عباس أظهروا التوبة وقال غيره لم يعودوا إلى قذف المحصنات

وفي هذا الإستثناء قولان

أحدهما أنه نسخ حد القذف وإسقاط الشهادة معا وهذا قول عكرمة والشعبي وطاووس ومجاهد والقاسم بن محمد والزهري والشافعي واحمد

والثاني أنه يعود إلى الفسق فقط وأما الشهادة فلا تقبل أبدا قاله الحسن وشريح وإبراهيم وقتادة فعلى هذا القول انقطع الكلام عند قوله أبدا وعلى القول الأول وقع الاستثناء على جميع الكلام وهذا أصح لأن المتكلم بالفاحشة لا يكون أعظم جرما من راكبها فإذا قبلت شهادة المقذوف بعد ثبوته فالرامي أيسر جرما وليس القاذف بأشد جرما من الكافر فإنه إذا أسلم قبلت شهادته والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين

(٦/١٢)

والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم

قوله تعالى والذين يرمون أزواجهم سبب نزولها أن هلال بن أمية وجد عند اهله رجلا فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح فغدا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله إني جئت أهلي فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله صلى الله عليه و سلم ما جاء به واشتد عليه فقال سعد بن عبادة الآن يضرب رسول الله هلالا ويبطل شهادته فقال هلال والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجا فوالله إن رسول الله صلى الله عليه و سلم يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه

الوحي فنزلت هذه الآية رواه عكرمة عن ابن عباس وفي حديث آخر أن الرجل الذي قذفها به شريك بن سحماء وأن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لهلال حين قذفها ائتني بأربعة شهداء وإلا فحد في ظهرك فنزلت هذه الآية فنسخ حكم الجلد في حق الزوج القاذف

(٦/١٣)

– فصل

في بيان حكم الآية

إذا قذف الرجل زوجته بالزنا لزمه الحد وله التخلص منه باقامة البينة أو باللعان فان أقام البينة لزمها الحد وإن لاعنها فقد حقق عليها الزنا ولها التخلص منه باللعان فان نكل الزوج عن اللعان فعليه حد القذف وإن نكلت الزوجة لم تحد وحبست حتى تلاعن أو تقر بالزنا في إحدى الروايتين وفي الأخرى يخلى سبيلها وقال أبو حنيفة لا يحد واحد منهما ويحبس حتى يلاعن وقال مالك والشافعي يجب الحد على الناكل منهما – فصل

ولا تصح الملاعنة إلا بحضرة الحاكم فان كانت المرأة خفرة بعث الحاكم من يلاعن بينهما وصفة اللعان أن يبدأ الزوج فيقول أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا أربع مرات ثم يقول في الخامسة ولعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم تقول الزوجة أربع مرات أشهد بالله لقد كذب فيما رماني به من الزنا ثم نقول وغضب الله عليها إن كان من الصادقين والسنة أن يتلاعنا قياما ويقال للزوج إذا بلغ اللعنة اتق الله فإنها الموجبة وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وكذلك يقال للزوجة إذا بلغت إلى الغضب فان كان بينهما ولد اقتصر نفيه عن الأب إلى ذكره في اللعان فيزيد في الشهادة وما هذا الولد ولدي وتزيد هي وإن هذا الولد ولده

(٦/١٤)

– فصل

واختلف الفقهاء في الزوجين اللذين يجري بينهما اللعان فالمشهور عن أحمد أن كل زوج صح قذفه صح لعانه فيدخل تحت هذا المسلم والكافر والحر والعبد وكذلك المرأة وهذا قول مالك والشافعي وقال أبو حنيفة لا يجوز اللعان بين الحر والأمة ولا بين العبد والحرة ولا بين الذميين أو إذا كان أحدهما ذميا ونقل حرب عن أحمد نحو هذا والمذهب هو الأول ولا تختلف الرواية عن احمد ان فرقة اللعان لا تقع بلعان الزوج وحده واختلف هل تقع بلعانهما من غير فرقة الحاكم على روايتين وتحريم اللعان مؤبد

فان أكذب الملاعن نفسه لم تحل له زوجته أيضا وبه قال عمر وعلي وابن مسعود وعن أحمد روايتان أصحهما هذا والثانية يجتمعان بعد التكذيب وهو قول أبي حنيفة

قوله تعالى ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم وقرأ أبو المتوكل وابن يعمروالنخعي تكن بالتاء

قوله تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم أربع بفتح العين وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم برفع العين قال الزجاج من رفع اربع فالمعنى فشهادة احدهم التي تدرأ حد القذف أربع ومن نصب فالمعنى فعليهم ان يشهد أحدهم اربع

قوله تعالى والخامسة قرأ حفص عن عاصم والخامسة نصبا حملا على نصب أربع شهادات

قوله تعالى أن لعنة الله عليه قرأ نافع ويعقوب والمفضل أن

لعنة الله و أن غضب الله بتخفيف النون فيهما وسكونهما ورفع الهاء من لعنة والباء من غضب إلا ان نافعا كسر الضاد من غضب وفتح الباء

قوله تعالى ويدرأ عنها أي ويدفع عنها العذاب وفيه ثلاثة أقوال

أحدهما أنه الحد والثاني الحبس ذكرهما ابن جرير والثالث العار

قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته أي ستره ونعمته قال الزجاج وجواب لولا هاهنا متروك والمعنى لولا ذلك لنال الكاذب منكم عذاب عظيم وقال غيره لولا فضل الله لبين الكاذب من الزوجين فأقيم عليه الحد وأن الله تواب يعود على من رجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرض من الحدود إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم

ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة

والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم
قوله تعالى إن الذين جاؤوا بالإفك أجمع المفسرون أن هذه الآية وما يتعلق بها بعدها نزلت في قصة عائشة وفي حديث الإفك أن هذه الآية إلى عشر آيات نزلت في قصة عائشة وقد ذكرنا حديث الإفك في كتاب الحدائق وفي كتاب المغني في التفسير فلم نطل بذكره لأن غرضنا اختصار هذا الكتاب ليحفظ فأما الإفك فهو الكذب والعصبة الجماعة

(١٧/٦)

ومعنى قوله منكم أي من المؤمنين وروى عروة عن عائشة أنها قالت هم أربعة حسان بن ثابت وعبد الله بن أبي بن سلول ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وكذلك عدهم مقاتل
قوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم قال المفسرون هذا خطاب لعائشة وصفوان بن المعطل وقيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم وأبي بكر وعائشة والمعنى إنكم تؤجرون فيه لكل امرئ منهم يعني من العصبة الكاذبة ما اكتسب من الإثم أي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر خوضه فيه والذي تولى كبره منهم وقرأ ابن عباس وأبو رزين وعكرمة ومجاهد وابن أبي عبلة والحسن ومحبوب عن أبي عمرو ويعقوب كبره بضم

(١٨/٦)

الكاف قال الكسائي وهما لغتان وقال ابن قتيبة كبر الشئ معظمه ومنه هذه الآية قال قيس بن الخطيم يذكر امرأة ... تنام عن كبر شأنها فإذا قامت رويدا تكاد تنعرف ...
وفي المتولي لذلك قولان
أحدهما أنه عبد الله بن أبي رواه أبو صالح عن ابن عباس وعروة عن عائشة وبه قال مجاهد والسدي ومقاتل قال المفسرون هو الذي أشاع الحديث فله عذاب عظيم بالنار وقال الضحاك هو الذي بدأ بذلك
والثاني أنه حسان روى الشعبي أن عائشة قالت ما سمعت أحسن من شعر حسان وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة فقيل يا أم المؤمنين أليس الله يقول والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت اليس قد ذهب بصره وروى عنها مسروق أنها قالت وأي عذاب أشد من العمى ولعل الله أن يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره تعني حسان بن ثابت

ثم إن الله عز و جل أنكر على الخائضين في الإفك بقوله لولا إذ سمعتموه أي هلا إذ سمعتم أيتها العصبة الكاذبة قذف عائشة ظن المؤمنون من العصبة الكاذبة وهم حسان ومسطح والمؤمنات وهي حمنة بنت جحش بأنفسهم وفيها ثلاثة أقوال

أحدها بأمهاتهم والثاني بأخواتهم والثالث بأهل دينهم لان المؤمنين كنفس واحدة وقالوا هذا إفك مبين أي كذب بين وجاء في التفسير أن أبا أيوب الأنصاري قالت له أمه ألا تسمع ما يقول الناس في أمر عائشة فقال هذا إفك مبين أكنت يا أماه فاعلته قالت معاذ الله قال فعائشة والله خير منك فنزلت هذه الآية

قوله تعالى لولا جاؤوا أي هلا جاءت العصبة الكاذبة على قذفهم عائشة بأربعة شهداء وقرأ الضحاك وعاصم الجحدري بأربعة منونة والمعنى يشهدون بأنهم عاينوا ما رموها به فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله أي في حكمه هم الكاذبون ثم ذكر القاذفين فقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته أي لولا ما من الله به عليكم لمسكم أي لأصابكم فيما أفضتم أي أخذتم وخضتم فيه من الكذب والقذف

عذاب عظيم في الدنيا والآخرة ثم ذكر الوقت الذي لولا فضله لأصابهم فيه العذاب فقال إذ تلقونه وكان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا فيتلقاه بعضهم من بعض وقرأ عمر بن الخطاب إذ تلقونه بتاء واحدة خفيفة مرفوعة وإسكان اللام وقاف منقوطة بنقطتين مرفوعة خفيفة وقرأ معاوية وابن السميفع مثله إلا أنهما فتحا التاء والقاف وقرأ ابن مسعود تتلقونه بتاءين مفتوحتين مع نصب اللام وتشديد القاف وقرأ أبي بن كعب وعائشة ومجاهد وأبو حيوة تلقونه بتاء واحدة خفيفة مفتوحة وكسر اللام ورفع القاف وقال الزجاج تلقونه يلقيه بعضكم إلى بعض وتلقونه ومعناه إذ تسرعون بالكذب يقال ولق يلق إذا أسرع في الكذب وغيره قال الشاعر ...

جاءت به عنس من الشام تلق

أي تسرع وقال ابن قتيبة تلقونه أي تقبلونه ومن قرأ تلقونه أخذه من الولق وهو الكذب

قوله تعالى وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أي من غير أن تعلموا أنه حق وتحسبونه يعني ذلك القذف هينا أي سهلا لا إثم

فيه وهو عند الله عظيم في الوزر ثم زاد عليهم في الإنكار فقال ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أي ما يحل وما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا سبحانك وهو يحتمل التنزيه والتعجب وروت عائشة أن امرأة أبي أيوب الأنصاري قالت له ألم تسمع ما يتحدث الناس فقال ما يكون لنا ان نتكلم بهذا الآية فنزلت الآية وقد روينا آنفا أن أمه ذكرت له ذلك فنزلت الآية المتقدمة وروي عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ذلك قال سبحانك هذا بهتان عظيم فقيل للناس هلا قلتم كما قال سعد

قوله تعالى يعظكم الله أي ينهاكم الله ان تعودوا لمثله أي إلى مثله إن كنتم مؤمنين لأن من شرط الإيمان ترك قذف المحصنة ويبين الله لكم الآيات في الأمر والنهى

ثم هدد القاذفين بقوله إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة أي يحبون أن يفشو القذف بالفاحشة وهي الزنا في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا يعني الجلد والآخرة عذاب النار وروت عمرة عن عائشة قالت لما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه و سلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل امر برجلين وامرأة فضربوا حدهم وروى أبو صالح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم جلد عبد الله بن ابي ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش فأما الثلاثة فتابوا وأما عبد الله فمات منافقا وبعض العلماء ينكر صحة هذا ويقول لم يضرب أحدا

قوله تعالى والله يعلم شر ما خضتم فيه وما يتضمن من سخط الله وأنتم لا تعلمون ذلك ولولا فضل الله عليكم جوابه محذوف تقديره لعاقبكم فيما قلتم لعائشة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان وحمنة يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم

قوله تعالى لا تتبعوا خطوات الشيطان أي تزيينه لكم قذف عائشة وقد سبق شرح خطوات الشيطان وبيان الفحشاء والمنكر

قوله تعالى ما زكى منكم وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ما زكى بتشديد الكاف

وفيمن خوطب بهذا قولان

أحدهما أنه عام في الخلق والثاني أنه خاص للمتكلمين في الإفك ثم في معناه أربعة أقوال

أحدهما ما اهتدى رواه ابن ابي طلحة عن ابن عباس والثاني ما أسلم قاله ابن زيد والثالث ما صلح قاله مقاتل والرابع ما طهر قاله ابن قتيبة

قوله تعالى ولكن الله يزكي من يشاء أي يطهر من يشاء من

الإثم بالتوبة والغفران فالمعنى وقد شئت ان أتوب عليكم والله سميع عليم علم ما في نفوسكم من التوبة والندامة ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم

قوله تعالى ولا يأتل وقرأ الحسن وأبو العالية وأبو جعفر وابن أبي عبلة ولا يتأل بهمزة مفتوحة بين التاء واللام وتشديد اللام على وزن يتعل قال المفسرون سبب نزولها أن أبا بكر الصديق كان ينفق على مسطح لقرابته وفقره فلما خاض في أمر عائشة قال أبو بكر والله لا أنفق عليه شيئا أبدا فنزلت هذه الآية فأما الفضل فقال أبو عبيدة هو التفضل والسعة الجدة قال المفسرون والمراد به أبو بكر

قوله تعالى أن يؤتوا قال ابن قتيبة معناه أن لا يؤتوا فحذف لا فأما قوله أولي القربى فانه يعنى مسطحا وكان أبن خالة أبي بكر وكان مسكينا وكان مهاجرا قال المفسرون فلما سمع أبو بكر ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال بلى يا رب وأعاد نفقته على مسطح إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم

ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين

قوله تعالى إن الذين يرمون المحصنات يعني العفائف الغافلات عن الفواحش لعنوا في الدنيا أي عذبوا بالجلد وفي الآخرة بالنار

واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على أربعة أقوال

أحدها انها نزلت في عائشة خاصة قال خصيف سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية فقلت من قذف محصنة لعنة الله قال لا إنما أنزلت هذه الآية في عائشة خاصة

والثاني أنها في أزواج النبي صلى الله عليه و سلم خاصة قاله الضحاك

والثالث أنها في المهاجرات قال أبو حمزة الثمالي بلغنا أن المرأة كانت إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا إنما خرجت تفجر فنزلت هذه الآية

والرابع أنها عامة في ازواج النبي صلى الله عليه و سلم وغيرهن وبه قال قتادة وابن زيد

فان قيل لم اقتصر على ذكر المحصنات دون الرجال

فالجواب أن من رمى مؤمنة فلا بد أن يرمي معها مؤمنا فاستغني عن ذكر المؤمنين ومثله سرابيل تقيكم الحر أراد والبرد قاله الزجاج

قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وقرأ حمزة والكسائي وخلف يشهد بالياء وهو إقرارها بما تكلموا به من الفرية قال ابو سليمان الدمشقي وهؤلاء غير الذين يختم على أفواههم وقال ابن جرير المعنى ان السنة بعضهم تشهد على بعض

قوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق أي حسابهم العدل وقيل جزاءهم الواجب وقرأ مجاهد وأبو الجوزاء وحميد بن قيس والأعمش دينهم الحق برفع القاف ويعلمون أن الله هو الحق المبين قال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن ابي كان يشك في الدين فإذا كانت القيامة علم حيث لا ينفعه الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم

قوله تعالى الخبيثات للخبيثين فيه أربعة أقوال

أحدها الكلمات الخبيثات لا يتكلم بها إلا الخبيث من الرجال والنساء والكلمات الطيبات لا يتكلم بها إلا الطيبون من الرجال والنساء

والثاني الكلمات الخبيثات إنما تلصق بالخبيثين من الرجال والنساء فأما الطيبات والطيبون فلا يصلح أن يقال في حقهم إلا الطيبات

والثالث الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والطيبات من النساء للطيبين من الرجال

والرابع الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من الأعمال وكذلك الطيبات أولئك يعني عائشة وصفوان مبرؤون أي منزهون مما يقولون من الفرية لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في الجنة يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون

قوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ذكر أهل التفسير ان سبب نزولها أن امرأة من الانصار جاءت إلى رسول الله ص فقالت يا رسول الله إني اكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد فلا

يزال يدخل علي رجل من اهلي فنزلت هذه الآية فقال ابو بكر بعد نزولها يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن فنزل قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة الآية ومعنى قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم

(٢٧/٦)

أي بيوتا ليست لكم واختلف القراء في باء البيوت فقرأ بعضهم بضمها وبعضهم بكسرها وقد بينا ذلك في البقرة

قوله تعالى حتى تستأنسوا قال الفراء في الكلام تقديم وتأخير تقديره حتى تسلموا وتستأنسوا قال الزجاج وتستأنسوا في اللغة بمعنى تستأذنوا وكذلك هو في التفسير والاستئذان الاستعلام تقول آذنته بكذا أي أعلمته وآنست منه كذا أي علمت منه ومثله فان آنستم منهم رشدا أي علمتم فمعنى الآية حتى تستعلموا يريد أهلها ان تدخلوا ام لا قال المفسرون وصفة الاستعلام ان تقول السلام عليكم ااادخل ولا يجوز أن تدخل بيت غيرك إلا بالاستئذان لهذه الآية ذلكم خير لكم من أن تدخلوا بغير إذن لعلكم تذكرون أن الاستئذان خير فتأخذون به قال عطاء قلت لابن عباس أستأذن على أمي وأختي ونحن في بيت واحد قال أيسرك أن ترى منهن عورة قلت لا قال فاستأذن

قوله تعالى فان لم تجدوا فيها احدا أي إن وجدتموها خالية فلا تدخلوا حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا أي إن ردوكم فلا تقضوا على أبوابهم وتلازموها هو أزكى لكم يعني الرجوع خير لكم وأفضل والله بما تعملون من الدخول باذن وغير إذن عليم

(٢٨/٦)

– فصل

وهل هذه الآية منسوخة أم لا فيها قولان

أحدهما أن حكمها عام في جميع البيوت ثم نسخت منها البيوت التي ليس لها أهل يستأذنون بقوله تعالى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة هذا مروي عن الحسن وعكرمة

والثاني أن الآيتين محكمتان فالاستئذان شرط في الأولى إذا كان للدار أهل والثانية وردت في بيوت لا ساكن لها والإذن لا يتصور من غير آذن فاذا بطل الاستئذان لم تكن البيوت الخالية داخلة في الأولى وهذا أصح

قوله تعالى أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها خمسة اقوال

أحدها أنها الخانات والبيوت المبينة للسابلة ليأووا إليها ويؤووا أمتعتهم قاله قتادة
والثاني أنها البيوت الخربة والمتاع قضاء الحاجة فيها من الغائط والبول قاله عطاء
والثالث أنها بيوت مكة قاله محمد بن الحنفية
والرابع حوانيت التجار التي بالأسواق قاله ابن زيد
والخامس أنها جميع البيوت التي لا ساكن لها لأن الاستئذان إنما جعل لأجل الساكن قاله ابن جريج
فيخرج في معنى المتاع ثلاثة أقوال

(٢٩/٦)

أحدهما الأمتعة التي تباع وتشترى والثاني إلقاء الأذى من الغائط والبول والثالث الانتفاع بالبيوت لاتقاء الحر والبرد قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهم ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني أخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون
قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم في من قولان
أحدهما أنها صلة والثاني أنها أصل لأنهم لم يؤمروا بالفض مطلقا وإنما أمروا بالغض عما لا يحل وفي قوله ويحفظوا فروجهم قولان أحدهما عما لا يحل لهم قاله الجمهور والثاني عن أن ترى فهو أمر لهم بالاستتار قاله أبو العالية وابن زيد
قوله تعالى ذلك إشارة إلى الغض وحفظ الفروج أزكى لهم أي خير وأفضل إن الله خبير بما يصنعون في الأبصار والفروج ثم امر النساء بما امر به الرجال

(٣٠/٦)

قوله تعالى ولا يبدين زينتهن أي لا يظهرنها لغير محرم وزينتهن على ضربين خفيفة كالسوارين والقرطين والدملج والقلائد ونحو ذلك وظاهرة وهي المشار إليها بقوله إلا ما ظهر منها وفيه سبعة أقوال
أحدهما انها الثياب رواه أبو الأحوص عن ابن مسعود وفي لفظ آخر قال هو الرداء والثاني أنها الكف والخاتم والوجه والثالث الكحل والخاتم رواهما سعيد بن جبير عن ابن عباس والرابع القلبان وهما

السواران والخاتم والكحل قاله المسور بن مخرمة والخامس الكحل والخاتم والخضاب قاله مجاهد والسادس الخاتم والسوار قاله الحسن والسابع الوجه والكفان قاله الضحاك قال القاضي أبو يعلى والقول الاول اشبه وقد نص عليه احمد فقال الزينة الظاهرة الثياب وكل شئ منها عورة حتى الظفر ويفيد هذا تحريم النظر إلى شئ من الأجنبيات لغير عذر فان كان

لعذر مثل ان يريد أن يتزوجها أو يشهد عليها فانه ينظر في الحالين إلى وجهها خاصة فأما النظر إليها بغير عذر فلا يجوز لا لشهوة ولا لغيرها وسواء في ذلك الوجه والكفان وغيرهما من البدن

فان قيل فلم لا تبطل الصلاة بكشف وجهها

فالجواب أن في تغطيته مشقة فعفي عنه

قوله تعالى وليضربن بخمرهن وهي جمع خمار وهو ما تغطى به المرأة رأسها والمعنى وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن وأعناقهن وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب وإبراهيم النخفي والأعمش على جيوبهن بكسر الجيم ولا يبدين زينتهن يعني الخفية وقد سبق بيانها إلا لبعولتهن قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار إلا لأزواجهن

قوله تعالى أو نسائهن يعني المسلمات قال أحمد لا يحل للمسلمة ان تكشف راسها عند نساء أهل الذمة واليهودية والنصرانية لا تقبلان المسلمة

قوله تعالى أو ما ملكت أيمانهن قال اصحابنا المراد به الإماء دون العبيد وقال أصحاب الشافعي يدخل فيه العبيد فيجوز للمرأة عندهم أن تظهر لمملوكها ما تظهر لمحارمها لأن مذهب الشافعي انه محرم لها وعندنا انه ليس بمحرم ولا يجوز أن ينظر إلى غير وجهها وكفيها وقد نص أحمد على انه لايجوز أن ينظر إلى شعر مولاته قال القاضي أبو يعلى وإنما ذكر الإماء في الآية لانه قد يظن الظان أنه لا يجوز أن تبدي زينتها للإماء لأن الذين تقدم ذكرهم احرار فلما ذكر الإماء زال الإشكال

قوله تعالى أو التابعين وهم الذين يتبعون القوم ويكونون معهم لإرفاقهم إياهم او لأنهم نشؤوا فيهم وللمفسرين في هذا التابع ستة اقوال

احدهما أنه الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل قاله قتادة وكذلك قال مجاهد هو الأبلة

الذي يريد الطعام ولا يريد النساء والثاني أنه العنين قاله عكرمة والثالث المخنث كان يتبع الرجل يخدمه بطعامه ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن قاله الحسن والرابع أنه الشيخ

(٣٣/٦)

الفاني والخامس انه الخادم قالهما ابن السائب والسادس أنه الذي لا يكترث بالنساء إما لكبر أو لهرم أو لصغر ذكره ابن المنادي من أصحابنا قال الزجاج غير صفة للتابعين وفيه دليل على ان قوله أو ما ملكت أيمانهن معناه غير أولي الإربة من الرجال والمعنى ولا يبدين زينتهن لمماليكهن ولا لتباعهن إلا أن يكونوا غير أولي الإربة والإربة الحاجة ومعناه غير ذوي الحاجات إلى النساء

قوله تعالى أو الطفل قال ابن قتيبة يريد ألأطفال بدليل قوله لم يظهروا على عورات النساء أي لم يعرفوها

قوله تعالى ولا يضربن بأرجلهن أي باحدى الرجلين على الأخرى ليضرب الخلخال الخلخال فيعلم أن عليها خلخالين

(٣٤/٦)

وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنوا لتبتغوا عرض الحياة الدنيار ومن يكرههن فان الله من بعد إكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين

قوله تعالى وأنكحوا الأيامي وهم الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء يقال رجل أيم وامرأة أيم ورجل أرمل وامرأة أرملة ورجل بكر وامراة بكر إذا لم يتزوجا وامرأة ثيب ورجل ثيب إذا كانا قد تزوجا

والصالحين من عبادكم أي من عبيدكم يقال عبد وعباد وعبيد كما يقال كلب وكلاب وكليب وقرأ الحسن ومعاذ القارئ من عبيدكم

(٣٥/٦)

قال المفسرون والمراد بالآية الندب ومعنى الصلاح هاهنا الإيمان والمراد بالعباد المملوكون فالمعنى زوجوا المؤمنين من عبيدكم وولائدكم ثم رجع إلى الأحرار فقال إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله فأخبرهم أن النكاح سبب لنفي الفقر

قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجحدون نكاحا أي وليطلب العفة عن الزنا والحرام من لا يجد ما ينكح به من صداق ونفقة وقد روى ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه و سلم انه قال يا معشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يجد فعليه بالصيام فانه له وجاء

قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب أي يطلبون المكاتبة من العبيد والإماء على أنفسهم فكاتبوهم فيه قولان

أحدهما أنه مندوب إليه قاله الجمهور

والثاني أنه واجب قاله عطاء وعمرو بن دينار وذكر المفسرون أنها نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزي يقال له صبيح سأل مولاه الكتابة فأبى عليه فنزلت هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا

قوله تعالى إن علمتم فيهم خيرا فيه ستة أقوال

أحدها إن علمتم لهم مالا رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعطاء والضحاك والثاني إن علمتم لهم حيلة يعني الكسب رواه ابن ابي طلحة عن ابن عباس والثالث إن علمتم فيهم دينا قاله الحسن والرابع إن علمتم أنهم يريدون بذلك الخير قاله سعيد بن جبير والخامس إن أقاموا الصلاة قاله عبيدة السلماني والسادس إن علمتم لهم صدقا ووفاء قاله إبراهيم

قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم فيه قولان

أحدهما انه خطاب للاغنياء الذين تجب عليهم الزكاة أمروا ان يعطوا المكاتبين من سهم الرقاب روى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية قال هو سهم الرقاب يعطى منه المكاتبون

والثاني أنه خطاب للسادة أمروا أن يعطوا مكاتبيهم من كتابتهم شيئا قال احمد والشافعي الإيتاء واجب وقدره أحمد بربع مال الكتابة وقال الشافعي ليس بمقدر وقال أبو حنيفة ومالك لا يجب الإيتاء وقد روي عن عمر بن الخطاب

أنه كاتب غلاما له يقال له أبو أمية فجاءه بنجمه حين حل فقال اذهب يا أبا أمية فاستعن به في مكاتبتك قال يا أمير المؤمنين لو أخرته حتى يكون في آخر النجوم فقال يا أبا أمية إني أخاف أن لا أدرك ذلك ثم قرأ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال عكرمة وكان ذلك أول نجم أدي في الإسلام

قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء روى مسلم في صحيحه من حديث ابي سفيان عن جابر قال كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له اذهبي فابغينا شيئا فنزلت هذه الآية قال المفسرون وكان له جاريتان معاذة ومسيكة فكان يكرههما على الزنا ويأخذ منهما الضريبة وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤاجرون إماءهم فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه إن كان خيرا فقد استكثرنا منه وإن كان شرا فقد آن لنا أن ندعه فنزلت هذه الآية وزعم مقاتل أنها نزلت في ست جوار كن لعبد الله بن أبي معاذة ومسيكة وأميمة وقتيلة وعمرة وأروى فأما الفتيات فهن الإماء والبغاء الزنا والتحصن التعفف

واختلفوا في معنى إن أردن تحصنا على اربعة أقوال

أحدها أن الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكرناه فخرج النهي عن صفة السبب وإن لم يكن شرطا فيه

والثاني إنه إنما شرط إرادة التحصن لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن فأما إذا لم ترد المرأة التحصن فانها تبغي بالطبع

والثالث أن إن بمعنى إذ ومثله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين البقرة وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين آل عمران

والرابع ان في الكلام تقديما وتأخيرا تقديره وأنكحوا الأيامي إلى قوله وإمائكم إن أردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء لتبتغوا عرض الحياة الدنيا وهو كسبهن وبيع أولادهن ومن يكرههن فان الله من بعد إكراههن غفور للمكرهات رحيم وقرأ ابن عباس وأبو عمران الجوني وجعفر بن محمد من بعد إكراههن لهن غفور رحيم

قوله تعالى آيات مبينات قرأ ابن عامر وأهل الكوفة غير أبي بكر وأبان مبينات بكسر الياء في الموضعين في هذه السورة النور وآخر سورة الطلاق

قوله تعالى ومثلا من الذين خلوا أي شبها من حالهم بحالكم أيها المكذبون وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق المكذبين قبلهم الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم

قوله تعالى الله نور السماوات والأرض فيه قولان
أحدهما هادي اهل السماوات والأرض رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

(٣٩/٦)

وبه قال أنس بن مالك وبيان هذا ان النور في اللغة الضياء وهو الذي تصل به الأبصار إلى مبصراتها فورد النور مضافا إلى الله تعالى لأنه هو الذي يهدي المؤمنين ويبين لهم ما يهتدون به والخلائق بنوره يهتدون
والثاني مدبر السماوات والأرض قاله مجاهد والزجاج وقرأ أبي ابن كعب وأبو المتوكل وابن السميفع الله نور بفتح النون والواو وتشديدها ونصب الراء السماوات بالخفض والارض بالنصب
قوله تعالى مثل نوره في هاء الكناية أربعة أقوال
أحدها أنها ترجع إلى الله عز و جل قال ابن عباس مثل هداه في قلب المؤمن
والثاني أنها ترجع إلى المؤمن فتقديره مثل نور المؤمن قاله أبي ابن كعب وكان أبي وابن مسعود يقرآن مثل نور من آمن به
والثالث انها ترجع إلى محمد صلى الله عليه و سلم قاله كعب
والرابع أنها ترجع إلى القرآن قاله سفيان
فأما المشكاة ففيها ثلاثة أقوال
أحدها أنها في موضع الفتيلة الذي هو كالأنبوب والمصباح الضوء قاله ابن عباس
والثاني أنها القنديل والمصباح الفتيلة قاله مجاهد
والثالث أنها الكوة التي لا منفذ لها والمصباح السراج قاله كعب وكذلك قال الفراء المشكاة الكوة التي ليست بنافذة وقال ابن قتيبة المشكاة

(٤٠/٦)

الكوة بلسان الحبشة وقال الزجاج هي من كلام العرب والمصباح السراج وإنما ذكر الزجاجة لأن النور في الزجاج أشد ضوءا منه في غيره وقرأ أبو رجاء العطاردي وابن أبي عبلة في زجاجة الزجاجة بفتح الزاي فيهما وقرأ معاذ القارئ وعاصم الجحدري وابن يعمر بكسر الزاي فيهما قال بعض أهل المعاني معنى الآية كمثل مصباح في مشكاة فهو من المقلوب
فأما الدري فقرأ أبو عمرو والكسائي وأبان عن عاصم دري بكسر الدال وتخفيف الياء ممدودا مهموزا

قال ابن قتيبة المعنى على هذا إنه من الكواكب الدراري وهي اللاتي يدرأن عليك أي يطلعن وقال الزجاج هو ماخوذ من درأ يدرأ إذا اندفع منقضا فتضاعف نوره يقال تدارأ الرجلان إذا تدافعا وروى المفضل عن عاصم كسر الدال وتشديد الياء من غير همز ولا مد وهي قراءة عبد الله بن عمر والزهري وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم دري بضم الدال وكسر الراء

(٤١/٦)

وتشديد الياء من غير مد ولا همز وقرأ عثمان بن عفان وابن عباس وعاصم الجحدري دري بفتح الدال وكسر الراء ممدودا مهموزا وقرأ أبي ابن كعب وسعيد بن المسيب وقتادة بفتح الدال وتشديد الراء والياء من غير مد ولا همز وقرأ ابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وابن يعمر بفتح الدال وكسر الراء مهموزا مقصورا قال الزجاج الدري منسوب إلى انه كالدر في صفائه وحسنه وقال الكسائي الدري الذي يشبه الدر والدري جار والدري يلتمع وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم والوليد بن عتبة عن ابن عامر بضم الدال وتخفيف الياء مع إثبات الهمزة والمد قال الزجاج فالنحويون أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا وقال الفراء ليس هذا بجائز في العربية لأنه ليس في الكلام فعيل إلا أعجمي مثل مريق وما أشبهه وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي المريق العصفر اعجمي معرب وليس في كلامهم اسم على زنة فعيل قال ابو علي وقد حكى سيبويه عن ابي الخطاب كوكب دري من الصفات ومن الاسماء المريق العصفر

قوله تعالى توقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء المفتوحة وتشديد القاف ونصب الدال يريدان المصباح لأنه هو الذي يوقد وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم يوقد بالياء مضمومة مع ضم الدال يريدون المصباح أيضا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم توقد بضم التاء والدال يريدون الزجاجة قال الزجاج والمقصود مصباح الزجاجة فحذف المضاف

قوله تعالى من شجرة أي من زيت شجرة فحذف المضاف يدلك على ذلك قوله يكاد زيتها يضئ والمراد بالشجرة هاهنا شجرة الزيتون

(٤٢/٦)

وبركتها من وجوه فانها تجمع الأدم والدهن والوقود فيوقد بحطب الزيتون ويغسل برماده الإبريسم ويستخرج دهنه أسهل استخراج ويورق غصنه من أوله إلى آخره وإنما خصت بالذكر هاهنا دون غيرها لان دهنها أصفى وأضوأ

قوله تعالى لا شرقية ولا غربية فيه ثلاثة أقوال
أحدها أنها بين الشجر فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس قاله أبي ابن كعب ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس
والثاني أنها في الصحراء لا يظلها جبل ولا كهف ولا يواريها شئ فهو اجود لزيتها رواه عكرمة عن ابن عباس وبه قال مجاهد والزجاج والثالث أنها من شجر الجنة لا من شجرة الدنيا قاله الحسن
قوله تعالى يكاد زيتها يضئ أي يكاد من صفائه يضئ قبل أن تصيبه النار بأن يوقد به نور على نور قال مجاهد النار على الزيت وقال ابن السائب المصباح نور والزجاجة نور وقال أبو سليمان الدمشقي نور النار ونور الزيت ونور الزجاجة يهدي الله لنوره فيه أربعة أقوال

(٤٣/٦)

أحدها لنور القرآن والثاني لنور الإيمان والثالث لنور محمد صلى الله عليه و سلم والرابع لدينه الإسلام
– فصل
فأما وجه هذا المثل ففيه ثلاثة أقوال
أحدها أنه شبه نور محمد صلى الله عليه و سلم بالمصباح النير فالمشكاة جوف رسول الله صلى الله عليه و سلم والمصباح النور الذي في قلبه والزجاجة قلبه فهو من شجرة مباركة وهو إبراهيم عليه السلام سماه شجرة مباركة لأن أكثر الأنبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني يكاد محمد صلى الله عليه و سلم يتبين للناس أنه نبي ولو لم يتكلم وقال القرظي المشكاة إبراهيم والزجاجة إسماعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم وقال الضحاك شبه عبد المطلب بالمشكاة وعبد الله بالزجاجة ومحمدا صلى الله عليه و سلم بالمصباح
والثاني أنه شبه نور الإيمان في قلب المؤمن بالمصباح فالمشكاة قلبه والمصباح نور الإيمان فيه وقيل المشكاة صدره والمصباح القرآن والإيمان اللذان في

(٤٤/٦)

صدره والزجاجة قلبه فكأنه مما فيه من القرآن والإيمان كوكب مضئ توقد من شجرة وهي الإخلاص فمثل الإخلاص عنده كشجرة لا تصيبها الشمس فكذلك هذا المؤمن قد احترس من أن تصيبه الفتن فان اعطي شكر وإن ابتلي صبر وإن قال صدق وإن حكم عدل فقلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى كما يكاد هذا الزيت يضئ قبل أن تمسه النار فاذا

مسته ا شتد نوره فالمؤمن كلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى نور يوم القيامة والثالث أنه شبه القرآن بالمصباح يستضاء به ولا ينقص والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي تكاد حجج القرآن تتضح وإن لم نقرأ وقيل تكاد حجج الله تضئ لمن فكر فيها وتدبرها ولو لم ينزل القرآن نور على نور أي القرآن نور من الله لخلقه مع ما قد قام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن

قوله تعالى ويضرب الله الأمثال أي ويبين الله الأشباه للناس تقريبا إلى الأفهام وتسهيلا لسبل الإدراك في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب

قوله تعالى في بيوت قال الزجاج في من صلة قوله كمشكاة

فالمعنى كمشاكة في بيوت ويجوز أن تكون متصلة بقوله يسبح له فيها فتكون فيها تكريرا على التوكيد والمعنى يسبح لله رجال في بيوت

فان قيل المشكاة إنما تكون في بيت واحد فكيف قال في بيوت

فعنه جوابان أحدهما أنه من الخطاب المتلون الذي يفتح بالتوحيد ويختم بالجمع كقوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء

والثاني أنه راجع إلى كل واحد من البيوت فالمعنى في كل بيت مشكاة وللمفسرين في المراد بالبيوت ها هنا ثلاثة أقوال

أحدهما انها المساجد قاله ابن عباس والجمهور والثاني بيوت أزواج رسول الله ص قاله مجاهد والثالث بيت المقدس قاله الحسن

فأما أذن فمعنا امر وفي معنى ان ترفع قولان

أحدها أن تعظم قاله الحسن والضحاك

والثاني أن تبنى قاله مجاهد وقتادة

وفي قوله ويذكر فيها اسمه قولان

أحدهما توحيده رواه أبو صالح عن ابن عباس والثاني يتلى فيها كتابه رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

قوله تعالى يسبح قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي يسبح بكسر الباء وقرأ بن عامر وأبو بكر عن عاصم بفتحها وقرأ معاذ القارئ وأبو حيوة تسبح بتاء مرفوعة وكسر الباء ورفع الحاء

وفي قوله يسبح له فيها قولان

أحدهما أنه الصلاة ثم في صلاة الغدو قولان احدهما أنها صلاة الفجر رواه ابن ابي طلحة عن ابن عباس والثاني صلاة الضحى روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال إن صلاة الضحى لفي كتاب الله وما يغوص عليها إلاغواص ثم قرأ يسبح له فيها بالغدو والآصال وفي صلاة الآصال قولان أحدهما أنها صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء قاله ابن السائب والثاني صلاة العصر قاله أبو سليمان الدمشقي والقول الثاني أنه التسبيح المعروف ذكره بعض المفسرين

قوله تعالى رجال لا تلهيهم أي لا تشغلهم تجارة ولا بيع قال ابن السائب التجار الجلابون والباعة المقيمون وقال الواقدي التجارة ها هنا بمعنى الشراء

(٤٧/٦)

وفي المراد بذكر الله ثلاثة أقوال

أحدها الصلاة المكتوبة قاله ابن عباس وعطاء وروى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

والثاني عن القيام بحق الله قاله قتادة

والثالث عن ذكر الله باللسان ذكره أبو سليمان الدمشقي

قوله تعالى وإقام الصلاة أي أداؤها لوقتها وإتمامها

فان قيل إذا كان المراد بذكر الله الصلاة فما معنى إعادتها

فالجواب أنه بين أنهم يقيمونها بأدائها في وقتها

قوله تعالى تتقلب فيه القلوب والأبصار في معناه ثلاثة أقوال

أحدها أن من كان قلبه مؤمنا بالبعث والنشور ازداد بصيرة برؤية ما وعد به ومن كان قلبه على غير ذلك رأى ما يوقن معه بامر القيامة قاله الزجاج

والثاني أن القلوب تتقلب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك والأبصار تتقلب تنظر من أين يؤتون

كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال وأي ناحية يؤخذ بهم أذات اليمين أم ذات الشمال قاله ابن جرير
والثالث تتقلب القلوب فتبلغ إلى الحناجر وتتقلب الأبصار إلى الزرق بعد الكحل والعمى بعد النظر
قوله تعالى ليجزيهم المعنى يسبحون الله ليجزيهم أحسن ما عملوا أي ليجزيهم بحسناتهم فأما مساوئهم فلا يجزيهم بها ويزيدهم من فضله

(٤٨/٦)

مالم يستحقوه بأعمالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب قد شرحناه في آل عمران والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
ثم ضرب الله مثلا للكفار فقال والذين كفروا أعمالهم كسراب قال ابن قتيبة السراب ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار والآل ما رأيته في أول النهار وآخره وهو يرفع كل شئ والقيعة والقاع واحد وقرأ أبي ابن كعب وعاصم الجحدري وابن السميفع بقيعات وقال الزجاج القيعة جمع قاع مثل جار وجيرة والقيعة والقاع ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات فالذي يسير فيه يرى كأن فيه ماء يجري وذلك هو السراب والآل مثل السراب إلا انه يرتفع وقت الضحى كالماء بين السماء والأرض يحسبه الظمآن وهو الشديد العطش ماء حتى إذا جاء إلى موضع السراب رأى أرضا لاماء فيها فأعلم الله ان الكافر الذي يظن أن عمله قد نفعه عند الله كظن الذي يظن السراب ماء وعمله قد حبط قوله تعالى ووجد الله عنده أي قدم على الله فوفاه حسابه أي جازاه بعمله وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن والمراد به الخبر عن الكافر

(٤٩/٦)

قوله تعالى والله سريع الحساب مفسر في البقرة
قوله تعالى أو كظلمات في هذا المثل قولان
أحدهما أنه لعمل الكافر قاله الجمهور واختاره الزجاج
والثاني أنه مثل لقلب الكافر في أنه لا يعقل ولا يبصر قاله الفراء فأما اللجي فهو العظيم اللجة وهو العميق يغشاه أي يعلو ذلك البحر موج من فوقه أي من فوق الموج موج والمعنى يتبع الموج موج حتى

كان بعضه فوق بعض من فوقه أي من فوق ذلك الموج سحاب
ثم ابتدأ فقال ظلمات يعني ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الموج الذي فوق الموج وظلمة السحاب وقرأ ابن كثير وابن محيصن سحاب ظلمات مضافا إذا أخرج يده يعني إذا أخرجها مخرج لم يكد يراها فيه قولان
أحدهما أنه لم يرها قاله الحسن واختاره الزجاج قال لأن في دون هذه الظلمات لا يرى الكف وكذلك قال ابن الأنباري معناه لم يرها البتة لأنه قد قام الدليل عند وصف تكاثف الظلمات على ان الرؤية معدومة فبان بهذا الكلام أن يكد زائدة للتوكيد بمنزلة ما في قوله عما قليل ليصبحن نادمين المؤمنون والثاني أنه لم يرها إلا بعد الجهد قاله المبرد قال الفراء وهذا كما تقول ما كدت أبلغ إليك وقد بلغت قال الفراء وهذا وجه العربية – فصل
فأما وجه المثل فقال المفسرون لما ضرب الله للمؤمن مثلا بالنور

ضرب للكافر هذا المثل بالظلمات والمعنى أن الكافر في حيرة لا يهتدي لرشد وقيل الظلمات ظلمة الشرك وظلمة المعاصي وقال بعضهم ضرب الظلمات مثلا لعمله والبحر اللجي لقلبه والموج لما يغشى قلبه من الشرك والجهل والحيرة والسحاب للرين والختم على قلبه فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة
قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فيه قولان
أحدهما دينا وإيمانا قاله ابن عباس والسدي والثاني هداية قاله الزجاج ألم تر ان الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير
قوله تعالى ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض قد تقدم تفسيره
قوله تعالى والطير أي وتسبح له الطير صافات أي باسطات اجنحتها في الهواء وإنما خص الطير بالذكر لأنها تكون بين السماء والارض إذا طارت فهي خارجة عن جملة من في السماوات والأرض
قوله تعالى كل أي من الجملة التي ذكرها قد علم صلاته وتسبيحه قال المفسرون الصلاة لبني آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق
وفي المشار إليه بقوله قد علم قولان
أحدهما أنه الله تعالى والمعنى قد علم الله صلاة المصلي وتسبيحه قاله الزجاج

والثاني أنه المصلي والمسبح ثم فيه قولان أحدهما قد علم المصلي والمسبح صلاة نفسه وتسبيحه أي قد عرف ما كلف من ذلك والثاني قد علم المصلي صلاة الله وتسبيحه أي علم أن ذلك لله تعالى وحده وقرأ قتادة وعاصم الجحدري وابن يعمر كل قد علم برفع العين وكسر اللام صلاته وتسبيحه بالرفع فيهما ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى ألودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار

قوله تعالى ألم تر أن الله يزجي سحابا أي يسوقه ثم يؤلف بينه أي يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة والسحاب لفظه لفظ الواحد ومعناه الجمع فلهذا قال يؤلف بينه ثم يجعله ركاما أي يجعل بعض السحاب فوق بعض فترى الودق وهو المطر قال الليث الودق المطر كله شديده وهينه قوله تعالى من خلاله وقرأ ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومجاهد والضحاك من خلله والخلال جمع خلل مثل جبال وجبل وينزل من السماء مفعول الإنزال محذوف تقديره وينزل من السماء من جبال فيها من برد بردا فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه ومن الأولى لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء والثانية للتبعيض لأن الذي ينزله الله بعض تلك الجبال والثالثة لتبيين الجنس لأن جنس تلك الجبال

جنس البرد قال المفسرون وهي جبال في السماء مخلوقة من برد وقال الزجاج معنى الكلام وينزل من السماء من جبال برد فيها كما تقول هذا خاتم في يدي من حديد المعنى هذا خاتم حديد في يدي قوله تعالى فيصيب به أي البرد من يشاء فيضره في زرعه وثمره والسنا الضوء يذهب وقرأ مجاهد وأبو جعفر يذهب بضم الياء وكسر الهاء يقلب الله الليل والنهار أي يأتي بهذا ويذهب بهذا إن في ذلك التقلب لعبرة لأولي الأبصار أي دلالة لأهل البصائر والعقول على وحدانية الله وقدرته والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شئ قدير

قوله تعالى والله خلق كل دابة وقرأ حمزة والكسائي والله خالق كل دابة من ماء وفي الماء قولان أحدهما ان الماء أصل كل دابة والثاني أنه النطفة والمراد به جميع الحيوان المشاهد في الدنيا وإنما قال فمنهم تغليبا لما يعقل وإنما لم يذكر الذي يمشي على أكثر من أربع لأنه في رأي العين كالذي يمشي على اربع وقيل لأنه يعتمد في المشي على اربع وإنما سمي السائر على بطنه ماشيا لأن كل سائر

ومستمر يقال له ماش وإن لم يكن حيوانا حتى إنه يقال قد مشى هذا الأمر هذا قول الزجاج وقال أبو عبيدة إنما هذا على سبيل التشبيه بالماشي لأن المشي لا يكون على البطن إنما يكون

لمن له قوائم فإذا خلطوا ماله قوائم بما لا قوائم له جاز ذلك كما يقولون أكلت خبزا ولبنا ولا يقال أكلت لبنا

لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون

قوله تعالى ويقولون آمنا بالله قال المفسرون نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين حكومة يهودي فدعا اليهودي المنافق إلى رسول الله ص ليحكم بينهما فقال المنافق لليهودي إن محمدا يحيف علينا ولكن بيني وبينك كعب بن الأشرف فنزلت هذه الآية

قوله تعالى ثم يتولى فريق منهم يعني المنافقين من بعد ذلك أي من بعد قولهم آمنا وما أولئك يعني المعرضين عن حكم الله ورسوله بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله أي إلى كتابه ورسوله ليحكم بينهم

الرسول إذا فريق منهم معرضون ومعنى الكلام أنهم كانوا يعرضون عن حكم الرسول عليهم لعلمهم أنه يحكم بالحق وإن كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه مذعنين لثقتهم أنه يحكم لهم بالحق قال الزجاج والإذعان في اللغة الإسراع مع الطاعة تقول قد أذعن لي أي قد طاوعني لما كنت ألتمسه منه

قوله تعالى أفي قلوبهم مرض أي كفر ام ارتابوا أي شكوا في القرآن وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى إنهم كذلك وإنما ذكره بلفظ الاستفهام ليكون أبلغ في ذمهم كما قال جرير في المدح ... ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح ...

أي انتم كذلك فأما الحيف فهو الميل في الحكم يقال حاف في قضيته أي جار بل اولئك هم الظالمون

أي لا يظلم الله ورسوله احدا بل هم الظالمون لانفسهم بالكفر والإعراض عن حكم الرسول
ثم نعت المؤمنين فقال إنما كان قول المؤمنين قال الفراء ليس هذا بخبر ماض وإنما المعنى إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا أن يقولوا سمعنا وقرأ الحسن وأبو الجوزاء إنما كان قول المؤمنين بضم اللام وقرأ أبو جعفر وعاصم الجحدري وابن أبي ليلى ليحكم بينهم برفع الياء وفتح الكاف وقال المفسرون سمعنا والمعنى قول رسول الله ص وأطعنا أمره وإن كان ذلك فيما يكرهونه
قوله تعالى ويخش الله أي فيما مضى من ذنوبه ويتقه فيما بعد ان يعصيه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وورش عن نافع ويتقهي

(٥٥/٦)

موصولة بياء وروى قالون عن نافع ويتقه فأولئك بكسر الهاء لا يبلغ بها الياء وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويتقه جزما وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين
قوله تعالى وأقسموا بالله قال المفسرون لما نزل في هؤلاء المنافقين ما نزل من بيان كراهتهم لحكم الله قالوا للنبي ص والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى حكمك فنزلت هذه الآية وقد بينا معنى جهد ايمانهم المائدة ٥٣ لئن أمرتهم ليخرجن من أموالهم وديارهم وقيل ليخرجن إلى الجهاد قل لا تقسموا هذا تمام الكلام ثم قال طاعة معروفة قال الزجاج المعنى أمثل من قسمكم الذي لا تصدقون فيه طاعة معروفة قال ابن قتيبةك وبعض النحويين يقول الضمير فيها لتكن منكم طاعة معروفة أي صحيحة لا نفاق فيها
قوله تعالى فإن تولوا هذا خطاب لهم والمعنى فإن تتولوا فحذف إحدى التاءين ومعنى التولي الإعراض عن طاعة الله ورسوله فإنما عليه يعني الرسول ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الطاعة وذكر بعض المفسرين أن هذا منسوخ بآية السيف وليس بصحيح

(٥٦/٦)

قوله تعالى وإن تطيعوه يعني رسول الله ص تهتدوا وكان بعض السلف يقول من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة لقوله وإن تطيعوه تهتدوا وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم

وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون

قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم روى أبو عبد الله الحاكم في صحيحه من حديث أبي بن كعب قال لما قدم رسول الله ص – وأصحابه المدينة وآواهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة كانوا لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا في لأمتهم فقالوا أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله عز و جل فنزلت هذه الآية قال أبو العالية لما أظهر الله عز و جل رسوله على جزيرة العرب وضعوا السلاح وامنوا ثم قبض الله نبيه فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة فأدخل الله عز و جل عليهم الخوف فغيروا فغير

الله تعالى ما بهم وروى أبو صالح عن ابن عباس أن هذا الوعد وعده الله أمة محمد في التوراة والإنجيل وزعم مقاتل أن كفار مكة لما صدوا رسول الله ص والمسلمين عن العمرة عام الحديبية قال المسلمون لو أن الله تعالى فتح علينا مكة فنزلت هذه الآية

قوله تعالى ليستخلفنهم أي ليجعلنهم يخلفون من قبلهم والمعنى ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها وعلى قول مقاتل المراد بالأرض مكة

قوله تعالى كما استخلف الذين من قبلهم وقرأ أبو بكر عن عاصم كما استخلف بضم التاء وكسر اللام يعني بني اسرائيل وذلك أنه لما هلكت الجبابرة بمصر أورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم

قوله تعالى وليمكنن لهم دينهم وهو الإسلام وتمكينه إظهاره على كل دين وليبدلنهم وقرأ ابن كثير وأبو بكر وأبان ويعقوب وليبدلنهم بسكون الباء وتخفيف الدال من بعد خوفهم أمنا لأنهم كانوا مظلومين مقهورين يعبدونني هذا استئناف كلام في الثناء عليهم ومن كفر بعد ذلك بهذه النهم أي جحد حقها قال المفسرون وأول من كفر بهذه النهم قتله عثمان

لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير

قوله تعالى لا تحسبن الذين كفروا قرأ ابن عامر وحمزة عن عاصم لا يحسبن بالياء وفتح السين وقرأ الباقون بالتاء وكسر السين

يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم ليس عليكم ولاعليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم

قوله تعالى ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم في سبب نزولها قولان أحدهما أن رسول الله ص وجه غلاما من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر على حالة كره عمر رؤيته عليها فقال يار رسول الله وددت لو أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس والثاني أن اسماء بنت مرثد كان لها غلام فدخل عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله ص فقالت إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حالة نكرهها فنزلت هذه الآية قاله مقاتل

ومعنى الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم وفيهم قولان أحدهما أنه أراد الذكور دون الإناث قاله ابن عمر والثاني الذكور والإناث رواه أبو حصين عن أبي عبد الرحمن ومعنى الكلام ليستأذنكم مماليككم في الدخول عليكم قال القاضي أبو يعلى والأظهر أن يكون المراد العبيد الصغار والإماء الصغار لأن العبد البالغ بمنزلة الحر البالغ في تحريم النظر إلى مولاته فكيف يضاف إلى الصبيان الذين هم غير مكلفين

قوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم وقرأ عبد الوارث الحلم باسكان اللام منكم أي من أحراركم من الرجال والنساء ثلاث مرات أي ثلاثة أوقات بينها فقال من قبل صلاة الفجر وذلك لأن الإنسان قد يبيت عريانا أو على حالة لا يحب أن يطلع عليه فيها وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة أي القائلة ومن بعد صلاة العشاء حين يأوي الرجل إلى زوجته ثلاث عورات قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم ثلاث عورات برفع الثاء من ثلاث والمعنى هذه الأوقات هي ثلاث عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فربما بدت عورته وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ثلاث عورات بنصب الثاء قال أبو علي وجعلوه بدلا من قوله ثلاث مرات والأوقات ليست عورات ولكن المعنى أنها

اوقات ثلاث عورات فلما حذف المضاف أعرب باعراب المحذوف وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وسعيد بن جبير والأعمش عورات بفتح الواو ليس عليكم يعني المؤمنين الأحرار ولا عليهم يعني الخدم

والغلمان جناح أي حرج بعدهن أي بعد مضي هذه الأوقات أن لا يستأذنوا فرفع الحرج عن الفريقين طوافون عليكم أي هم طوافون عليكم بعضكم على بعض أي يطوف بعضكم وهم المماليك على بعض وهم الأحرار فصل

وأكثر علماء المفسرين على أن هذه الآية محكمة وممن روي عنه ذلك ابن عباس والقاسم بن محمد وجابر بن زيد والشعبي وحكي عن سعيد بن المسيب أنها منسوخة بقوله وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا والأول أصح لأن معنى هذه الأية وإذا بلغ الأطفال منكم أو من الأحرار فليستأذنوا أي في جميع الأوقات في الدخول عليكم كما استأذن الذين من قبلهم يعني كما استأذن الأحرار الكبار الذين هم قبلهم في الوجود وهم الذين أمروا بالاستئذان على كل حال فالبالغ يستاذن في كل وقت والطفل والمملوك يستأذنان في العورات الثلاث

قوله تعالى والقواعد من النساء قال ابن قتيبة يعني العجز واحدها قاعد ويقال إنما قيل لها قاعد لقعودها عن الحيض والولد وقد تقعد عن الحيض والولد ومثلها يرجو النكاح ولا أراها سميت قاعدا إلا بالقعود لأنها إذا أسنت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة وأطالت القعود فقيل لها قاعد بلا هاء ليدل حذف الهاء على أنه قعود كبر كما قالوا امرأة حامل ليدلوا بحذف الهاء على أنه حمل حبل وقالوا في غير ذلك قاعدة في بيتها وحاملة على ظهرها

قوله تعالى أن يضعن ثيابهن أي عند الرجال ويعني بالثياب

الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار هذا المراد بالثياب لا جميع الثياب غير متبرجات بزينة أي من غير أن يردن بوضع الجلباب أن ترى زينتهن والتبرج إظهار المرأة محاسنها وأن يستعففن فلا يضعن تلك الثياب خير لهن قال ابن قتيبة والعرب تقول امرأة واضع إذا كبرت فوضعت الخمار ولا يكون هذا إلا في الهرمة قال القاضي أبو يعلى وفي هذه الآية دلالة على أنه يباح للعجوز كشف وجهها ويديها بين يدي الرجال وأما شعرها فيحرم النظر إليه كشعر الشابة

ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تاكلوا من

بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعماكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون قوله تعالى ليس على الأعمى حرج في سبب نزولها خمسة أقوال أحدها أنه لما نزل قوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل النساء ٢٩ تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا الطعام أفضل الأموال وقد نهى الله تعالى عن أكل المال بالباطل

والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والمريض لا يستوفي الطعام فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس
والثاني أن ناسا كانوا إذا خرجوا مع رسول الله ص وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض وعند أقاربهم وكانوا يأمرونهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا فكانوا يتقون أن يأكلوا منها ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت هذه الآية قاله سعيد بن المسيب
والثالث أن العرجان والعميان كانوا يمتنعون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس يتقذرونهم فنزلت هذه الآية قاله سعيد بن جبير والضحاك
والرابع أن قوما من أصحاب رسول الله ص كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمون المريض والزمن ذهبوا به إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم وبعض من سمى الله عز و جل في هذه الآية فكان أهل الزمانة يتحرجون من أكل ذلك الطعام لأنه أطعمهم غير مالكه فنزلت هذه الآية قاله مجاهد
والخامس أنها نزلت في إسقاط الجهاد عن أهل الزمانة المذكورين في الآية قاله الحسن وابن يزيد

فعلى القول الأول يكون معنى الآية ليس عليكم في الاعمى حرج أن تأكلوا معه ولا في الأعرج وتكون على بمعنى في ذكره ابن جرير وكذلك يخرج معنى الآية على كل قول بما يليق به وقد كان جماعة من المفسرين يذهبون إلى أن آخر الكلام ولا على المريض حرج وأن ما بعده مستأنف لا تعلق له به وهو يقوي قول الحسن وابن زيد
قوله تعالى أن تأكلوا من بيوتكم فيه ثلاثة أقوال
أحدها أنها بيوت الأولاد
والثاني البيوت التي يسكنونها وهم فيها عيال غيرهم فيكون الخطاب لأهل الرجل وولده وخادمه ومن

يشتمل عليه منزله ونسبا اليهم لأنهم سكانها
والثالث أنها بيوتهم والمراد أكلهم من مال عيالهم وأزواجهم لأن بيت المرأة كبيت الرجل
وإنما أباح الأكل من بيوت القرابات المذكورين لجريان العادة ببذل طعامهم له فإن كان الطعام وراء حرز لم يجز هتك الحرز
قوله تعالى أو ما ملكتم مفاتحه فيه ثلاثة اقوال
أحدها أنه الوكيل لا بأس أن يأكل اليسير وهو معنى قول ابن عباس وقرأها سعيد بن جبير وأبو العالية ملكتم بضم الميم وتشديد اللام مع كسرها على ما لم يسم فاعله وفسرها سعيد فقال يعني القهرمان الذي بيده المفاتيح وقرأ أنس بن مالك وقتادة وابن يعمر مفتاحه بكسر الميم على التوحيد
والثاني بيت الإنسان الذي يملكه وهو معنى قول قتادة
والثالث بيوت العبيد قاله الضحاك

قوله تعالى أو صديقكم قال ابن عباس نزلت هذه في الحارث بن عمرو خرج مع رسول الله ص غازيا وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا فقال تحرجت أن آكل من طعامك بغير إذنك فنزلت هذه الآية وكان الحسن وقتادة يريان الأكل من طعام الصديق بغير استئذان جائزا
قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال أحدها أن حيا من بني كنانة يقال لهم بنو ليث كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح فنزلت هذه الآية قاله قتادة والضحاك
والثاني أن قوما من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فنزلت هذه الآية ورخص لهم أن ياكلوا جميعا أو أشتاتا قاله عكرمة
والثالث أن المسلمين كانوا يتحرجون من مؤاكلة اهل الضر خوفا من أن يستأثروا عليهم ومن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في مأكلهم وزيادة بعضهم على بعض فوسع عليهم وقيل ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أي مجتمعين أو أشتاتا أي متفرقين قاله ابن قتيبة
قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فيها ثلاثة أقوال

أحدها أنها بيوت أنفسكم فسلموا على أهاليكم وعيالكم قال جابر بن عبد الله وطاووس وقتادة والثاني أنها المساجد فسلموا على من فيها قاله ابن عباس والثالث بيوت الغير فالمعنى إذا دخلتم بيوت غيركم فسلموا عليهم قاله الحسن

قوله تعالى تحية قال الزجاج هي منصوبة على المصدر لأن قوله فسلموا بمعنى فحيوا وليحي بعضكم بعضا تحية من عند الله قال مقاتل مباركة بالاجر طيبة أي حسنة إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم قوله تعالى وإذا كانوا معه يعني مع رسول الله ص على أمر جامع أي على أمر طاعة يجتمعون عليها نحو الجهاد والجمعة والعيد ونحو ذلك لم يذهبوا حتى يستاذنوه قال المفسرون كان رسول الله ص إذا صعد المنبر

يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ص حيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم فالأمر إليه في ذلك قال مجاهد وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده

قوله تعالى واستغر لهم الله أي لخروجهم عن الجماعة إن رأيت لهم عذرا لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم

قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه نهي عن التعرض لإسخاط رسول الله ص فإنه إذا دعا على شخص فدعوته موجبة قاله ابن عباس

والثاني أنهم أمروا أن يقولوا يا رسول الله ونهوا أن يقولوا يا محمد قاله سعيد بن خبير وعلقمة والأسود وعكرمة ومجاهد

والثالث أنه نهي لهم عن الإبطاء إذا أمرهم والتأخر إذا دعاهم حكاه الماوردي وقرأ الحسن وأبو رجاء وأبو المتوكل ومعاذ القارىء دعاء الرسول نبيكم بياء مشددة ونون قبل الباء

قوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون التسلل الخروج في خفية

واللواذ أن يستتر بشيء مخافة من يراه والمراد بقوله قد يعلم التهديد بالمجازاة قال الفراء كان المنافقون يشهدون الجمعة فيذكرهم رسول الله ص ويعيبهم بالآيات التي أنزلت فيهم فإن خفي لأحدهم القيام قام فذلك قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا اي يلوذ هذا بهذا أي يستتر ذا بذا وإنما قال لواذا لأنها مصدر لاوذت ولو كان مصدرا ل لذت لقلت لذت لياذا كما تقول قمت قياما وكذلك قال ثعلب وقع البناء على لاوذ ملاوذة ولو بني على لاذ يلوذ لقيل لياذا وقيل هذا كان في حفر الخندق كان المنافقون ينصرفون عن غير امر رسول الله ص مختفين

قوله تعالى فليحذر الذي يخالفون عن أمره في هاء الكناية قولان

احدهما أنها ترجع إلى الله عز و جل قال مجاهد

والثاني إلى رسول الله ص قال قتادة

وفي عن قولان أحدهما انها زائدة قال الاخفش والثاني أن معنى يخالفون يعرضون عن أمره وفي الفتنة هاهنا ثلاثة أقوال أحدها الضلالة قاله ابن عباس والثاني بلاء في الدنيا قاله مجاهد والثالث كفر قاله السدي ومقاتل

(٦٩/٦)

قوله تعالى أو يصيبهم عذاب اليم فيه قولان

أحدهما القتل في الدنيا والثاني عذاب جهنم في الآخرة

قوله تعالى قد يعلم ما أنتم عليه أي ما في أنفسكم وما تنطوي عليه ضمائركم من الإيمان والنفاق وهذا تنبيه على الجزاء على ذلك

(٧٠/٦)

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا

قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة في آخرين هي مكية وحكي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي قوله والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله غفورا

رحيما الفرقان
قوله تعالى تبارك قد شرحناه في الأعراف والفرقان القرآن سمي فرقانا لأنه فرق به بين الحق والباطل والمراد بعبده محمد صلى الله عليه و سلم ليكون فيه قولان

أحدهما أنه كناية عن عبده قاله الجمهور والثاني عن القرآن حكاه الماوردي
قوله تعالى للعالمين يعني الجن والإنس نذيرا أي مخوفا من عذاب الله
قوله تعالى فقدره تقديرا فيه ثلاثة أقوال
أحدها سواه وهيأه لما يصلح له فلا خلل فيه ولا تفاوت والثاني قدر له ما يصلحه ويقيمه والثالث قدر له تقديرا من الأجل والرزق
ثم ذكر ما صنعه المشركون فقال واتخذوا من دونه آلهة يعني الأصنام لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أي وهي مخلوقة ولا يملكون لأنفسهم ضرا أي دفع ضر ولا جر نفع لأنها جماد لا قدرة لها ولا يملكونها موتا أي لا تملك ان تميت أحدا ولا أن تحيي أحدا ولا أن تبعث احدا من الأموات والمعنى كيف يعبدون ما هذه صفته ويتركون عبادة من يقدر على ذلك كله وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما
قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي قريش وقال مقاتل هو قول النضر بن الحارث من بني عبد الدار إن هذا أي ما هذا يعنون القرآن إلا إفك أي كذب افتراه أي اختلفه من تلقاء نفسه وأعانه عليه قوم آخرون قال مجاهد يعنون اليهود وقال مقاتل أشاروا إلى عداس

مولى حويطب ويسار غلام عامر بن الحضرمي وجبر مولى لعامر أيضا وكان الثلاثة من أهل الكتاب
قوله تعالى فقد جاؤوا ظلما وزورا قال الزجاج المعنى فقد جاؤوا بظلم وزور فلما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب والزور الكذب وقالوا أساطير الأولين المعنى وقالوا الذي جاء به أساطير الأولين وقد بينا ذلك في الأنعام قال المفسرون والذي قال هذا هو النضر بن الحارث ومعنى اكتتبها أمر أن تكبت له وقرأ أبن مسعود وإبراهيم النخعي وطلحة بن مصرف اكتتبها برفع التاء الأولى وكسر الثانية والابتداء على قراءتهم برفع الهمزة فهي تملي عليه أي تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها لأنه لم يكن كاتبا بكرة وأصيلا أي

غدوة وعشيا قل لهم يا محمد أنزله يعني القرآن الذي يعلم السر أي لا يخفي عليه شئ في السماوات والأرض وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا انزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا

قوله تعالى وقالوا يعني المشركين ما لهذا الرسول يأكل الطعام أنكروا أن يكون الرسول بشرا يأكل الطعام ويمشي في الطرق كما يمشي سائر الناس يطلب المعيشة والمعنى انه ليس بملك ولا ملك لأن الملائكة لا تأكل والملوك لا تتبذل في الأسواق فعجبوا أن يكون مساويا للبشر لا يتميز عليهم

بشئ وإنما جعله الله بشرا ليكون مجانسا للذين أرسل إليهم ولم يجعله ملكا يمتنع من المشي في الأسواق لأن ذلك من فعل الجبابرة ولأنه أمر بدعائهم فاحتاج أن يمشي بينهم

قوله تعالى لولا أنزل إليه ملك وذلك أنهم قالوا له سل ربك أن يبعث ملكا يصدقك ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا فذلك قوله أو يلقى إليه كنز أي ينزل إليه من السماء أو تكون له جنة يأكل منها أي بستان يأكل من ثماره قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر يأكل منها بالياء يعنون النبي صلى الله عليه و سلم وقرا حمزة والكسائي نأكل بالنون قال أبو علي المعنى يكون له علينا مزية في الفضل بأكلنا من جنته وباقي الآية مفسر في بني إسرائيل

قوله تعالى انظر يا محمد كيف ضربوا لك الأمثال حين مثلوك بالمسحور وبالكاهن والمجنو والشاعر فضلوا بهذا عن الهدى فلا يستطيعون سبيلا فيه قولان

أحدهما لا يستطيعون مخرجا من الأمثال التي ضربوها قاله مجاهد والمعنى أنهم كذبوا ولم يجدوا على قولهم حجة وبرهانا وقال الفراء لا يستطيعون في أمرك حيلة

والثاني سبيلا إلى الطاعة قاله السدي تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا

مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا

ثم أخبر أنه لو شاء لأعطاه خيرا مما قالوا في الدنيا وهو قوله خيرا من ذلك يعني لو شئت لأعطيتك في

الدنيا خيرا مما قالوا لأنه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة ويجعل لك قصورا قرا ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويجعل لك قصورا برفع اللام وقرأ أبو عمرو ونافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ويجعل بجزم اللام فمن قرأ بالجزم كان المعنى إن يشأ يجعل لك جنات ويجعل لك قصورا ومن رفع فعلى الاستئناء المعنى ويجعل لك قصورا في الآخرة وقد سبق معنى أعتدنا النساء ومعنى السعير النساء

قوله تعالى إذ رأتهم من مكان بعيد قال السدي عن أشياخه من مسيرة مائة عام

فان قيل السعير مذكر فكيف قال إذا رأتهم

فالجواب أنه أراد بالسعير النار

قوله تعالى سمعوا لها تغيظا فيه قولان

أحدهما غليان تغيظ قاله الزجاج قال المفسرون والمعنى أنها تتغيظ عليهم فيسمعون صوت تغيظها وزفيرها كالغضبان إذا غلا صدره من الغيظ

والثاني يسمعون فيها تغيظ المعذبين وزفيرهم حكاه ابن قتيبة

قوله تعالى وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا قال المفسرون تضيق عليهم كما يضيق الزج على الرمح وهم قد قرنوا مع الشياطين والثبور الهلكة وقرأ عاصم الجحدري وابن السميفع ثبورا بفتح الثاء

قوله تعالى وادعوا ثبورا كثيرا قال الزجاج الثبور مصدر فهو للقليل والكثير على لفظ الواحد كما تقول ضربته ضربا كثيرا والمعنى هلاكهم أكثر من أن يدعوا مرة واحدة وروى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أول من يكسى من اهل النار يوم القيامة إبليس يكسى حلة من النار فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته خلفه وهو يقول واثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبوراه وينادون يا ثبورهم فيقول الله عز و جل لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا

قوله تعالى قل أذلك يعني السعير خير ام جنة الخلد وهذا تنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين لا على أن في السعير خير وقال الزجاج قد وقع التساوي بين الجنة والنار في أنهما منزلان فلذلك وقع التفضيل بينهما

قوله تعالى كانت لهم جزاء أي ثوابا ومصيرا أي مرجعا
قوله تعالى كان على ربك المشار إليه إما الدخول وإما الخلود وعدا وعدهم الله إياه على ألسنة الرسل وفي معنى مسؤولا قولان
أحدهما مطلوبا وفي الطالب له قولان أحدهما أنهم المؤمنون سألوا الله في الدنيا إنجاز ما وعدهم به والثاني أن الملائكة سألته ذلك لهم وهو قوله ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم غافر
والثاني أن معنى المسؤول الواجب ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا
قوله تعالى ويوم يحشرهم قرا ابن كثير وحفص عن عاصم يحشرهم فيقول بالياء فيهما وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي

وأبو بكر عن عاصم نحشرهم بالنون فيقول بالياء وقرأ ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون فيهما جميعا يعني المشركين وما يعبدون قال مجاهد يعني عيسى وعزيرا والملائكة وقال عكرمة والضحاك يعني الأصنام فيأذن الله للأصنام في الكلام ويخاطبها فيقول أأنتم أضللتم عبادي أي أمرتموهم بعبادتكم أم هم ضلوا السبيل أي أخطأوا الطريق قالوا يعني الأصنام سبحانك نزهوا الله تعالى أن يعبد غيره ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم والمعنى ما كان ينبغي لنا أن نعبد نحن غيرك فكيف ندعو إلى عبادتنا فدل هذا الجواب على انهم لم يأمروا بعبادتهم وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وابن جبير والحسن وقتادة وأبو جعفر وابن يعمر وعاصم الجحدري أن نتخذ برفع النون وفتح الخاء ثم ذكروا سبب تركهم الإيمان فقالوا ولكن متعتهم أي أطلت لهم العمر وأوسعت لهم الرزق حتى نسوا الذكر أي تركوا الإيمان بالقرآن والاتعاظ به وكانوا قوما بورا قال ابن عباس هلكي وقال في رواية أخرى البور في لغة أزد عمان الفاسد قال ابن قتيبة هو من بار يبور إذا هلك وبطل يقال بار الطعام إذا كسد وبارت الايم إذا لم يرغب فيها وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يتعوذ من بوار الأيم قال وقال أبو عبيدة يقال رجل بور وقوم بور لا يجمع ولا يثنى واحتج بقول الشاعر

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذا أنابور ...
وقد سمعنا ب رجل بائر ورأيناهم ربما جمعوا فاعلا على فعل نحو عائذ وعوذ وشارف وشرف قال المفسرون فيقال للكفار حينئذ فقد كذبوكم أي فقد كذبكم المعبودون في قولكم إنهم آلهة وقرأ سعيد ابن جبير ومجاهد ومعاذ القارئ وابن شنبوذ عن قنبل بما يقولون بالياء والمعنى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا الآية هذا قول الأكثرين وقال ابن زيد الخطاب للمؤمنين فالمعنى فقد كذبكم المشركون بما تقولون إن محمدا رسول الله صلى الله عليه و سلم
قوله تعالى فما يستطعيون صرفا ولا نصرا قرأ الأكثرون بالياء وفيه وجهان
أحدهما فما يستطيع المعبودون صرفا للعذاب عنكم ولا نصرا لكم
والثاني فما يستطيع الكفار صرفا لعذاب الله عنهم ولا نصرا لأنفسهم وقرأ حفص عن عاصم تستطيعون بالتاء والخطاب للكفار وحكى ابن قتيبة عن يونس البصري أنه قال الصرف الحيلة من قولهم إنه ليتصرف
قوله تعالى ومن يظلم منكم أي بالشرك نذقه في الآخرة وقرأ عاصم الجحدري والضحاك وأبو الجوزاء وقتادة يذقه بالياء عذابا كبيرا أي شديدا وما ارسلنا قبلك من المرسلين قال الزجاج في الآية محذوف

تقديره وما أرسلنا قبلك رسلا من المرسلين فحذفت رسلا لان قوله من المرسلين يدل عليها
قوله تعالى إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق أي إنهم كانوا على مثل حالك فكيف تكون بدعا منهم
فان قيل لم كسرت إنهم هاهنا وفتحت في براءة في قوله أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم فقد بينا هنالك علة فتح تلك فأما كسر هذه فذكر ابن الأنباري فيه وجهين
أحدهما أن تكون فيها واو حال مضمرة فكسرت بعدها إن للاستئناف فيكون التقدير إلا وإنهم ليأكلون الطعام فأضمرت الواو هاهنا كما أضمرت في قوله أو هم قائلون الأعراف والتأويل أو وهم قائلون
والثاني أن تكون كسرت لإضمار من قبلها فيكون التقدير وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا من إنهم ليأكلون قال الشاعر ... فظلوا ومنهم دمعة سابق له وآخر يثني دمعة العين بالمهل ...
أراد من دمعه
قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الفتنة الابتلاء والاختبار
وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال

أحدها أنه افتتان الفقير بالغني يقول لو شاء لجعلني غنيا والأعمى بالبصير والسقيم بالصحيح قاله الحسن

(٨٠/٦)

والثاني ابتلاء الشريف بالوضيع والعربي بالمولى فاذا أراد الشريف أن يسلم فرأى الوضيع قد سبقه بالإسلام أنف فأقام على كفره قاله ابن السائب

والثالث أن المستهزئين من قريش كانوا إذا رأوا فقراء المؤمنين قالوا انظروا إلى أتباع محمد من موالينا ورذالتنا قاله مقاتل

فعلى الأول يكون الخطاب بقوله أتصبرون لأهل البلاء وعلى الثاني للرؤساء فيكون المعنى أتصبرون على سبق الموالي والأتباع وعلى الثالث للفقراء فالمعنى أتصبرون على أذى الكفار واستهزائهم والمعنى قد علمتم ما وعد الصابرون وكان ربك بصيرا بمن يصبر وبمن يجزع وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتو عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا

قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا أي لا يخافون البعث لولا أي هلا انزل علينا الملائكة فكانوا رسلا إلينا وأخبرونا بصدقك

(٨١/٦)

أو نرى ربنا فيخبرنا أنك رسوله لقد استكبروا في أنفسهم أي تكبروا حين سألوا هذه الآيات وعتوا عتوا كبيرا قال الزجاج العتو في اللغة مجاوزة القدر في الظلم

قوله تعالى يوم يرون الملائكة فيه قولان

أحدهما عند الموت والثاني يوم القيامة

قال الزجاج وانتصب اليوم على معنى لا بشرى للمجرمين يوم يرون الملائكة ويومئذ مؤكد ل يوم يرون الملائكة والمعنى أنهم يمنعون البشرى في ذلك اليوم ويجوز أن يكون يوم منصوبا على معنى اذكر يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لا بشرى والمجرمون هاهنا الكفار

قوله تعالى ويقولون حجرا محجورا وقرأ قتادة والضحاك ومعاذ القارئ حجرا بضم الحاء قال الزجاج وأصل الحجر في اللغة ما حجرت عليه أي منعت من ان يوصل إليه ومنه حجر القضاة على الأيتام

وفي القائلين لهذا قولان
أحدهما أنهم الملائكة يقولون للكفار حجرا محجورا أي حراما محرما وفيما حرموه عليهم قولان
أحدهما البشرى فالمعنى حرام محرم ان تكون لكم البشرى قاله الضحاك والفراء وابن قتيبة والزجاج
والثاني أن تدخلوا الجنة قاله مجاهد
والثاني أنه قول المشركين إذا عاينوا العذاب ومعناه الاستعاذة من الملائكة روي عن مجاهد أيضا وقال ابن فارس كان الرجل إذا لقي من يخافه في الشهر الحرام قال حجرا أي حرام عليك أذاي فاذا رأى

(٨٢/٦)

المشركون الملائكة يوم القيامة قالوا حجرا محجورا يظنون أنه ينفعهم كما كان ينفعهم في الدنيا
قوله تعالى وقدمنا قال ابن قتيبة أي قصدنا وعمدنا والأصل أن من اراد القدوم إلى موضع عمد له وقصده
قوله تعالى إلى ما عملوا من عمل أي من أعمال الخير فجعلناه هباء لأن العمل لا يتقبل مع الشرك
وفي الهباء خمسة أقوال
أحدها أنه ما رأيته يتطاير في الشمس التي تدخل من الكوة مثل الغبار قاله علي عليه السلام والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة واللغويون والمعنى ان الله أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء
والثاني أنه الماء المهراق رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس
والثالث أنه ما تنسفه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس
والرابع أنه الشرر الذي يطير من النار إذا أضرمت فاذا وقع لم يكن شيئا رواه عطية عن ابن عباس
والخامس أنه ما يسطع من حوافر الدواب قاله مقاتل والمنثور المتفرق
قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ أي يوم القيامة خير مستقر

(٨٣/٦)

أفضل منزلا من المشركين وأحسن مقيلا قال الزجاج المقيل المقام وقت القائلة وهو النوم نصف النهار وقال الأزهري القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم وقال ابن مسعود وابن عباس لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم

أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا
قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا هذا معطوف على قوله يوم يرون الملائكة وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تشقق بالتشديد فأدغموا التاء في الشين لأن الأصل تتشقق قال الفراء المعنى تتشقق السماء عن الغمام وتنزل فيه الملائكة وعلى وعن والباء في هذا الموضع بمعنى واحد لان العرب تقول رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس والمعنى واحد وقال أبو علي الفارسي المعنى تتشقق السماء وعليها غمام كما تقول ركب الأمير بسلاحه وخرج بثيابه وإنما تتشقق السماء لنزول الملائكة قال ابن عباس تتشقق السماء عن الغمام وهو الغيم الأبيض وتنزل الملائكة في الغمام وقال مقاتل المراد بالسماء السماوات تتشقق عن الغمام وهو غمام أبيض كهيئة الضباب فتنزل الملائكة عند انشقاقها وقرأ ابن كثير وننزل بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة

(٨٤/٦)

واللام مضمومة والملائكة نصبا وقرأ عاصم الجحدري وأبو عمران الجوني ونزل بنون واحدة مفتوحة ونصب الزاي وتشديدها وفتح اللام ونصب الملائكة وقرأ ابن يعمر ونزل بفتح النون واللام والزاي والتخفيف الملائكة بالرفع
قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن قال الزجاج المعنى الملك الذي هو الملك حقا للرحمن فأما العسير فهو العصب الشديد يشتد على الكفار ويهون على المؤمنين فيكون كمقدار صلاة مكتوبة
قوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه في سبب نزولها ثلاثة أقوال
أحدها أن ابي بن خلف كان يحضر عند رسول الله صلى الله عليه و سلم ويجالسه من غير أن يؤمن به فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك فنزلت هذه الآية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس
والثاني أن عقبة دعا قوما فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم لطعام فأكلوا وأبى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يأكل وقال لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فشهد بذلك عقبة فبلغ ذلك أبي بن خلف وكان خليلا له فقال صبوت يا عقبة فقال لا والله ولكنه أبى أن يأكل حتى قلت ذلك وليس من نفسي فنزلت هذه الآية قاله مجاهد

(٨٥/٦)

والثالث أن عقبة كان خليلا لأمية بن خلف فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدا فكفر وارتد لرضى أمية فنزلت هذه الآية قاله الشعبي

فأما الظالم المذكور هاهنا فهو الكافر وفيه قولان
أحدهما أنه أبي بن خلف رواه العوفي عن ابن عباس
والثاني عقبة بن أبي معيط قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة قال عطاء يأكل يديه حتى تذهبا إلى المرفقين ثم تنبتان فلا يزال هكذا كلما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل
قوله تعالى يا ليتني اتخذت الأكثرون يسكنون يا ليتني وأبو عمرو يحركها قال أبو علي والأصل التحريك لانها بازاء الكاف التي للخطاب إلا أن حرف اللين تكره فيه الحركة ولذلك أسكن من اسكن والمعنى ليتني اتبعته فاتخذت معه طريقا إلى الهدى
قوله تعالى ليتني لم أتخذ فلانا في المشار إليه أربعة أقوال
أحدها أنه عنى أبي بن خلف قاله ابن عباس والثاني عقبة بن أبي معيط قاله أبو مالك والثالث الشيطان قاله مجاهد والرابع امية ابن خلف قاله السدي
فان قيل إنما يكنى من يخاف المبادأة أو يحتاج إلى المداجاة فما وجه الكناية
فالجواب أنه أراد بالظالم كل ظالم واراد بفلان كل من أطيع في معصية وأرضي بسخط الله وإن كانت الآية نزلت في شخص قاله ابن قتيبة

(٨٦/٦)

قوله تعالى لقد أضلني عن الذكر أي صرفني عن القرآن والإيمان به بعد إذ جاءني مع الرسول وهاهنا تم الكلام ثم قال الله تعالى وكان الشيطان للانسان يعني الكافر خذولا يتبرأ منه في الآخرة وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا
قوله تعالى وقال الرسول يعني محمدا صلى الله عليه و سلم وهذا عند كثير من العلماء أنه يقوله يوم القيامة فالمعنى ويقول الرسول يومئذ وذهب آخرون منهم مقاتل إلى أن الرسول قال ذلك شاكيا من قومه إلى الله تعالى حين كذبوه وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو إن قومي اتخذوا بتحريك الياء وأسكنها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
وفي المراد بقوله مهجورا قولان
أحدهما متروكا لا يلتفتون إليه ولا يؤمنون به وهذا معنى قول ابن عباس ومقاتل

(٨٧/٦)

والثاني هجروا فيه أي جعلوه كالهذيان ومنه يقال فلان يهجر في منامه أي يهذي قاله ابن قتيبة وقال الزجاج الهجر ما لا ينتفع به من القول قال المفسرون فعزاه الله عز و جل فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا أي كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك جعلنا لكل نبي عدوا من كفار قومه والمعنى لا يكبرن هذا عليك فلك بالأنبياء أسوة وكفى بربك هاديا ونصيرا يمنعك من عدوك قال الزجاج والباء في قوله بربك زائدة فالمعنى كفى ربك هاديا ونصيرا

وقال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا

قوله تعالى لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة أي كما أنزلت التوراة والإنجيل والزبور فقال الله عز و جل كذلك أي أنزلناه كذلك متفرقا لأن معنى ما قالوا لم نزل عليه متفرقا فقيل إنما أنزلناه كذلك لنثبت به فؤادك أي لنقوي به قلبك فتزداد بصيرة وذلك أنه كان يأتيه الوحي في كل أمر وحادثة فكان أقوى لقلبه وأنور لبصيرته وأبعد لاستيحاشه ورتلناه ترتيلا أي أنزلناه على الترتيل وهو التمكث الذي يضاد العجلة

قوله تعالى ولا يأتونك يعني المشركين بمثل يضربونه لك في مخاصمتك وإبطال أمرك إلا جئناك بالحق أي بالذي هو الحق لترد به كيدهم وأحسن تفسيرا من مثلهم والتفسير البيان والكشف

قال مقاتل ثم أخبر بمستقرهم في الآخرة فقال الذين يحشرون على

وجوههم وذلك أن كفار مكة قالوا إن محمدا وأصحابه شر خلق الله فنزلت هذه الآية

قوله تعالى أولئك شر مكانا أي منزلا ومصيرا وأضل سبيلا دينا وطريقا من المؤمنين ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا

قوله تعالى اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا

إن قيل إنما عاينوا الآيات بعد وجود الرسالة فكيف يقع التكذيب منهم قبل وجود الآيات

فالجواب أنهم كانوا مكذبين أنبياء الله وكتبه المتقدمة ومن كذب نبيا فقد كذب سائر الأنبياء ولهذا قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل وقال الزجاج يجوز ان يكون المراد به نوح وحده وقد ذكر بلفظ الجنس كما يقال فلان يركب الدواب وإن لم يركب إلا دابة واحدة وقد شرحنا هذا في هود عند قوله وعصوا رسله وقد سبق معنى التدمير الاعراف

قوله تعالى وأصحاب الرس في الرس ثلاثة أقوال
أحدها أنها بئر كانت تسمى الرس قاله ابن عباس في رواية العوفي

(٨٩/٦)

وقال في رواية عكرمة هي بئر بأذربيجان وزعم ابن السائب أنها بئر دون اليمامة وقال السدي بئر بأنطاكية
والثاني أن الرس قرية من قرى اليمامة قاله قتادة
والثالث أنها المعدن قاله ابو عبيدة وابن قتيبة
وفي تسميتها بالرس قولان
أحدهما أنهم رسوا نبيهم في البئر قاله عكرمة قال الزجاج رسوه أي دسوه فيها
والثاني أن كل ركية لم تطو فهي رس قاله ابن قتيبة
واختلفوا في أصحاب الرس على خمسة أقوال
أحدها أنهم قوم كانوا يعبدون شجرة فبعث الله تعالى إليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب فحفروا له بئرا وألقوه فيها فهلكوا قاله علي عليه السلام
والثاني أنهم قوم كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوا نبيهم فأهلكهم الله قاله سعيد بن جبير
والثالث أنهم كانوا أهل بئر ينزلون عليها وكانت لهم مواش وكانوا يعبدون الاصنام فبعث الله إليهم شعيبا فتمادوا في طغيانهم فانهارت البئر فخسف بهم وبمنازلهم قاله وهب بن منبه
والرابع أنهم الذين قتلوا حبيبا النجار قتلوه في بئر لهم وهو الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين يس قاله السدي
والخامس أنهم قوم قتلوا نبيهم وأكلوه وأول من عمل السحر نساؤهم قاله ابن السائب

(٩٠/٦)

قوله تعالى وقرونا المعنى وأهلكنا قرونا بين ذلك كثيرا أي بين عاد وأصحاب الرس وقد سبق بيان القرن الانعام وفي هذه القصص تهديد لقريش
قوله تعالى وكلا ضربنا له الأمثال أي أعذرنا إليه بالموعظة وإقامة الحجة وكلا تبرنا قال الزجاج التتبير والتدمير وكل شئ كسرته وفتته فقد تبرته وكسارته التبر ومن هذا قيل لمكسور الزجاج التبر وكذلك تبر الذهب ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا وإذا

رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم اضل سبيلا

قوله تعالى ولقد أتوا يعني كفار مكة على القرية التي أمطرت مطر السوء يعني قرية قوم لوط التي رميت بالحجارة افلم يكونوا يرونها في أسفارهم فيعتبروا ثم أخبر بالذي جرأهم على التكذيب فقال بل كانوا لا يرجون نشورا أي لا يخافون بعثا هذا قول المفسرين وقال الزجاج الذي عليه اهل اللغة أن الرجاء ليس بمعنى الخوف وإنما المعنى بل كانوا لا يرجون ثواب عمل الخير فركبوا المعاصي

(٩١/٦)

قوله تعالى وإذا راوك إن يتخذونك أي ما يتخذونك إلا هزوا أي مهزوءا به ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا أي ليصرفنا عن عبادة آلهتنا لولا أن صبرنا عليها أي على عبادتها قال الله تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب في الآخرة من أضل أي من أخطأ طريقا عن الهدى اهم أم المؤمنون

ثم عجب نبيه من جهلهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى فقال أرأيت من اتخذ إلهه هواه قال ابن عباس كان أحدهم يعبد الحجر فاذا رأى ماهو أحسن منه رمى به وعبد الآخر وقال قتادة هو الكافر لا يهوى شيئا إلا ركبه وقال ابن قتيبة المعنى يتبع هواه ويدع الحق فهو له كالإله

قوله أفأنت تكون عليه وكيلا أي حفيظا يحفظه من اتباع هواه وزعم الكلبي ان هذه الآية منسوخة بآية القتال

قوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون يعني أهل مكة والمراد يسمعون سماع طالب الإفهام او يعقلون ما يعاينون من الحجج والأعلام إن هم إلا كالأنعام وفي وجه تشبيههم بالأنعام قولان

أحدهما أن الأنعام تسمع الصوت ولا تفقه القول

والثاني أنه ليس لها هم إلا المأكل والمشرب

قوله تعالى بل هم أضل سبيلا لأن البهائم تهتدي لمراعيها وتنقاد لأربابها وتقبل على المحسن إليها وهم على خلاف ذلك ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا

(٩٢/٦)

وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا

قوله تعالى الم تر إلى ربك أي إلى فعل ربك وقال الزجاج معناه الم تر فهو من رؤية القلب ويجوز أن يكون من رؤية العين فالمعنى ألم تر إلى الظل كيف مده ربك والظل من وقت طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس ولو شاء لجعله ساكنا أي ثابتا دائما لا يزول ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فالشمس دليل على الظل فلولا الشمس ما عرف أنه شئ كما أنه لولا النور ما عرفت الظلمة فكل الاشياء تعرف بأضدادها

قوله تعالى ثم قبضناه إلينا يعني الظل قبضا يسيرا وفيه قولان

أحدهما سريعا قاله ابن عباس والثاني خفيا قاله مجاهد

وفي وقت قبض الظل قولان أحدهما عند طلوع الشمس يقبض الظل وتجمع أجزاؤه المنبسطة بتسليط الشمس عليه حتى تنسخه شيئا فشيئا والثاني عند غروب الشمس تقبض أجزاء الظل بعد غروبها ويخلف كل جزء منه جزءا من الظلام

قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا أي ساترا بظلمته لأن ظلمته تغشى الاشخاص وتشتمل عليها اشتمال اللباس على لابسه والنوم

سباتا قال ابن قتيبة أي راحة ومنه يوم السبت لأن الخلق اجتمع يوم الجمعة وكان الفراغ منه في يوم السبت فقيل لبني إسرائيل استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئا فسمي يوم السبت أي يوم الراحة وأصل السبت التمدد ومن تمدد استراح وقال ابن الأنباري أصل السبت القطع فالمعنى وجعلنا النوم قطعا لأعمالكم

قوله تعالى وجعل النهار نشورا فيه قولان أحدهما تنتشرون فيه لابتغاء الرزق قاله ابن عباس والثاني تنشر الروح باليقظة كما تنشر بالبعث حكاه الماوردي

قوله تعالى وهو الذي أرسل الرياح قد شرحناه في الأعراف إلى قوله وأنزلنا من السماء ماء طهورا يعني المطر قال الأزهري الطهور في اللغة الطاهر المطهر والطهور ما يتطهر به كالوضوء الذي يتوضأ به والفطور الذي يفطر عليه

قوله تعالى لنحيي به بلدة ميتا وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء وأبو جعفر ميتا بالتشديد قال الزجاج لفظ

البلدة مؤنث وإنما قيل ميتا لان معنى البلدة والبلد سواء وقال غيره إنما قال ميتا لأنه أراد بالبلدة المكان وقد سبق معنى صفة البلدة بالموت الأعراف ومعنى ونسقيه الحجر وقرأ أبو مجلز وأبو رجاء والضحاك والأعمش وابن أبي عبلة ونسقيه بفتح النون فاما الأناسي فقال الزجاج هو جمع إنسي مثل كرسي وكراسي ويجوز أن يكون جمع إنسان وتكون الباء بدلا من النون الأصل أناسين مثل سراحين وقرأ أبو مجلز

(٩٤/٦)

والضحاك وأبو العالية وعاصم الجحدري وأناسي بتخفيف الياء
قوله تعالى ولقد صرفناه يعني المطر بينهم مرة لهذه البلدة ومرة لهذه ليذكروا أي ليتفكروا في نعم الله عليهم فيحمدوه وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا خفيفة الذال قال أبو علي يذكر في معنى يتذكر فأبى أكثر الناس إلا كفورا وهم الذين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا كفروا بنعمة الله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا المعنى إنا بعثناك إلى جميع القرى لعظم كرامتك فلا تطع الكافرين وذلك أن كفار مكة دعوه إلى دين آبائهم وجاهدهم به أي بالقرآن جهادا كبيرا أي تاما شديدا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا
قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين قال الزجاج أي خلى بينهما تقول مرجت الدابة وأمرجتها إذا خليتها ترعى ومنه الحديث مرجت

(٩٥/٦)

عهودهم واماناتهم أي اختلطت قال المفسرون والمعنى أنه أرسلهما في مجاريهما فما يلتقيان ولا يختلط الملح بالعذب ولا العذب بالملح وهو قوله هذا يعني أحد البحرين عذب أي طيب يقال عذب الماء يعذب عذوبة فهو عذب قال الزجاج والفرات صفة للعذب وهو أشد الماء عذوبة والأجاج صفةللملح وهو المر الشديد المرارة وقال ابن قتيبة هو أشد الماء ملوحة وقيل هو الذي يخالطه مرارة ويقال ماء ملح ولا يقال مالح والبرزخ الحاجز وفي هذا الحاجز وقولان
أحدهما أنه مانع من قدرة الله تعالى قاله الأكثرون قال الزجاج فهما في مرأى العين مختلطان وفي قدرة الله منفصلان لا يختلط أحدهما بالآخر قال أبو سليمان الدمشقي ورأيت عند عبدان من سواد البصرة الماء العذب ينحدر في دجلة نحو البحر ويأتي المد من البحر فيلتقيان فلا يختلط أحد الماءين بالآخر

يرى ماء البحر إلى الخضرة الشديدة وماء دجلة إلى الحمرة الخفيفة فيأتي المستقي فيغرف من ماء دجلة عذبا لا يخالطه شيء وإلى جانبه ماء البحر في مكان واحد

والثاني أن الحاجز الأرض واليبس وهو قول الحسن والأول أصح

قوله تعالى وحجرا محجورا قال الفراء أي حراما محرما أن يغلب أحدهما صاحبه

(٩٦/٦)

قوله تعالى وهوالذي خلق من الماء بشرا أي من النطفة بشرا أي إنسانا فجعله نسبا وصهرا أي ذا نسب وصهر قال علي عليه السلام النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه وقال الضحاك النسب سبع وهو قوله حرمت عليكم أمهاتكم إلى قوله وبنات الأخت والصهر خمس وهو قوله وأمهاتكم الاتي أرضعنكم إلى قوله من أصلابكم وقال طاووس الرضاعة من الصهر وقال ابن قتيبة نسبا اي قرابة النسب وصهرا أي قرابة النكاح وكل شيء من قبل الزوج مثل الأب والأخ فهم الأحماء واحدهم حما مثل قفا وحمو مثل أبو وحمء مهموز ساكن الميم وحم مثل أب وحماة المرأة أم زوجها لا لغة فيها غير هذه وكل شيء من قبل المرأة فهم الأختان والصهر يجمع ذلك كله وحكى ابن فارس عن الخليل أنه قال لا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان ولأهل بيت المرأة إلا أصهار ومن العربمن يجعلهم أصهارا كلهم

والصهر إذابة الشيء وذكر الماوردي أن المناكح سميت صهرا لاختلاط الناس بها كما يختلط الشيء إذا صهر

قوله تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا فيه أربعة أقوال

أحدها معينا للشيطان على ربه لأن عبادته للأصنام معاونة للشيطان

والثاني معينا للمشركين على أن لا يوحدوا الله تعالى

والثالث معينا على أولياء ربه

والرابع وكان الكافر على ربه هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان إذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت إليه قالوا والمراد بالكافر هاهنا أبو جهل

(٩٧/٦)

وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا قل ما أسئلكم عليه من أجر إلا من شاء ان يتخذ إلى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا

وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا

قوله تعالى ماأسألكم عليه أي على القرآن وتبليغ الوحي من أجر وهذا توكيد لصدقه لأنه لو سألهم شيئا من أموالهم لا تهموه إلا من شاء معناه لكن من شاء ان يتخذ إلى ربه سبيلا بانفاق ماله في مرضاته فعل ذلك فكأنه قال لا أسألكم لنفسي وقد سبق تفسير الكلمات التي تلي هذه آل عمران البقرة الأعراف إلى قوله فاسأل به خبيرا وبه بمعنى عنه قال علقمة بن عبدة ... فان تسألوني بالنساء فانني بصير بأدواء النساء طبيب ...

وفي هاء به ثلاثة أقوال

أحدها أنها ترجع إلى الله عز و جل والثاني إلى اسمه الرحمن لأنهم قالوا لا نعرف الرحمن والثالث إلى ما ذكر من خلق السماوات والأرض وغير ذلك

وفي الخبير أربعة أقوال

أحدها أنه جبريل قاله ابن عباس والثاني أنه الله عز و جل والمعنى

سلني فأنا الخبير قاله مجاهد والثالث أنه القرآن قاله شمر والرابع مسلمة أهل الكتاب قاله ابو سليمان وهذا يخرج على قولهم لا نعرف الرحمن فقيل سلوا مسلمة أهل الكتاب فان الله تعالى خاطب موسى في التوراة باسمه الرحمن فعلى هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم والمراد سواه

قوله تعالى وإذا قيل لهم يعني كفار مكة اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قال المفسرون إنهم قالوا لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فأنكروا أن يكون من أسماء الله تعالى أنسجد لما تأمرنا وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء أي لما يأمرنا به محمد وهذا استفهام إنكار ومعناه لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له وزادهم ذكر الرحمن نفورا أي تباعدا من الإيمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر او أراد شكورا

قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا قد شرحناه في الحجر والمراد بالسراج الشمس وقرأ حمزة والكسائي سرجا بضم السين والراء وإسقاط الألف قال الزجاج أراد الشمس والكواكب العظام ويجوز سرجا بتسكين الراء مثل رسل ورسل قال الماوردي لما اقترن بضوء الشمس وهج حرها جعلها لأجل الحرارة سراجا ولما عدم ذلك في القمر جعله نورا

قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة فيه قولان

أحدهما أن كل واحد منهما يخالف الآخر في اللون فهذا أبيض وهذا

أسود روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس وابن أبي نجيح عن مجاهد وبه قال قتادة
والثاني ان كل واحد منهما يخلف صاحبه رواه عمرو بن قيس الملائي عن مجاهد وبه قال ابن زيد وأهل اللغة وأنشدوا قول زهير ... بها العين والآرام يمشين خلفة ... وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم ...
أي إذا ذهبت طائفة جاءت طائفة
قوله تعالى لمن أراد أن يذكر أي يتعظ ويعتبر باختلافهما وقرأ حمزة يذكر خفيفة الذال مضمومة الكاف وهي في معنى يتذكر أو أراد شكر الله تعالى فيهما وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما

(١٠٠/٦)

قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون وقرأ علي وأبو عبد الرحمن السلمي وابن السميفع يمشون برفع الياء وفتح الميم والشين وبالتشديد وقال ابن قتيبة إنما نسبهم إليه لاصطفائه إياهم كقوله ناقة الله الأعراف ومعنى هونا مشيا رويدا ومنه يقال أحبب حبيبك هونا ما وقال مجاهد يمشون بالوقار والسكينة وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أي سدادا وقال الحسن لا يجهلون على أحد وإن جهل عليهم حلموا وقال مقاتل بن حيان قالوا سلاما أي قولا يسلمون فيه من الإثم وهذه الآية محكمة عند الأكثرين وزعم قوم أن المراد بها أنهم يقولون للكفار ليس بيننا وبينكم غير السلام ثم نسخت بآية السيف

(١٠١/٦)

قوله تعالى والذين يبيتون لربهم قال الزجاج كل من أدركه الليل فقد بات نام أو لم ينم يقال بات فلان قلقا إنما المبيت إدراك الليل
قوله تعالى كان غراما فيه خمسة أقوال متقارب معانيها
احدها دائما رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه و سلم والثاني موجعا رواه الضحاك عن ابن عباس والثالث ملحا قاله ابن السائب وقال ابن جريج لا يفارق والرابع هلاكا قاله أبو عبيدة والخامس أن الغرام في اللغة أشد العذاب قال الشاعر ... ويوم النسار ويوم الجفا ... ركانا عذبا وكانا غراما ...

قاله الزجاج
قوله تعالى ساءت مستقرا أي بئس موضع الاستقرار وموضع الإقامة هي
قوله تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يقتروا مفتوحة الياء مكسورة التاء وقرأ عاصم وحمزة والكسائي يقتروا بفتح الياء وضم التاء وقرأ نافع وابن عامر يقتروا بضم الياء وكسر التاء
وفي معنى الكلام قولان
أحدهما أن الإسراف مجاوزة الحد في النفقة والإقتار التقصير عما لا بد

(١٠٢/٦)

منه ويدل على هذا قول عمر بن الخطاب كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما اشتهى
والثاني أن الإسراف الإنفاق في معصية الله وإن قل والإقتار منع حق الله تعالى قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج في آخرين
قوله تعالى وكان يعني الإنفاق بين ذلك أي بين الإسراف والإقتار قواما أي عدلا قال ثعلب القوام بفتح القاف الاستقامة والعدل وبكسرها ما يدوم عليه الأمر ويستقر والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما
قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله إلها آخر في سبب نزولها ثلاثة أقوال
أحدها ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم أي الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت

(١٠٣/٦)

ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله إلها آخر الآية
والثاني أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية إلى قوله غفورا رحيما أخرجه مسلم من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس

والثالث أن وحشيا أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا محمد أتيتك مستجيرا فأجرني حتى أسمع كلام الله فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم قد كنت احب أن أراك على غير جوار فأما إذا أتيتني مستجيرا فأنت في جواري حتى تسمع كلام الله قال فاني أشركت بالله وقتلت التي حرم الله وزينت فهل يقبل الله مني توبة فصمت رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى نزلت هذه الآية فتلاها عليه فقال أرى شرطا فلعلي لا أعمل صالحا أنا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء النساء فدعاه فتلاها عليه فقال ولعلي ممن لا يشاء الله أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية الزمر فقال نعم الآن لا أرى شرطا فأسلم رواه عطاء عن ابن عباس وهذا وحشي هو قاتل حمزة وفي هذا الحديث المذكور عنه نظر وهو بعيد الصحة والمحفوظ في إسلامه غير هذا وأنه قدم

(٦/١٠٤)

مع رسل الطائف فأسلم من غير اشتراط وقوله يدعون معناه يعبدون وقد سبق بيان قتل النفس بالحق في الأنعام

قوله تعالى يلق أثاما وقرأ سعيد بن جبير وأبو المتوكل يلق برفع الياء وفتح اللام وتشديد القاف مفتوحة قال ابن عباس يلق جزاء وقال مجاهد وعكرمة وهو واد في جهنم وقال ابن قتيبة يلق عقوبة وأنشد جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقا والعقوق له أثام قال الزجاج وقوله يلق أثاما جزما على الجزاء قال أبو عمرو الشيباني يقال قد لقي أثام ذلك أي جزاء ذلك وسيبويه والخليل يذهبان إلى أن معناه يلقى جزاء الأثام قال سيبويه وإنما جزم يضاعف له العذاب لأن مضاعفة العذاب لقي الآثام فلذلك جزمت كما قال الشاعر ... متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ...

لأن الإتيان هو الإلمام فجزم تلمم لانه بمعنى تأتي وقرأ الحسن يضعف وهو جيد بالغ تقول ضاعفت الشئ وضعفته وقرأ عاصم يضاعف بالرفع على تفسير يلق اثاما كأن قائلا قال ما لقي الأثام فقيل يضاعف للآثم العذاب وقرأ أبو المتوكل وقتادة وأبو حيوة يضعف برفع الياء وسكون الضاد وفتح العين خفيفة من غير ألف وقرأ أبو حصين الأسدي والعمري عن أبي جعفر مثله إلا أن العين مكسورة والعذاب بالنصب

(٦/١٠٥)

قوله تعالى ويخلد وقرأ أبو حيوة وقتادة والأعمش ويخلد برفع الياء وسكون الخاء وفتح اللام مخففة وقرأ عاصم الجحدري وابن يعمر وأبو المتوكل مثله إلا أنهم شددوا اللام فصل

ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية قولان

أحدهما أنها منسوخة وفي ناسخها ثلاثة أقوال أحدها أنه قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم النساء قاله ابن عباس وكان يقول هذه مكية والتي في النساء مدنية والثاني انها نسخت بقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك الآية النساء والثالث أن الأولى نسخت بالثانية وهي قوله إلا من تاب

والقول الثاني أنها محكمة والخلود إنما كان لانضمام الشرك إلى القتل والزنا وفساد القول الأول ظاهر لأن القتل لا يوجب تخليدا عند الأكثرين وقد بيناه في سورة النساء والشرك لا يغفر إذا مات المشرك عليه والاستثناء ليس بنسخ

قوله تعالى إلا من تاب قال ابن عباس قرأنا على عهد رسول الله سنتين والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ثم نزلت إلا من تاب فما رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فرح بشئ فرحه بها وب إنا فتحنا لك فتحا مبينا الفتح

(١٠٦/٦)

قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اختلفوا في كيفية هذا التبديل وفي زمان كونه فقال ابن عباس يبدل الله شركهم إيمانا وقتلهم إمساكا وزناهم إحصانا وهذا يدل على أنه يكون في الدنيا وممن ذهب إلى هذا المعنى سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد والثاني أن هذا يكون في الآخرة قاله سلمان رضي الله عنه وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وقال عمرو بن ميمون يبدل الله سيئات المؤمن إذا غفرها له حسنات حتى إن العبد يتمنى أن تكون سيئاته أكثر مما هي وعن الحسن كالقولين وروي عن الحسن أنه قال ود قوم يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب فقيل من هم قال هم الذين قال الله تعالى فيهم فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات ويؤكد هذا القول حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه و سلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه فتعرض عليه صغار ذنوبه وتنحى عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبار فيقال أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة أخرجه مسلم في صحيحه

(١٠٧/٦)

ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب إلى الله متابا والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما

قوله تعالى ومن تاب ظاهر هذه التوبة أنها عن الذنوب المذكورة وقال ابن عباس يعني ممن لم يقتل ولم يزن وعمل صالحا فاني قد قدمتهم وفضلتهم على من قاتل نبيي واستحل محارمي

قوله تعالى فانه يتوب إلى الله متابا قال ابن الأنباري معناه من اراد التوبة وقصد حقيقتها فينبغي له أن يريد الله بها ولا يخلط بها ما يفسدها وهذا كما يقول الرجل من تجر فانه يتجر في البز ومن ناظر فانه يناظر في النحو أي من أراد ذلك فينبغي أن يقصد هذا الفن قال ويجوز أن يكون معنى هذه الآية ومن تاب وعمل صالحا فان ثوابه وجزاءه يعظمان له عند ربه الذي أراد بتوبته فلما كان قوله فانه يتوب إلى الله متابا يؤدي عن هذا المعنى كفى منه وهذا كما يقول الرجل للرجل إذا تكلمت فاعلم

(١٠٨/٦)

أنك تكلم الوزير أي تكلم من يعرف كلامك ويجازيك ومثله قوله تعالى إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت يونس أي فاني أتوكل على من ينصرني ولا يسلمني وقال قوم معنى الآية فانه يرجع إلى الله مرجعا يقبله منه

قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور فيه ثمانية أقوال

أحدها أنه الصم روى الضحاك عن ابن عباس ان الزور صنم كان للمشركين والثاني أنه الغناء قاله محمد بن الحنفية ومكحول وروى ليث عن مجاهد قال لا يسمعون الغناء والثالث الشرك قاله الضحاك وأبو مالك والرابع لعب كان لهم في الجاهلية قاله عكرمة والخامس الكذب قاله قتادة وابن جريج والسادس شهادة الزور قاله علي بن أبي طلحة والسابع أعياد المشركين قاله الربيع بن أنس والثامن مجالس الخنا قاله عمرو بن قيس

(١٠٩/٦)

وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال

أحدها المعاصي قاله الحسن والثاني أذى المشركين إياهم قاله مجاهد والثالث الباطل قاله قتادة والرابع الشرك قاله الضحاك والخامس إذا ذكروا النكاح كنوا عنه قاله مجاهد وقال محمد بن علي إذا ذكروا الفروج كنوا عنها

قوله تعالى مروا كراما فيه ثلاثة أقوال
أحدها مروا حلماء قاله ابن السائب والثاني مروا معرضين عنه قاله مقاتل والثالث أن المعنى إذا مروا باللغو جاوزوه قاله الفراء
قوله تعالى والذين إذا ذكروا أي وعظوا بآيات ربهم وهي القرآن لم يخروا عليها صما وعميانا قال ابن قتيبة لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها عمي لم يروها وقال غيره من أهل اللغة لم يثبتوا على حالتهم الأولى كأنهم لم يسمعوا ولم يروا وإن لم يكونوا خروا حقيقة تقول العرب شتمت فلانا فقام يبكي وقعد يندب وأقبل يعتذر وظل يتحير وإن لم يكن قام ولا قعد

(٦/١١٠)

قوله تعالى هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم وذرياتنا على الجمع وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وحفص عن عاصم وذريتنا على التوحيد قرة أعين وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة قرات أعين يعنون من يعمل بطاعتك فتقر به أعيننا في الدنيا والآخرة وسئل الحسن عن قوله قرة أعين في الدنيا أم في الآخرة قال لا بل في الدنيا وأي شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وولده يطيعون الله والله ما طلب القوم إلا أن يطاع الله فتقر أعينهم قال الفراء إنما قال قرة لأنها فعل والفعل لا يكاد يجمع ألا ترى إلى قوله وادعوا ثبورا كثيرا الفرقان فلم يجمعه والقرة مصدر تقول قرت عينه قرة ولو قيل قرة عين او قرات اعين كان صوابا وقال غيره أصل القرة من البرد لأن العرب تتأذى بالحر وتستروح إلى البرد
قوله تعالى واجعلنا للمتقين إماما فيه قولان
أحدهما اجعلنا ائمة يقتدى بنا قاله ابن عباس وقال غيره هذا من الواحد الذي يراد به الجمع كقوله إنا رسول رب العالمين الشعراء وقوله فانهم عدو لي الشعراء
والثاني اجعلنا مؤتمين بالمتقين مقتدين بهم قاله مجاهد فعلى هذا يكون الكلام من المقلوب فيكون المعنى واجعل المتقين لنا إماما

(٦/١١١)

أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما
قوله تعالى أولئك يجزون الغرفة قال ابن عباس يعني الجنة وقال غيره الغرفة كل بناء عال مرتفع والمراد

غرف الجنة وهي من الزبرجد والدر والياقوت بما صبروا على دينهم وعلى أذى المشركين
قوله تعالى ويلقون فيها قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم ويلقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويلقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف تحية وسلاما قال ابن عباس يحيي بعضهم بعضا بالسلام ويرسل إليهم الرب عز و جل بالسلام وقال مقاتل تحية يعني السلام وسلاما أي سلم الله لهم أمرهم وتجاوز عنهم
قوله تعالى قل ما يعبأ بكم ربي فيه ثلاثة أقوال
أحدها ما يصنع بكم قاله ابن عباس والثاني أي وزن يكون لكم عنده تقول ما عبأت بفلان أي ما كان له عندي وزن ولا قدر قاله الزجاج والثالث ما يعبأ بعذابكم قاله ابن قتيبة
وفي قوله لولا دعاؤكم أربعة أقوال
أحدها لولا إيمانكم رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

(١١٢/٦)

والثاني لولا عبادتكم رواه الضحاك عن ابن عباس
والثالث لولا دعاؤه إياكم لتعبدوه قاله مجاهد والمراد نفع الخلق لأن الله تعالى غير محتاج
والرابع لولا توحيدكم حكاه الزجاج وعلى قول الأكثرين ليس في الآية إضمار وقال ابن قتيبة فيها إضمار تقديره ما يعبأ بعذابكم لولا ما تدعونه من الشريك والولد ويوضح ذلك قوله فسوف يكون لزاما يعني العذاب ومثله قول الشاعر ... من شاء دلى النفس في هوة ... ضنك ولكن من له بالمضيق ...
أي بالخروج من المضيق وهل هذا خطاب للمؤمنين أو للكفار فيه قولان فأما قوله تعالى فقد كذبتم فهو خطاب لأهل مكة حين كذبوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فسوف يكون يعني تكذيبكم لزاما أي عذابا لازما لكم وفيه ثلاثة أقوال
أحدها أنه قتلهم يوم بدر فقتلوا يومئذ واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم وهذا مذهب ابن مسعود وأبي بن كعب ومجاهد في آخرين والثاني أنه الموت قاله ابن عباس والثالث أن اللزام القتال قاله ابن زيد

(١١٣/٦)

سورة الشعراء
وهي مكية كلها إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الشعراء إلى آخرها

قاله ابن عباس وقتادة بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فيسأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزؤون أولم يروا إلى الأرض كم أنبئنا فيها من كل زوج كريم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم

قوله تعالى طسم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر طسم بفتح الطاء وإدغام النون من هجاء سين عند الميم وقرأ حمزة والكسائي وخلف وأبان والمفضل طسم وطس النمل بامالة الطاء فيهما وأظهر النون من هجاء سين عند الميم حمزة هاهنا وفي القصص

(٦/١١٤)

وفي معنى طسم أربعة أقوال

أحدها أنها حروف من كلمات ثم فيها ثلاثة أقوال أحدها ما رواه علي بن أبي طالب عليه السلام قال لما نزلت طسم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم الطاء طور سيناء والسين الاسكندرية والميم مكة والثاني أن الطاء طيبة وسين بيت المقدس وميم مكة رواه الضحاك عن ابن عباس والثالث الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد صلى الله عليه و سلم قاله جعفر الصادق

والثاني أنه قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وقد بينا كيف يكون مثل هذا من أسماء الله تعالى في فاتحة مريم وقال القرظي أقسم الله بطوله وسنائه وملكه

والثالث انه اسم للسورة قاله مجاهد

والرابع أنه اسم من أسماء القرآن قاله قتادة وأبو روق وما بعد

(٦/١١٥)

هذا قد سبق تفسيره المائدة الكهف إلى قوله ألا يكونوا مؤمنين والمعنى لعلك قاتل نفسك لتركهم الإيمان

ثم أخبر أنه لو أراد أن ينزل عليهم ما يضطرهم إلى الإيمان لفعل فقال إن نشأ ننزل وقرأ أبو رزين وأبو المتوكل إن يشأ ينزل بالياء فيهما عليهم من السماء آية فظلت لها خاضعين جعل الفعل أولا للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون وقيل لما وصف الأعناق بالخضوع وهو من صفات بني آدم أخرج الفعل مخرج الآدميين كما بينا في قوله والشمس والقمر رأيتهم لي

ساجدين يوسف وهذا اختيار أبي عبيدة وقال الزجاج قوله فظلت معناه فتظل لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل كقولك إن تأتني أكرمتك معناه أكرمك وإنما قال خاضعين لأن خضوع الأعناق هو خضوع أصحابها وذلك أن الخضوع لما لم يكن إلا بخضوع الأعناق جاز أن يخبر عن المضاف إليه كما قال الشاعر ... رأت مر السنين أخذن مني ... كما أخذ السرار من الهلال ... فلما كانت السنون لا تكون إلا بمر أخبر عن السنين وإن كان أضاف إليها المرور قال وجاء في التفسير أنه يعني بالأعناق كبراءهم ورؤساءهم وجاء في

(١١٦/٦)

اللغة أن أعناقهم جماعاتهم يقال جاءني عنق من الناس أي جماعة وما بعد هذا قد سبق تفسيره الأنبياء إلى قوله أو لم يروا إلى الأرض يعني المكذبين بالبعث كم أنبتنا فيها بعد أن لم يكن فيها نبات من كل زوج كريم قال ابن قتيبة من كل جنس حسن وقال الزجاج الزوج النوع والكريم المحمود
قوله تعالى إن في ذلك الإنبات لآية تدل على وحدانية الله وقدرته وما كان أكثرهم مؤمنين أي ما كان أكثرهم يؤمن في علم الله وإن ربك لهو العزيز المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل إلى هارون ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل
قوله تعالى وإذ نادى المعنى واتل هذه القصة على قومك
قوله تعالى أن يكذبون ياء يكذبون محذوفة ومثلها أن يقتلون الشعراء سيهدين الشعراء فهو يدين الشعراء

(١١٧/٦)

ويسقين الشعراء فهو يشفين الشعراء ثم يحيين الشعراء كذبون الشعراء وأطيعون الشعراء فهذه ثمان آيات أثبتهن في الحالين يعقوب
قوله تعالى ويضيق صدري أي بتكذيبهم إياي ولا ينطلق لساني للعقدة التي كانت بلسانه وقرأ يعقوب

ويضيق ولا ينطلق بنصب القاف فيهما فأرسل إلى هارون المعنى ليعينني فحذف لأن في الكلام دليلا عليه ولهم علي ذنب وهو القتيل الذي وكزه فقضى عليه والمعنى ولهم علي دعوى ذنب فأخاف أن يقتلون به قال كلا وهو ردع وزجر عن الإقامة على هذا الظن والمعنى لن يقتلوك لأني لا اسلطهم عليك فاذهبا يعني أنت وأخوك بآياتنا وهي ما أعطاهما من المعجزة إنا يعني نفسه عز و جل معكم فأجراها مجرى الجماعة مستمعون نسمع ما تقولان وما يجيبونكما به

قوله تعالى إنا رسول رب العالمين قال ابن قتيبة الرسول يكون بمعنى الجميع كقوله هؤلاء ضيفي الحجر وقوله ثم نخرجكم طفلا الحج وقال الزجاج المعنى إنا رسالة رب العالمين أي ذوو رسالة رب العالمين قال الشاعر ... لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بسر ولا أرسلتهم برسول ...

أي برسالة

(١١٨/٦)

قوله تعالى أن أرسل المعنى بأن أرسل معنا بني إسرائيل أي أطلقهم من الاستعباد فأتياه فبلغاه الرسالة ف قال ألم نر بك فينا وليدا أي صبيا صغيرا ولبثت فينا من عمرك سنين وفيها ثلاثة أقوال

أحدها ثماني عشرة سنة قاله ابن عباس والثاني أربعون سنة قاله ابن السائب والثالث ثلاثون سنة قاله مقاتل والمعنى فجازيتنا على ان ربيناك أن كفرت نعمتنا وقتلت منا نفسا وهو قوله وفعلت فعلتك وهي قتل النفس قال الفراء وإنما نصبت الفاء لأنها مرة واحدة ولو أريد بها مثل الجلسة والمشية جاز كسرها وفي قوله وأنت من الكافرين قولان

أحدهما من الكافرين لنعمتي قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والضحاك وابن زيد

والثاني من الكافرين بالهك كنت معنا على ديننا الذي تعيب قاله الحسن والسدي فعلى الاول وأنت من الكافرين الآن وعلى الثاني وكنت

وفي قوله وأنا من الضالين ثلاثة أقوال

أحدها من الجاهلين قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وقال بعض المفسرين المعنى إني كنت جاهلا لم يأتني من الله شئ

والثاني من الخاطئين والمعنى إني قتلت النفس خطأ قاله ابن زيد

والثالث من الناسين ومثله أن تضل إحداهما البقرة قاله أبو عبيدة

قوله تعالى ففررت منكم أي ذهبت من بينكم لما خفتكم على

(١١٩/٦)

نفسي إلى مدين وقرأ عاصم الجحدري والضحاك وابن يعمر لما بكسر اللام وتخفيف الميم فوهب لي ربي حكما وفيه قولان

أحدهما النبوة قاله ابن السائب والثاني العلم والفهم قاله مقاتل

قوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي يعني التربية ان عبدت بني إسرائيل أي اتخذتهم عبيدا يقال عبدت فلانا وأعبدته واستعبدته إذا اتخذته عبدا

وفي أن وجهان

أحدهما أن تكون في موضع رفع على البدل من نعمة

والثاني أن تكون في موضع نصب بنزع الخافض تقديره لأن عبدت أو لتعبيدك

واختلف العلماء في تفسير الآية ففسرها قوم على الإنكار وقوم على الإقرار فمن فسرها على الإنكار قال معنى الكلام أو تلك نعمة على طريق الاستفهام ومثله هذا ربي الانعام وقوله فهم الخالدون الانبياء وانشدوا ... لم أنس يوم الرحيل وقفتها وجفنها من دموعها شرق ... وقولها والركاب سائرة ... تتركنا هكذا وتنطلق

(١٢٠/٦)

وهذا قول جماعة منهم ثم لهم في معنى الكلام ووجهه أربعة أقوال

أحدها أن فرعون أخذ أموال بني إسرائيل واستعبدهم وأنفق على موسى منها فأبطل موسى النعمة لأنها أموال بني إسرائيل قاله الحسن

والثاني أن المعنى إنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكفلني أهلي وكانت أمي تستغني عن قذفي في اليم فكأنك تمن علي بما كان بلاؤك سببا له وهذا قول المبرد والزجاج والأزهري

والثالث أن المعنى تمن علي باحسانك إلي خاصة وتنسى إساءتك بتعبيدك بني إسرائيل قاله مقاتل

والرابع أن المعنى كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن أهين قومه فقد ذل فقد حبط إحسانك إلي بتعبيدك قومي حكاه الثعلبي

فأما من فسرها على الإقرار فانه قال عدها موسى نعمة حيث رباه ولم يقتله ولا استعبده فالمعنى هي لعمري نعمة إذ ربيتني ولم تستعبدني كاستعبادك بني إسرائيل ف أن تدل على المحذوف ومثله في الكلام أن تضرب بعض عبيدك وتترك الآخر فيقول المتروك هذه نعمة علي أن ضربت فلانا وتركتني ثم تحذف وتركتني لان المعنى معروف هذا قول الفراء قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والارض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون

(١٢١/٦)

قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين سأله عن ماهية من لا ماهية له فأجابه بما يدل عليه من مصنوعاته

وفي قوله إن كنتم موقنين قولان

أحدهما أنه خلق السماوات والأرض

والثاني إن كنتم موقنين أن ما تعاينوه كما تعاينونه فكذلك فأبقنوا أن رب العالمين رب السماوات والارض قال يعني فرعون لمن حوله من أشراف قومه ألا تستمعون معجبا لهم

فان قيل فأين جوابهم

فالجواب أنه أراد ألا تستمعون قول موسى فرد موسى لأنه المراد

(١٢٢/٦)

بالجواب ثم زاد في البيان بقوله ربكم ورب آبائكم الأولين فأعرض فرعون عن جوابه ونسبه إلى الجنون فلم يحفل موسى بقول فرعون واشتغل بتأكيد الحجة ف قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون أي إن كنتم ذوي عقول لم يخف عليكم ما أقول قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أو لو جئتك بشئ مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قوله تعالى أولو جئتك بشئ مبين أي بأمر ظاهر تعرف به صدقي أتسجنني وما بعد هذا مفسر في الأعراف إلى قوله فجمع

(١٢٣/٦)

السحرة لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة وكان عيدا لهم وقيل للناس يعني أهل مصر وذهب ابن زيد إلى أن اجتماعهم كان بالاسكندرية

قوله تعالى لعلنا نتبع السحرة قال الاكثرون أرادوا سحرة فرعون فالمعنى لعلنا نتبعهم على امرهم وقال بعضهم ارادوا موسى وهارون وإنما قالوا ذلك استهزاء قال ابن جرير ولعل هاهنا بمعنى كي وقوله بعزة فرعون أي بعظمته قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لاضير إنا إلى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين

قوله تعالى فلسوف تعلمون قال الزجاج اللام دخلت للتوكيد

قوله تعالى لا ضير أي لا ضرر قال ابن قتيبة هو من ضاره يضوره ويضيره بمعنى ضره والمعنى لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا لأنا ننقلب إلى ربنا في الآخرة مؤملين غفرانه

قوله تعالى أن كنا أي لأن كنا أول المؤمنين بآيات موسى في هذه الحال وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون فأرسل فرعون في المدائن حاشرين إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون فأخرجناهم

من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل

قوله تعالى إنكم متبعون أي يتبعكم فرعون وقومه

قوله تعالى إن هؤلاء المعنى وقال فرعون إن هؤلاء يعني بني إسرائيل ذ شرذمة قال ابن قتيبة أي طائفة قال الزجاج والشر ذمة في كلام العرب القليل قال المفسرون وكانوا ستمائة ألف وإنما استقلهم بالاضافة إلى جنده وكان جنده لا يحصى

قوله تعالى وإنهم لنا لغائظون تقول غاظني الشئ إذا أغضبك قال ابن جرير وذكر أن غيظهم كان لقتل الملائكة من قتلت من أبكارهم قال ويحتمل أن غيظهم لذهابهم بالعواري التي استعاروها من حليهم ويحتمل أن يكون لفراقهم إياهم وخروجهم من أرضهم على كره منهم

قوله تعالى وإنا لجميع حذرون قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو حذرون بغير ألف وقرأ الباقون حاذرون بألف وهل بينهما فرق فيه قولان

أحدهما أن الحاذر المستعد والحذر المتيقظ وجاء في التفسير أن معنى حاذرين مؤدون أي ذوو أداة وهي السلاح لأنها أداة الحرب

والثاني أنهما لغتان معناهما واحد قال ابو عبيدة يقال رجل حذر وحذر وحاذر والمقام الكريم المنزل

الحسن
وفي قوله كذلك قولان
أحدهما كذلك أفعل بمن عصاني قاله ابن السائب والثاني الامر كذلك أي كما وصفنا قاله الزجاج

(١٢٥/٦)

قوله تعالى وأورثناها بني إسرائيل وذلك أن الله تعالى ردهم إلى مصر بعد غرق فرعون وأعطاهم ما كان لفرعون وقومه من المساكن والأموال وقال ابن جرير الطبري إنما جعل ديار آل فرعون ملكا لبني إسرائيل ولم يرددهم إليها لكنه جعل مساكنهم الشام فأتبعوهم مشرقين فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين إن في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم
قوله تعالى فأتبعوهم قال ابن قتيبة لحقوهم مشرقين أي حين شرقت الشمس أي طلعت يقال أشرقنا دخلنا في الشروق كما يقال أمسينا وأصبحنا وقرأ الحسن وأيوب السختياني فاتبعوهم بالتشديد
قوله تعالى فلما تراءى الجمعان وقرأ أبو رجاء والنخعي والأعمش ترأى بكسر الراء وفتح الهمزة أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه
قوله تعالى كلا أي لن يدركونا إن معي ربي سيهدين أي سيدلني على طريق النجاة
قوله تعالى فانفلق فيه إضمار فضرب فانفلق أي انشق الماء اثني عشر طريقا فكان كل فرق أي كل جزء انفرق منه وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء وعاصم الجحدري كل فلق باللام كالطود وهو الجبل

(١٢٦/٦)

قوله تعالى وأزلفنا ثم الآخرين أي قربنا الآخرين من الغرق وهم اصحاب فرعون وقال ابو عبيدة أزلفنا أي جمعنا قال الزجاج وكلا القولين حسن لأن جمعهم تقريب بعضهم من بعض واصل الزلفى في كلام العرب القربى وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب وأبو رجاء والضحاك وابن يعمر أزلقنا بقاف وكذلك قرأوا وأزلقت الجنة الشعراء بقاف أيضا
قوله تعالى إن في ذلك لآية يعني في إهلاك فرعون وقومه عبرة لمن بعدهم وما كان أكثرهم مؤمنين أي لم يكن أكثر اهل مصر مؤمنين إنما آمنت آسية وخربيل مؤمن آل فرعون وفنة الماشطة ومريم امرأة دلت موسى على عظام يوسف هذا قول مقاتل وما أخللنا به من تفسير كلمات في قصة موسى فقد سبق

بيانها وكذلك ما يفقد ذكره في مكان فهو إما أن يكون قد سبق وإما أن يكون ظاهرا فتنبه لهذا واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي يطعمني ويسقين وإذا

(١٢٧/٦)

مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين

قوله تعالى هل يسمعونكم والمعنى هل يسمعون دعاءكم وقرأ سعيد بن جبير وابن يعمر وعاصم الجحدري هل يسمعونكم بضم الياء وكسر الميم إذ تدعون قال الزجاج إن شئت بينت الذال وإن شئت أدغمتها في التاء وهو أجود في العربية لقرب الذال من التاء

قوله تعالى أو ينفعونكم أي إن عبدتموهم او يضرون إن لم تعبدوهم فأخبروا عن تقليد آبائهم

قوله تعالى فانهم عدو لي فيه وجهان

أحدهما أن لفظه لفظ الواحد والمراد به الجميع فالمعنى فانهم أعداء لي

والثاني فان كل معبود لكم عدو لي

فان قيل ما وجه وصف الجماد بالعدواة

فالجواب من وجهين أحدهما أن معناه فانهم عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم والثاني أنه من المقلوب والمعنى فاني عدو لهم لأن من عاديته عاداك قاله ابن قتيبة

وفي قوله إلا رب العالمين قولان

أحدهما أنه استثناء من الجنس لأنه علم انهم كانوا يعبدون الله مع آلهتهم قاله ابن زيد

والثاني أنه من غير الجنس والمعنى لكن رب العالمين ليس كذلك قاله أكثر النحويين

(١٢٨/٦)

قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين أي إلى الرشد لا ما تعبدون والذي هو يطعمني ويسقين أي هو رازقي الطعام والشراب

فان قيل لم قال مرضت ولم يقل أمرضني

فالجواب أنه أراد الثناء على ربه فأضاف إليه الخير المحض لأنه لو قال أمرضني لعد قومه ذلك عيبا فاستعمل حسن الادب ونظيره قصة الخضر حين قال في العيب فأردت الكهف وفي الخير المحض

فأراد ربك الكهف
فان قيل فهذا يرده قوله والذي يميتني
فالجواب أن القوم كانوا لا ينكرون الموت وإنما يجعلون له سببا سوى تقدير الله عز و جل فاضافه إبراهيم إلى الله عز و جل وقوله ثم يحيين يعني البعث وهو امر لا يقرون به وإنما قاله استدلالا عليهم والمعنى أن ما وافقتموني عليه موجب لصحة قولي فيما خالفتموني فيه
قوله تعالى والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يعني ما يجري على مثلي من الزلل والمفسرون يقولون إنما عنى الكلمات الثلاث التي ذكرناها في الأنبياء يوم الدين يعني يوم الحشر والحساب وهذا احتجاج على قومه أنه لا تصلح الإلهية إلا لمن فعل هذه الأفعال رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر

لأبي إنه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم
قوله تعالى هب لي حكما فيه ثلاثة أقوال
أحدها النبوة قاله ابو صالح عن ابن عباس والثاني اللب قاله عكرمة والثالث الفهم والعلم قاله مقاتل وقد بينا قوله وألحقني بالصالحين في سورة يوسف وبينا معنى لسان صدق في مريم والمراد بالآخرين الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة
قوله تعالى واغفر لأبي قال الحسن بلغني أن امه كانت مسلمة على دينه فلذلك لم يذكرها
فان قيل فقد قال اغفر لي ولوالدي إبراهيم
قيل أكثر الذكر إنما جرى لأبيه فيجوز أن يسأل الغفران لأمه وهي مؤمنة فأما أبوه فلا شك في كفره وقد بينا سبب استغفاره لأبيه في براءة وذكرنا معنى الخزي في آل عمران
قوله تعالى يوم يبعثون يعني الخلائق
قوله تعالى إلا من اتى الله بقلب سليم فيه ستة أقوال
أحدها سليم من الشرك قاله الحسن وابن زيد
والثاني سليم من الشك قاله مجاهد
والثالث سليم أي صحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض قاله سعيد بن المسيب

والرابع أن السليم في اللغة اللديغ فالمعنى كاللديغ من خوف الله تعالى قاله الجنيد
والخامس سليم من آفات المال والبنين قاله الحسين بن الفضل
والسادس سليم من البدعة مطمئن على السنة حكاه الثعلبي وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم
قوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين أي قربت إليهم حتى نظروا إليها وبرزت الجحيم أي أظهرت للغاوين وهم الضالون وقيل لهم على وجه التوبيخ أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أي يمنعونكم من العذاب أو يمتنعون منه
قوله تعالى فكبكبوا قال السدي هم المشركون قال ابن قتيبة ألقوا على رؤوسهم وأصل الحرف كببوا من قولك كببت الإناء فأبدل من الباء الوسطى كافا استثقالا لاجتماع ثلاث باءات كما قالوا كمكموا من الكمة والأصل كمموا وقال الزجاج

(١٣١/٦)

معناه طرح بعضهم على بعض وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب كأنه إذا ألقي ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها
وفي الغاوين ثلاثة اقوال
أحدها المشركون قاله ابن عباس
والثاني الشياطين قاله قتادة ومقاتل
والثالث لآلهة قاله السدي وجنود إبليس أتباعه من الجن والإنس قالوا وهم فيها يختصمون يعني هم وآلهتهم تالله إن كنا قال الفراء لقد كنا وقال الزجاج ما كنا إلا في ضلال
قوله تعالى إذ نسويكم أي نعدلكم بالله في العبادة وما أضلنا إلا المجرمون فيهم قولان
أحدهما الشياطين والثاني أولوهم الذين اقتدوا بهم قال عكرمة إبليس وابن آدم القاتل
قوله تعالى فما لنا من شافعين هذا قولهم إذا شفع الأنبياء والملائكة والمؤمنون وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إن الرجل يقول في الجنة مافعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز و جل أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي في النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والحميم القريب الذي توده ويودك والمعنى مالنا

من ذي قرابة يهمه أمرنا فلو أن لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا فنكون من المؤمنين
لتحل لنا الشفاعة كما حلت للموحدين كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون
قوله تعالى كذبت قوم نوح قال الزجاج القوم مذكرون والمعنى كذبت جماعة قوم نوح
قوله تعالى إذ قال لهم أخوهم نوح كانت الأخوة من جهة النسب بينهم لا من جهة الدين ألا تتقون عذاب الله بتوحيده وطاعته إني لكم رسول أمين على الرسالة فيما بيني وبين ربكم وما أسألكم عليه من أجر أي على الدعاء إلى التوحيد قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمني بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين

قوله تعالى واتبعك الأرذلون وقرأ يعقوب بفتح الهمزة وتسكين التاء وضم العين وأتباعك الأرذلون وفيهم ثلاثة أقوال
أحدها الحاكة رواه الضحاك عن ابن عباس
والثاني الحاكة والأساكفة قاله عكرمة
والثالث المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز قاله عطاء وهذا جهل منهم لأن الصناعات لا تضر في باب الديانات
قوله تعالى وما علمي بما كانوا يعملون أي لم أعلم أعمالهم وصنائعهم ولم أكلف ذلك إنما كلفت أن أدعوهم إن حسابهم فيما يعملون إلا على ربي لو تشعرون بذلك ما عبتموهم في صنائعهم وما أنا بطارد المؤمنين أي ما أنا بالذي لا أقبل إيمانهم لزعمكم أنهم الأرذلون
وفي قوله لتكونن من المرجومين ثلاثة أقوال
أحدها من المشتومين قاله الضحاك والثاني من المضروبين بالحجارة قاله قتادة والثالث من المقتولين بالرجم قاله مقاتل قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم

قوله تعالى فافتح بيني وبينهم أي اقض بيني وبينهم قضاء يعني بالعذاب ونجني ومن معي من ذلك العذاب والفلك قد تقدم بيانه البقرة والمشحون المملوء يقال شحنت الإناء إذا ملأته وكانت

(١٣٤/٦)

سفينة نوح قد ملئت من الناس والطير والحيوان كله ثم أغرقنا بعد بعد نجاة نوح ومن معه الباقين كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم

قوله تعالى أتبنون بكل ريع وقرا عاصم الجحدري وأبو حيوة وابن أبي عبلة بكل ريع بفتح الراء قال الفراء هما لغتان ثم فيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه المكان المرتفع روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال بكل شرف قال الزجاج هو في اللغة الموضع المرتفع من الأرض

والثاني أنه الطريق رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال قتادة

والثالث الفج بين الجبلين قاله مجاهد والآية العلامة

وفيما أراد بهذا البناء ثلاثة أقوال

أحدها أنه أراد تبنون مالا تسكنون رواه عطاء عن ابن عباس والمعنى أنه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبثا

وللثاني بروج الحمام قاله سعيد بن جبير ومجاهد

(١٣٥/٦)

والثالث أنهم كانوا يبنون في المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وهو معنى قول الضحاك

قوله تعالى وتتخذون مصانع فيه ثلاثة أقوال

أحدها قصور مشيدة قاله مجاهد والثاني مصانع الماء تحت الارض قاله قتادة والثالث بروج الحمام قاله السدي

وفي قوله لعلكم تخلدون قولان

أحدهما كأنكم تخلدون قاله ابن عباس وأبو مالك
والثاني كيما تخلدوا قاله الفراء وابن قتيبة وقرا عكرمة والنخعي وقتادة وابن يعمر تخلدون برفع التاء وتسكين الخاء وفتح اللام مخففة وقرأ عاصم الجحدري وأبو حصين تخلدون بفتح الخاء وتشديد اللام
قوله تعالى وإذا بطشتم بطشتم جبارين المعنى إذا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب الجبارين وإذا عاقبتم قتلتم وإنما أنكر عليهم ذلك لأنه صدر عن ظلم إذ لو ضربوا بالسيف أو بالسوط في حق ماليموا
وفي قوله عذاب يوم عظيم قولان
أحدهما ما عذبوا به في الدنيا والثاني عذاب جهنم

(١٣٦/٦)

قالوا سواء علينا أو عظت أم لم تكن من الواعظين إن هذا إلا خلق الأولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين
قوله تعالى إن هذا إلا خلق الأولين قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي خلق بفتح الخاء وتسكين اللام قال ابن قتيبة أرادوا اختلافهم وكذبهم يقال خلقت الحديث واختلقته أي افتعلته قال الفراء والعرب تقول للخرافات أحاديث الخلق وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة وخلف ونافع خلق الاولين بضم الخاء واللام وقرأ ابن عباس وعكرمة وعاصم الجحدري خلق برفع الخاء وتسكين اللام والمعنى عادتهم وشأنهم قال قتادة قالوا له هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث لهم ولا حساب
قوله تعالى وما نحن بمعذبين أي على ما نفعله في الدنيا
أتتركون في ما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون

(١٣٧/٦)

قوله تعالى أتتركون فيما هاهنا أي فيما أعطاكم الله في الدنيا آمنين من الموت والعذاب
قوله تعالى طلعها هضيم الطلع الثمر وفي الهضيم سبعة أقوال
أحدها أنه الذي قد اينع وبلغ رواه العوفي عن ابن عباس والثاني أنه الذي يتهشم تهشما قاله مجاهد والثالث انه الذي ليس له نوى قاله الحسن والرابع أنه المذنب من الرطب قاله سعيد بن جبير والخامس

اللين قاله قتادة والفراء والسادس أنه الحمل الكثير الذي يركب بعضه بعضا قاله الضحاك والسابع أنه الطلع قبل أن ينشق عنه القشر وينفتح يريد أنه منضم مكتنز ومنه قيل رجل أهضم الكشحين إذا كان منضمهما قاله ابن قتيبة

قوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو فرهين وقرأ الباقون فارهين بالف قال ابن قتيبة فرهين اشرين بطرين ويقال الهاء فيه مبدلة من حاء أي فرحين والفرح قد يكون السرور وقد يكون الأشر ومنه قوله إن الله لا يحب الفرحين القصص أي الأشرين ومن قرأ فارهين فهي لغة أخرى يقال فره وفاره كما يقال فرح وفارح ويقال فارهين أي حاذقين قال عكرمة حاذقين بنحتها

(١٣٨/٦)

قوله تعالى ولا تطيعوا امر المسرفين قال ابن عباس يعني المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين عقروا الناقة

قالوا إنما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشر مثلنا فات بآية إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين

قوله تعالى إنما أنت من المسحرين قال الزجاج أي ممن له سحر والسحر الرئة والمعنى أنت بشر مثلنا وجائز أن يكون من المفعلين من السحر والمعنى ممن قد سحر مرة بعد مرة

قوله تعالى لها شرب أي حظ من الماء قال ابن عباس لها شرب معروف لا تحضروه معها ولكم شرب لا تحضر معكم فكانت إذا كان يومهم حضروا الماء فاقتسموه وإذا كان يومها شربت الماء كله وقال قتادة كانت إذا كان يوم شربها شربت ماءهم أول النهار وسقتهم اللبن آخر النهار وقرأ ابي بن كعب وأبو المتوكل وأبو الجوزاء وابن أبي عبلة لها شرب بضم الشين

(١٣٩/٦)

قوله تعالى فأصبحوا نادمين قال ابن عباس ندموا حين رأوا العذاب على عقرها وعذابهم كان بالصيحة

أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال إني لعملكم من القالين رب نجني وأهلي مما يعملون فنجيناه وأهله

أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم

قوله تعالى أتأتون الذكران وهو جمع ذكر من العالمين أي من بني آدم وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم قال الزجاج وقرأ ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم يعني به الفروج وقال مجاهد تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال

قوله تعالى بل أنتم قوم عادون أي ظالمون معتدون قالوا لئن لم تنته يا لوط أي لئن لم تسكت عن نهينا لتكونن من المخرجين من بلدنا قال إني لعملكم يعني إتيان الرجال من القالين قال ابن قتيبة أي من المبغضين يقال قليت الرجل إذا أبغضته

قوله تعالى رب نجني وأهلي مما يعملون أي من عقوبة عملهم فنجيناه وأهله وقد ذكرناهم في هود إلا عجوزا يعني امرأته في الغابرين أي الباقين في العذاب ثم دمرنا الآخرين أهلكناهم بالخسف والحصب وهو قوله وأمطرنا عليهم مطرا يعني الحجارة

(٦/١٤٠)

كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين

قوله تعالى كذب أصحاب الأيكة قرأ أبن كثير ونافع وابن عامر أصحاب ليكة هاهنا وفي ص بغير همز والتاء مفتوحة وقرا الباقون الايكة بالهمز فيهما والألف وقد سبق هذا الحرف الحجر إذ قال لهم شعيب إن قيل لم لم يقل أخوهم كما قال في الأعراف فالجواب أن شعيبا لم يكن من نسل أصحاب الأيكة فلذلك لم يقل أخوهم وإنما أرسل إليهم بعد أن أرسل إلى مدين وهو من نسل مدين فلذلك قال هناك أخوهم هذا قول مقاتل بن سليمان وقد ذكرنا في سورة هود عن محمد بن كعب القرظي أن أهل مدين عذبوا بعذاب الظلة فان كانوا غير أصحاب الأيكة كما زعم مقاتل فقد تساووا في العذاب وإن كان أصحاب مدين هم أصحاب الايكة وهو مذهب ابن جرير الطبري كان حذف ذكر الأخ تخفيفا والله أعلم

(٦/١٤١)

أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين

قوله تعالى ولا تكونوا من المخسرين أي من الناقصين للكيل يقال أخسرت الكيل والوزن إذا نقصته وقد ذكرنا القسطاس في بني إسرائيل

قوله تعالى واتقوا الذي خلقكم والجبلة أي وخلق الجبلة وقيل المعنى واذكروا ما نزل بالجبلة الأولين وقرا الحسن وأبو مجلز وابو رجاء وابن يعمر وابن ابي عبلة والجبلة برفع الجيم والباء جميعا مشددة اللام وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك وعاصم الجحدري بكسر الجيم وتسكين الباء وتخفيف اللام قال ابن قتيبة الجبلة الخلق يقال جبل فلان على كذا أي خلق قال الشاعر

... والموت أعظم حادث ... مما يمر على الجبلة ...

قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه

(١٤٢/٦)

فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم

قوله تعالى فأسقط علينا كسفا قال ابن قتيبة أي قطعة من السماء وكسف جمع كسفة كما يقال قطع وقطعة

قوله تعالى ربي أعلم بما تعملون أي من نقصان الكيل والميزان والمعنى إنه يجازيكم إن شاء وليس عذابكم بيدي فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة قال المفسرون بعث الله عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هربا إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة أظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ونادى بعضهم بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم نارا فكان ذلك من اعظم العذاب والظلة السحابة التي أظلتهم

وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علموءا بني إسرائيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين

قوله تعالى وإنه يعني القرآن لتنزيل رب العالمين نزل به

(١٤٣/٦)

الروح الأمين قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم نزل به خفيفا الروح الأمين بالرفع وقرأ أبن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم نزل مشددة الزاي الروح الأمين بالنصب والمراد بالروح الأمين جبريل وهو أمين على وحي الله تعالى إلى أنبيائه على قلبك قال الزجاج معناه نزل عليك فوعاه قلبك فثبت فلا تنساه أبدا

قوله تعالى لتكون من المنذرين أي ممن أنذر بآيات الله المكذبين بلسان عربي مبين قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه

قوله تعالى وإنه لفي زبر الأولين وقرأ الاعمش زبر بتسكين الباء وفي هاء الكناية قولان

أحدهما أنها ترجع إلى القرآن والمعنى وإن ذكر القرآن وخبره هذا قول الأكثرين والثاني أنها تعود إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله مقاتل والزبر الكتب

قوله تعالى أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرئيل قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي أو لم يكن لهم بالياء آية بالنصب وقرأ ابن عامر وابن أبي عبلة تكن بالتاء آية بالرفع وقرأ أبو عمران الجوني وقتادة تكن بالتاء آية بالنصب قال الزجاج إذا قلت يكن بالياء فالاختيار نصب آية ويكون أن اسم كان ويكون آية خبر كان المعنى أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أن النبي صلى الله عليه و سلم حق وأن نبوته حق آية أي علامة موضحة لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل

(١٤٤/٦)

وجدوا ذكر النبي صلى الله عليه و سلم مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ومن قرأ أو لم تكن بالتاء آية جعل آية هي الاسم وأن يعلمه خبر تكن ويجوز أيضا أو لم تكن بالتاء آية بالنصب كقوله ثم لم تكن فتنتهم الأنعام وقرأ الشعبي والضحاك وعاصم الجحدري أن تعلمه بالتاء

قال ابن عباس بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه و سلم فقالوا إن هذا لزمانه وإنا لنجد في التوراة صفته فكان ذلك آية لهم على صدقه

قوله تعالى على بعض الأعجميين قال الزجاج هو جمع أعجم والأنثى عجماء والأعجم الذي لا يفصح وكذلك الأعجمي فأما العجمي فالذي من جنس العجم أفصح أو لم يفصح

قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين أي لو قرأه عليهم أعجمي لقالوا لانفقه هذا فلم يؤمنوا

كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون

(١٤٥/٦)

فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين

قوله تعالى كذلك سلكناه قد شرحناه في الحجر والمجرمون هاهنا المشركون

قوله تعالى لا يؤمنون به قال الفراء المعنى كي لا يؤمنوا فأما العذاب الأليم فهو عند الموت فيقولوا عند نزول العذاب هل نحن منظرون أي مؤخرون لنؤمن ونصدق قال مقاتل فلما أوعدهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالعذاب قالوا فمتى هو تكذيبا به فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون

قوله تعالى أفرأيت إن متعناهم سنين قال عكرمة عمر الدنيا

قوله تعالى ثم جاءهم ما كانوا يوعدون أي من العذاب وما أهلكنا من قرية بالعذاب في الدنيا إلا لها منذرون يعني رسلا تنذرهم العذاب ذكرى أي موعظة وتذكيرا

وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون

قوله تعالى وما تنزلت به الشياطين سبب نزولها أن قريشا قالت إنما

تجئ بالقرآن الشياطين فتلقيه على لسان محمد فنزلت هذه الآية قاله مقاتل

قوله تعالى وما ينبغي لهم أي أن ينزلوا بالقرآن وما يستطيعون أن يأتوا به من السماء لأنهم قد حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب إنهم عن السمع أي عن الاستماع للوحي من السماء لمعزولون فكيف ينزلون به وقال عطاء عن سماع القرآن لمحجوبون لأنهم يرجمون بالنجوم

فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل إني برئ مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم

قوله تعالى فلا تدع مع الله إلها آخر قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق علي ولو اتخذت من دوني إلها لعذبتك

قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه و سلم حين أنزل الله وأنذر عشيرتك الاقربين فقال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت ما أغني عنك من الله شيئا

وفي بعض الألفاظ سلوني من مالي ما شئتم وفي لفظ غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها ومعنى قوله عشيرتك الأقربين رهطك الأدنين فان عصوك يعني العشيرة فقل إني برئ مما تعملون من الكفر وتوكل على العزيز الرحيم أي ثق به وفوض أمرك إليه فهو عزيز في نقمته رحيم لم يعجل بالعقوبة وقرا نافع وابن عامر فتوكل بالفاء وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام

الذي يراك حين تقوم فيه ثلاثة أقوال

أحدها حين تقوم إلى الصلاة قاله ابن عباس ومقاتل والثاني حين تقوم من مقامك قاله أبو الجوزاء والثالث حين تخلو قاله الحسن

قوله تعالى وتقلبك أي ونرى تقلبك في الساجدين وفيه ثلاثة أقوال

أحدها وتقلبك في أصلاب الأنبياء حتى أخرجك رواه عكرمة عن ابن عباس

والثاني وتقلبك في الركوع والسجود والقيام مع المصلين في الجماعة والمعنى يراك وحدك ويراك في الجماعة وهذا قول الأكثرين منهم قتادة

(٦/١٤٨)

والثالث وتصرفك في ذهابك ومجيئك في اصحابك المؤمنين قاله الحسن

هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون

قوله تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين هذا رد عليهم حين قالوا إنما يأتيه بالقرآن الشياطين فأما الأفاك فهو الكذاب والأثيم الفاجر قال قتادة وهم الكهنة

قوله تعالى يلقون السمع أي يلقون ما سمعوه من السماء إلى الكهنة

وفي قوله وأكثرهم كاذبون قولان

أحدهما أنهم الشياطين والثاني الكهنة

والشعراء يتبعهم الغاون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا

(٦/١٤٩)

الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وقرا نافع يتبعهم بسكون التاء والوجهان حسنان يقال تبعت واتبعت

مثل حقرت واحتقرت وروى العوفي عن ابن عباس قال كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم قد تهاجيا فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه فقال الله والشعراء يتبعهم الغاوون وفي رواية آخرى عن ابن عباس قال هم شعراء المشركين قال مقاتل منهم عبد الله بن الزبعري وأبو سفيان بن حرب وهبيرة ابن أبي وهب المخزومي في آخرين قالوا نحن نقول مثل قول محمد وقالوا الشعر فاجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويروون عنهم

وفي الغاوين ثلاثة أقوال

أحدها الشياطين قاله مجاهد وقتادة والثاني السفهاء قاله الضحاك والثالث المشركون قاله ابن زيد قوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون هذا مثل بمن يهيم في الأودية والمعنى أنهم يأخذون في كل فن من لغو وكذب وغير ذلك فيمدحون بباطل ويذمون بباطل ويقولون فعلنا ولم يفعلوا

(١٥٠/٦)

قوله تعالى إلا الذين آمنوا قال ابن عباس لما نزل ذم الشعراء جاء كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت فقالوا يا رسول الله أنزل الله هذا وهو يعلم أنا شعراء فنزلت هذه الآية قال المفسرون وهذا الاستثناء لشعراء المسلمين الذين مدحوا رسول الله صلى الله عليه و سلم وذموا من هجاء وذكروا الله كثيرا أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همهم وقال ابن زيد وذكروا الله في شعرهم وقيل المراد بالذكر الشعر في طاعة الله عز و جل

قوله تعالى وانتصروا أي من المشركين من بعد ما ظلموا لأن المشركين بدؤوا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين فقال وسيعلم الذين ظلموا أي أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه و سلم والمؤمنين أي منقلب

(١٥١/٦)

ينقلبون قال الزجاج أي منصوبة بقوله ينقلبون لا بقوله سيعلم لأن أيا وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها ومعنى الكلام إنهم ينقلبون إلى نار يخلدون فيها

وقرأ ابن مسعود ومجاهد عن ابن عباس وأبو المتوكل وأبو رجاء أي متقلب يتقلبون بتاءين مفتوحتين وبقافين على كل واحدة منهما نقطتان وتشديد اللام فيهما وقرأ ابي كعب وابن عباس وأبو العالية وأبو مجلز وأبو عمران الجوني وعاصم الجحدري أي منفلت ينفلتون بالفاء فيهما وبنونين ساكنين وبتاءين وكان شريح يقول سيعلم الظالمون حظ من نقصوا إن الظالم ينتظر العقاب وإن المظلوم ينتظر النصر

سورة النمل

وهي مكية كلها باجماعها

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين قوله تعالى طس فيه ثلاثة أقوال ٣أحدها أنه قسم أقسم الله به وهو من أسمائه رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه قال هو اسم الله الأعظم

والثاني اسم من أسماء القرآن قاله قتاده

والثالث الطاء من اللطيف والسين من السميع حكاه الثعلبي

قوله تعالى وكتاب مبين وقرأ أبو المتوكل وأبو عمران وابن أبي عبلة وكتاب مبين بالرفع فيهما

قوله تعالى وبشرى أي بشرى بما فيه من الثواب للمصدقين

قوله تعالى زينا لهم أعمالهم أي حببنا إليهم قبيح فعلهم وقد بينا حقيقة التزيين والعمه في البقرة ٢١٢ , ١٥ وسوء العذاب شديده

قوله تعالى هم الأخسرون لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار

قوله تعالى وإنك لتلقى القرآن قال ابن قتيبة اي يلقى عليك فتلقاه أنت أي تأخذه إذ قال موسى المعنى أذكر أذ قال موسى

قال تعالى بشهاب قبس قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب إلا زيدا بشهاب بالتنوين وقرأالباقون على الإضافة غير منون قال الزجاج من نون الشهاب وجعل القبس من صفة الشهاب وكل أبيض ذي نور فهو شهاب فأما من أضاف فقال الفراء هذا مما يضاف إلى نفسه إذا اختلفت الاسماء كقوله ولدار الآخرة يوسف ١٠٩ قال ابن قتيبة الشهاب النار والقبس النار تقبس يقال قبست النار قبسا واسم ماقبست قبس

قوله تعالى تصطلون أي تستدفئون وكان الزمان شتاء
قوله تعالى فلما جائها أي جاء موسى النار وإنما كان نورا فاعتقده نارا نودي أن بورك من في النار فيه ثلاثة أقوال أحدها أن المعنى قدس من في النار وهو الله عز و جل قاله ابن عباس والحسن والمعنى قدس من ناداه من النار لا أن الله عز و جل يحل في شيء والثاني أن من زائدة والمعنى بوركت النار قاله مجاهد والثالث أن المعنى بورك على من في النار أوفيمن في النار قال الفراء والعرب تقول باركه الله وبارك عليه وبارك فيه بمعنى واحد والتقدير بورك من في طلب النار وهو موسى فحذف المضاف وهذه تحية من الله تعالى لموسى بالبركة كما حيا إبراهيم بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت هود٧٣ فخرج في قوله بورك قولان أحدهما قدس والثاني من البركة وفي قوله ومن حولها ثلاثة أقوال أحدها الملائكة قاله ابن عباس والحسن والثاني موسى والملائكة قاله محمد بن كعب والثالث موسى فالمعنى بورك فيمن يطلبها وهو قريب منها ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى لا تخف إني لايخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد

سوء فاني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
قوله تعالى إنه أنا الله الهاء عماد في قول أهل اللغة وعلى قول السدي هي كناية عن المنادي لأن موسى قال من هذا الذي يناديني فقيل إنه أنا الله
قوله تعالى وألق عصاك في الآية محذوف تقديره فألقاها فصارت حية فلما رآها تهتز كأنها جان قال الفراء الجان الحية التي ليست بالعظيمة ولا بالصغيرة
قوله تعالى ولم يعقب فيه قولان
أحدهما لم يلتفت قاله قتادة والثاني لم يرجع قاله ابن قتيبة والزجاج قال ابن قتيبة وأهل النظر يرون أنه مأخوذ من العقب
قوله تعالى إني لا يخاف لدي المرسلون أي لا يخافون عندي وقيل المراد في الموضع الذي يوحي إليهم فيه فكأنه نبهه على أن من آمنه الله بالنبوة من عذابه لا ينبغي أن يخاف من حية

وفي قوله إلا من ظلم ثلاثة أقوال
أحدها أنه استثناء صحيح قاله الحسن وقتادة ومقاتل والمعنى إلا من ظلم منهم فانه يخاف قال ابن قتيبة علم الله تعالى أن موسى مستشعر

(١٥٦/٦)

خيفة من ذنبه في الرجل الذي وكزه فقال إلا من ظلم ثم بدل حسنا أي توبة وندما فانه يخاف وإني غفور رحيم
والثاني أنه استثناء منقطع والمعنى لكن من ظلم فانه يخاف قاله ابن السائب والزجاج وقال الفراء من مستثناه من الذين تركوا في الكلام كأنه قال لا يخاف لدي المرسلون إنما الخوف على غيرهم إلا من ظلم فتكون من مستثناة وقال ابن جرير في الآية محذوف تقديره إلا من ظلم فمن ظلم ثم بدل حسنا
والثالث أن إلا بمعنى الواو فهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم البقرة حكاه الفراء عن بعض النحويين ولم يرضه
وقرأ أبي بن كعب وسعيد بن جبير والضحاك وعاصم الجحدري وابن يعمر ألا من ظلم بفتح الهمزة وتخفيف اللام
وللمفسرين في المراد بالظلم هاهنا قولان
أحدهما المعاصي والثاني الشرك ومعنى حسنا توبة وندما
وقرأ ابن مسعود والضحاك وأبو رجاء والأعمش وابن السميفع وعبد الوارث عن ابي عمرو حسنا بفتح الحاء والسين بعد سوء أي بعد إساءة وقيل ألإشارة بهذا إلى أن موسى وإن كان قد ظلم نفسه بقتل القبطي فان الله يغفر له لأنه ندم على ذلك وتاب

(١٥٧/٦)

قوله تعالى وأدخل يدك في جيبك الجيب حيث جيب من القميص أي قطع قال ابن جرير إنما أمر بادخاله يده في جيبه لأنه كان عليه حينئذ مدرعة من صوف ليس لها كم والسوء البرص
قوله تعالى في تسع آيات قاله الزجاج في من صلة قوله وألق عصاك وأدخل يدك فالتأويل أظهر هاتين الآيتين في تسع آيات وفي بمعنى من فتأويله من تسع آيات تقول خذ لي عشرا من الإبل فيها فحلان أي منها فحلان وقد شرحنا الآيات في بني إسرائيل
قوله تعالى إلى فرعون وقومه أي مرسلا إلى فرعون وقومه فحذف ذلك لأنه معروف فلما جاءتهم آياتنا

مبصرة أي بينة واضحة وهو كقوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة الاسراء وقد شرحناه
قوله تعالى قالوا هذا أي هذا الذي نراه عيانا سحر مبين وجحدوا بها أي أنكروا واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله ظلما أي شركا وعلوا أي تكبرا قال الزجاج المعنى وجحدوا بها ظلما وعلوا أي ترفعا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها من عند الله

(١٥٨/٦)

ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ إن هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين
قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما قال المفسرون علما بالقضاء وبكلام الطير والدواب وتسبيح الجبال وقالا الحمد لله الذي فضلنا بالنبوة والكتاب وإلانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس على كثير من عباده المؤمنين قال مقاتل كان داود أشد تعبدا من سليمان وكان سليمان أعظم ملكا منه وأفطن
قوله تعالى وورث سليمان داود أي ورث نبوته وعلمه وملكه وكان لداود تسعة عشر ذكرا فخص سليمان بذلك ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولاده فيها سواء
قوله تعالى وقال يعني سليمان لبني إسرائيل يا أيها الناس علمنا منطق الطير قرأ أبي بن كعب علمنا بفتح العين واللام قال الفراء منطق الطير كلام الطير كالمنطق إذا فهم قال الشاعر

(١٥٩/٦)

عجبت لها أنى يكون غناؤها ... فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما ...
ومعنى الآية فهمنا ما تقول الطير قال قتادة والنمل من الطير وأوتينا من كل شئ قال الزجاج أي من كل شئ يجوز ان يؤتاه الأنبياء والناس وقال مقاتل أعطينا الملك والنبوة والكتاب والرياح ومنطق الطير وسخرت لنا الجن والشياطين
وروى جعفر بن محمد عن أبيه قال أعطي سليمان ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سبعمائة سنة

وستة أشهر وملك اهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع وأعطي علم كل شئ ومنطق كل شئ وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة فذلك قوله علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ

قوله تعالى إن هذا يعني الذي أعطينا لهو الفضل المبين أي الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا وحشر لسليمان جنوده أي جمع له كل صنف من جنده على حدة وهذا كان في مسير له فهم يوزعون قال مجاهد يحبس أولهم على آخرهم قال ابن قتيبة وأصل الوزع الكف والمنع يقال وزعت الرجل أي كففته ووازع الجيش الذي يكفهم عن التفرق ويرد من شذ منهم

قوله تعالى حتى إذا أتوا أي أشرفوا على وادي النمل وفي موضعه قولان

(٦/١٦٠)

أحدهما أنه بالطائف قاله كعب والثاني بالشام قاله قتادة

قوله تعالى قالت نملة وقرأ ابو مجلز وأبو رجاء وعاصم الجحدري وطلحة بن مصرف نملة بضم الميم أي صاحت بصوت فلما كان ذلك الصوت مفهوما عبر عنه بالقول ولما نطق النمل كما ينطق بنو آدم أجري مجرى الآدميين فقيل ادخلوا وألهم الله تلك النملة معرفة سليمان معجزا له وقد ألهم الله النمل كثيرا من مصالحها تزيد به على الحيوانات فمن ذلك أنها تكسر كل حبة تدخرها قطعتين لئلا تنبت إلا الكزبرة فانها تكسرها أربع قطع لأنها تنبت إذا كسرت قطعتين فسبحان من ألهمها هذا

وفي صفة تلك النملة قولان

أحدهما أنها كانت كهيئة النعجة قال نوف الشامي كان النمل في زمن سليمان بن داود كأمثال الذئاب والثاني كانت نملة صغيرة

ادخلوا مساكنكم وقرأ أبي بن كعب وأبو المتوكل وعاصم الجحدري مسكنكم على التوحيد

قوله تعالى لا يحطمنكم الحطم الكسر وقرأ أبي بن كعب وأبو رجاء ليحطمنكم بغير ألف بعد اللام وقرأ ابن مسعود

(٦/١٦١)

لا يحطمكم بفتح الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وسكون الميم وحذف النون وقرأ عمرو بن العاص وأبان يحطمنكم بفتح الياء وسكون الحاء والنون ساكنة أيضا والطاء خفيفة وقرا أبو المتوكل وأبو مجلز لا يحطمنكم بفتح الياء وكسر الحاء وتشديد الطاء والنون جميعا وقرأ ابن السميفع وابن يعمر وعاصم

الجحدري يحطمنكم برفع الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وتشديد النون والحطم الكسر والحطام ما تحطم قال مقاتل سمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال

وفي قوله وهم لا يشعرون قولان

أحدهما وأصحاب سليمان لم يشعروا بكلام النملة قاله ابن عباس

والثاني واصحاب سليمان لا يشعرون بمكانكم لانها علمت أنه ملك لا بغي فيه وأنهم لو علموا بالنمل ما توطؤوهم قاله مقاتل

قوله تعالى فتبسم ضاحكا قال الزجاج ضاحكا منصوب حال مؤكدة لأن تبسم بمعنى ضحك قال المفسرون تبسم تعجبا مما قالت وقيل من ثنائها عليه وقال بعض العلماء هذه الآية من عجائب القرآن لأنها بلفظة يا نادت أيها نبهت النمل عينت ادخلوا أمرت مساكنكم نصت لا يحطمنكم حذرت سليمان خصت وجنوده عمت وهم لا يشعرون عذرت

قوله تعالى وقال رب أوزعني قال ابن قتيبة ألهمني أصل الإيزاع الإغراء بالشئ يقال اوزعته بكذا أي أغريته به وهو موزع بكذا ومولع بكذا وقال الزجاج تأويله في اللغة كفني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك والمعنى كفني عما يباعد منك وأن أعمل أي

(١٦٢/٦)

وألهمني أن أعمل صالحا ترضاه قال المفسرون إنما شكر الله عز و جل لأن الريح أبلغت إليه صوتها ففهم ذلك

وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم

قوله تعالى وتفقد الطير التفقد طلب ما غاب عنك والمعنى أنه طلب ما فقد من الطير والطير اسم جامع للجنس وكانت الطير تصحب سليمان في سفره تظله بأجنحتها فقال ما لي لا ارى الهدهد قرأ ابن كثير وعاصم والكسائي مالي لا أرى الهدهد بفتح الياء وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة بالسكون والمعنى ما للهدهد لا أراه تقول العرب مالي أراك كئيبا أي مالك فهذا من المقلوب الذي معناه معلوم قال المفسرون لما فصل سليمان عن وادي النمل وقع في قفر من الأرض فعطش الجيش فسألوه الماء

وكان الهدهد يدله على الماء فاذا قال له هاهنا الماء شققت الشياطين الصخر وفجرت العيون قبل أن يضربوا أبنيتهم وكان الهدهد يرى الماء في الارض كما يرى الماء في الزجاجة فطلبه يومئذ فلم يجده

(٦/١٦٣)

وقال بعضهم إنما طلبه لأن الطير كانت تظلهم من الشمس فأخل الهدهد بمكانه فطلعت الشمس عليهم من الخلل

قوله تعالى أم كان قال الزجاج معناه بل كان

قوله تعالى لاعذبنه عذابا شديدا فيه ستة أقوال

أحدها نتف ريشه قاله ابن عباس والجمهور والثاني نتفه وتشميسه قاله عبد الله بن شداد والثالث شد رجله وتشميسه قاله الضحاك والرابع أن يطليه بالقطران ويشمسه قاله مقاتل بن حيان والخامس ان يودعه القفص والسادس أن يفرق بينه وبين إلفه حكاهما الثعلبي

قوله تعالى أو ليأتيني وقرأ ابن كثير ليأتيني بنونين وكذلك هي في مصاحفهم فأما السلطان فهو الحجة وقيل العذر

وجاء في التفسير أن سليمان لما نزل في بعض مسيره قال الهدهد إنه قد اشتغل بالنزول فأرتفع أنا إلى السماء فأنظر إلى طول الدنيا وعرضها فارتفع فرأى بستانا لبلقيس فمال إلى الخضرة فوقع فيه فاذا هو بهدهد قد لقيه فقال من اين أقبلت قال من الشام مع صاحبي سليمان فمن أين أنت قال من هذه البلاد وملكها امرأة يقال لها بلقيس فهل انت منطلق معي حتى ترى ملكها قال اخاف أن يتفقدني سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء قال إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه فنظر إلى بلقيس وملكها فمكث غير بعيد قرأالجمهور بضم الكاف وقرأ عاصم بفتحها وقرأ ابن مسعود فتمكث بزيادة تاء والمعنى لم يلبث إلا يسيرا حتى جاء فقال سليمان ما الذي أبطأ بك فقال أحطت بما لم تحط به أي علمت شيئا من جميع جهاته مما لم تعلم به وجئتك من سبأ قرأ ابن كثير

(٦/١٦٤)

وأبو عمرو سبأ نصبا غير مصروف وقرأ الباقون خفضا منونا وجاء في الحديث عن رسول الله ص – أن سبأ رجل من العرب وقال قتادة هي ارض باليمن يقال لها مأرب وقال أبو الحسن الأخفش إن شئت صرفت سبأ فجعلته اسم أبيهم أو اسم الحي وإن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة أو اسم الأرض قال الزجاج وقد ذكر قوم من النحويين أنه اسم رجل وقال آخرون الاسم إذا لم يدر ما هو لم يصرف

وكلا القولين خطأ لأن الأسماء حقها الصرف وإذا لم يعلم هل الاسم للمذكر أم للمؤنث فحقه الصرف حتى يعلم أنه لا ينصرف لان أصل الأسماء الصرف وقول الذين قالوا هو اسم رجل غلط لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرب من اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام فمن لم يصرفه جعله اسم مدينة ومن صرفه فلأنه اسم البلد فيكون مذكرا سمي بمذكر

قوله تعالى بنبأ يقين أي بخبر صادق إني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس وأوتيت من كل شيء قال الزجاج معناه من كل شيء يعطاه الملوك ويؤتاه الناس والعرش سرير الملك قال قتادة كان عرشها من ذهب قوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ وكان أحد أبويها من الجن وكان مؤخر أحد قدميها مثل حافر الدابة وقال مجاهد كان قدماها كحافر الحمار وقال ابن السائب لم يكن بقدميها شيء إنما وقع الجن فيها عند سليمان بهذا القول فلما جعل لها الصرح بان له كذبهم قال مقاتل كان ارتفاع عرشها

(٦/١٦٥)

ثمانين ذراعا في عرض ثمانين وكانت أمها من الجن قال ابن جرير وانما صار هذا الخبر عذرا للهدهد لأن سليمان كان لا يرى لاحد في الارض مملكة سواه وكان مع ذلك يحب الجهاد فلما دله الهدهد على مملكة لغيره وعلى قوم كفرة يجاهدهم صار ذلك عذرا له

قوله تعالى ألا يسجدوا قرأ الأكثرون ألا بالتشديد قال الزجاج والمعنى وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا أي فصدهم لئلا يسجدوا وقرأ ابن عباس وابو عبد الرحمن السلمي والحسن والزهري وقتادة وأبو العالية وحميد الأعرج والأعمش وابن أبي عبلة والكسائي ألا يسجدوا مخففة على معنى ألا يا هؤلاء اسجدوا فيكون في الكلام إضمار هؤلاء ويكتفى منها ب يا ويكون الوقف ألا يا والابتداء اسجدوا قال الفراء فعلى هذه القراءة هي سجدة وعلى قراءة من شدد لا ينبغي لها أن تكون سجدة وقال أبو عبيدة هذا أمر من الله مستأنف يعني ألا يا أيها الناس اسجدوا وقرأ ابن مسعود وأبي هلا يسجدوا بهاء

قوله تعالى الذي يخرج الخبء في السموات والأرض قال ابن قتيبة أي المستتر فيهما وهو من خبأت الشيء إذا أخفيته ويقال خبء السموات المطر وخبء الأرض النبات وقال الزجاج كل ما خبأته فهو خبء فالخبء كل ما غاب فالمعنى يعلم الغيب في السموات والأرض وقال ابن جرير في بمعنى من فتقديره يخرج الخبء من السموات

قوله تعالى ويعلم ما تخفون وما تعلنون قرأ حفص عن عاصم والكسائي بالتاء فيهما وقرأ الباقون بالياء قال ابن زيد من قوله أحطت إلى قوله العظيم كلام الهدهد وقرأ الضحاك وابن محيصن العظيم برفع الميم

(٦/١٦٦)

قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الموءا إني ألقي إلي كتاب كريم إنه من سليمن وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين

فلما فرغ الهدهد من كلامه قال سننظر فيما أخبرتنا به أصدقت فيما قلت أم كنت من الكاذبين وانما شك في خبره لأنه أنكر أن يكون لغيره في الأرض سلطان ثم كتب كتابا وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد وقال اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم قرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي فألقهي موصولة بياء وقرأ أبو عمرو وعاصم وأبو جعفر وحمزة فألقه بسكون الهاء وروى قالون عن نافع كسر الهاء من غير إشباع ويعني إلى أهل سبأ ثم تول عنهم فيه قولان

أحدهما أعرض والثاني انصرف فانظر ماذا يرجعون أي ماذا يردون من الجواب

فان قيل إذا تولى عنهم فكيف يعلم جوابهم فعنه جوابان

أحدهما أن المعنى ثم تول عنهم مستترا من حيث لا يرونك فانظر ماذا يردون من الجواب وهذا قول وهب بن منبه

والثاني أن في الكلام تقديما وتأخيرا تقديره فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وهذا مذهب ابن زيد قال قتادة أتاها الهدهد وهي نائمة فألقى الكتاب على نحرها فقرأته وأخبرت قومها وقال مقاتل حمله في منقاره حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة

والناس ينظرون فرفعت رأسها فألقي الكتاب في حجرها فلما رأت الخاتم أرعدت وخضعت وخضع من معها من الجنود

واختلفوا لأي علة سمته كريما على سبعة أقوال

أحدها لأنه كان مختوما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس والثاني لانها ظنته من عند الله عز و جل روي عن ابن عباس أيضا والثالث أن معنى قولها كريم حسن ما فيه قاله قتادة والزجاج والرابع لكرم صاحبه فانه كان ملكا ذكره ابن جرير والخامس لانه كان مهيبا ذكره أبو سليمان الدمشقي والسادس لتسخير الهدهد لحمله حكاه الماوردي السابع لأنها رأت في صدره بسم الله الرحمن الرحيم حكاه الثعلبي

قوله تعالى إنه من سليمان أي إن الكتاب من عنده وإنه أي وإن المكتوب بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي أي لا تتكبروا وقرأ ابن عباس تغلوا بغين معجمة وأتوني مسلمين أي منقادين طائعين ثم استشارت قومها ف قالت يا أيها الملا يعني الاشراف وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر قائدا كل رجل منهم

على عشرة آلاف وقال ابن عباس كان معها مائة ألف قيل مع كل قيل مائة ألف وقيل كانت جنودها ألف ألف ومائتي الف

قالت يا أيها الملؤ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن اولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية

(٦/١٦٨)

أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون

قوله تعالى أفتوني في أمري أي بينوا لي ما أفعل وأشيروا علي قال الفراء جعلت المشورة فتيا وذلك جائز لسعة اللغة

قوله تعالى ما كنت قاطعة أمرا أي فاعلته حتى تشهدون أي تحضرون والمعنى إلا بحضوركم ومشورتكم

قالوا نحن أولوا قوة فيه قولان

أحدهما أنهم أرادوا القوة في الأبدان والثاني كثرة العدد والبأس والشجاعة في الحرب

وفيما أرادوا بذلك القول قولان أحدهما تفويض الأمر إلى رأيها والثاني تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم

ثم قالوا والأمر إليك أي في القتال وتركه قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية قال الزجاج المعنى إذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة

قوله تعالى أفسدوها أي خربوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي أهانوا أشرافها ليستقيم لهم الأمر ومعنى الكلام أنها حذرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادها

قوله تعالى وكذلك يفعلون فيه قولان

أحدهما أنه من تصديق الله تعالى لقولها قاله الزجاج

والثاني من تمام كلامها والمعنى وكذلك يفعل سليمان وأصحابه إذا دخلوا بلادنا حكاه الماوردي

(٦/١٦٩)

قوله تعالى وإني مرسلة إليهم بهدية قال ابن عباس إنما أرسلت الهدية لتعلم أنه إن كان نبيا لم يرد الدنيا وإن كان ملكا فسيرضى بالحمل وأنها بعثت ثلاث لبنات من ذهب في كل لبنة مائة رطل وياقوتة حمراء طولها شبر مثقوبة وثلاثين وصيفا وثلاثين وصيفة وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف الذكر من الأنثى ثم كتبت إليه إني قد بعثت إليك بهدية فاقبلها وبعثت إليك بياقوتة طولها شبر فأدخل فيها خيطا واختم على طرفي الخيط بخاتمك وقد بعثت إليك ثلاثين وصيفا وثلاثين وصيفة فميز بين الجواري والغلمان

فجاء أمير الشياطين فأخبره بما بعثت إليه فقال له انطلق فافرش على طريق القوم من باب مجلسي ثمانية أميال في ثمانية أميال لبنا من الذهب فانطلق فبعث الشياطين فقطعوا اللبن من الجبال وطلوه بالذهب وفرشوه ونصبوا في الطريق أساطين الياقوت الأحمر فلما جاء الرسل قال بعضهم لبعض كيف تدخلون على هذا الرجل بثلاث لبنات وعنده ما رأيتم فقال رئيسهم إنما نحن رسل فدخلوا عليه فوضعوا اللبن بين يديه فقال أتمدونني بمال ثم دعا ذرة فربط فيها خيطا وأدخلها في ثقب الياقوتة حتى خرجت من طرفها الآخر ثم جمع بين طرفي الخيط فختم عليه ودفعها إليهم ثم ميز بين الغلمان والجواري هذا كله مروي عن ابن عباس وقال مجاهد جعلت لباس الغلمان للجواري ولباس الجواري للغلمان فميزهم ولم يقبل هديتها

(١٧٠/٦)

وفي عدد الوصائف والوصفاء خمسة أقوال

أحدها ثلاثون وصيفا وثلاثون وصيفة وقد ذكرناه عن ابن عباس والثاني خمسمائة غلام و خمسمائة جارية قاله وهب والثالث مائتا غلام ومائتا جارية قاله مجاهد والرابع عشرة غلمان وعشر جوار قاله ابن السائب والخامس مائة وصيف ومائة وصيفة قاله مقاتل

وفي ما ميزهم به ثلاثة أقوال

أحدها أنه أمرهم بالوضوء فبدأ الغلام من مرفقه إلى كفه وبدأت الجارية من كفها إلى مرفقها فميزهم بذلك قاله سعيد بن جبير

والثاني أن الغلمان بدؤوا بغسل ظهور السواعد قبل بطونها والجواري على عكس ذلك قاله قتادة

والثالث أن الغلام اغترف بيده والجارية أفرغت على يدها قاله السدي وجاء في التفسير أنها أمرت الجواري ان يكلمن سليمان بكلام الرجال وأمرت الرجال أن يكلموه كلام النساء وأرسلت قدحا تسأله أن يملأها ماء ليس من ماء السماء ولا من ماء الأرض فأجرى الخيل وملأه من عرقها

قوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون أي بقبول أم برد قال ابن جرير وأصل بم بما وإنما أسقطت الألف لأن العرب إذا كانت ما بمعنى أي ثم وصلوها بحرف خافض أسقطوا ألفها تفريقا بين الاستفهام والخبر كقوله عم يتساءلون النبأ وقالوا فيم كنتم النساء وربما أثبتوا فيها الألف كما قال الشاعر

(١٧١/٦)

على ما قام يشتمنا لئيم ... كخنزير تمرغ في رماد ...
فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال يا أيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم
قوله تعالى فلما جاء سليمان قال الزجاج لما جاء رسولها ويجوز فلما جاء برها
قوله تعالى أتمدونني بمال قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو أتمدونني بنونين وياء في الوصل وروى المسيبي عن نافع أتمدوني بنون واحدة خفيفة وياء في الوصل والوقف وقرأ عاصم وابن عامر والكسائي أتمدونن بغير ياء في الوصل والوقف وقرأ حمزة أتمدوني بمال بنون واحدة مشددة ووقف على الياء
قوله تعالى فما آتاني الله قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم فما آتان الله بكسر النون من غير ياء وقرأ أبو عمرو ونافع وحفص عن عاصم آتاني بفتح الياء وكلهم

فتحوا التاء غير الكسائي فانه أمالها من آتاني الله وأمال حمزة أنا آتيك به أشم النون شيئا من الكسر والمعنى فما آتاني الله أي من النبوة والملك خير مما آتاكم من المال بل أنتم بهديتكم تفرحون يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض فرح فأما أنا فلا ثم قال للرسول إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل أي لا طاقة لهم بها ولنخرجنهم منها يعني بلدتهم فلما رجعت رسلها إليها بالخبر قالت قد علمت أنه ليس بملك وما لنا به طاقة فبعثت إليه إني قادمة عليك بملوك قومي لأنظر ما تدعو إليه ثم أمرت بعرشها فجعل وراء سبعة أبواب ووكلت به حرسا يحفظونه وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف ملك تحت يدي كل ملك منهم ألوف وكان سليمان مهيبا لا يبتدأ بشئ حتى يسأل عنه فجلس يوما على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت بهذا المكان وكان قدر فرسخ وقد كان بلغه أنها احتاطت على عرشها قبل خروجها ف قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها وفي سبب طلبه له خمسة أقوال
أحدها ليعلم صدق الهدهد قاله ابن عباس
والثاني ليجعل ذلك دليلا على صدق نبوته لأنها خلفته في دارها واحتاطت عليه فوجدته قد تقدمها قاله وهب بن منبه

والثالث ليختبر عقلها وفطنتها أتعرفه أم تنكره قاله سعيد بن جبير
والرابع لأن صفته أعجبته فخشي أن تسلم فيحرم عليه مالها فأراد أخذه قبل ذلك قاله قتادة
والخامس ليريها قدرة الله تعالى وعظم سلطانه حكاه الثعلبي

قوله تعالى قال عفريت من الجن قال أبو عبيدة العفريت من كل جن أو إنس الفائق المبالغ الرئيس وقال ابن قتيبة العفريت الشديد الوثيق وقال الزجاج العفريت النافذ في الأمر المبالغ فيه مع خبث ودهاء وقرأ أبي بن كعب والضحاك وأبو العالية وابن يعمر وعاصم الجحدري قال عفريت بفتح العين وكسر الراء وروى ابن ابي شريح عن الكسائي عفرية بفتح الياء وتخفيفها وروي عنه أيضا تشديدها وتنوين الهاء على التأنيث وقرأ ابن مسعود وابن السميفع عفراة بكسر العين وفتح الراء وبألف من غير ياء
قوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك أي من مجلسك ومثله في مقام أمين الدخان وكان سليمان يجلس للقضاء بين الناس من وقت الفجر إلى طلوع الشمس وقيل إلى نصف النهار وإني عليه أي على حمله لقوي
وفي قوله أمين قولان
أحدهما أمين على ما فيه من الجوهر والدر وغير ذلك قاله ابن السائب
والثاني أمين ان لا آتيك بغيره بدلا منه قاله ابن زيد
قال سليمان أريد اسرع من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب وهل هو إنسي أم ملك فيه قولان
أحدهما إنسي قاله ابن عباس والضحاك وأبو صالح ثم فيه أربعة أقوال أحدها أنه رجل من بني إسرائيل واسمه آصف بن برخيا قاله مقاتل قال ابن عباس دعا آصف وكان آصف يقوم على رأس سليمان بالسيف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير تحت الأرض يخدون الأرض خدا حتى انخرقت

الأرض بالسرير بين يدي سليمان والثاني أنه سليمان عليه السلام وإنما قال له رجل انا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فقال هات قال انت النبي ابن النبي فان دعوت الله جاءك فدعا الله فجاءه قاله محمد بن المكندر والثالث أنه الخضر قاله ابن لهيعة والرابع انه عابد خرج يومئذ من جزيرة في البحر فوجد سليمان فدعا فأتي بالعرش قاله ابن زيد والقول الثاني أنه من الملائكة قولان
أحدهما أنه جبريل عليه السلام والثاني ملك من الملائكة أيد الله به سليمان حكاهما الثعلبي

وفي العلم الذي عنده من الكتاب ثلاثة أقوال
أحدها أنه اسم الله الأعظم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور
والثاني أنه علم كتاب سليمان إلى بلقيس
والثالث أنه علم ما كتب الله لبني آدم وهذا على أنه ملك حكى القولين الماوردي
وفي قوله قبل أن يرتد إليك طرفك أربعة أقوال
أحدها قبل أن يأتيك أقصى ما تنظر إليه قاله سعيد بن جبير
والثاني قبل أن ينتهي طرفك إذا مددته إلى مداه قاله وهب
والثالث قبل أن يرتد طرفك حسيرا إذا أمدت النظر قاله مجاهد
والرابع بمقدار ما تفتح عينك ثم تطرف قاله الزجاج قال مجاهد دعا فقال ياذا الجلال والاكرام وقال ابن السائب إنما قال ياحي ياقيوم
قوله تعالى فلما رآه في الكلام محذوف تقديره فدعا الله فاتي

به فلما رآه يعني سليمان مستقرا عنده أي ثابتا بين يديه قال هذا يعني التمكن من حصول المراد
قوله تعالى أأشكر أم أكفر فيه قولان أحدهما أأشكر على السرير إذ أتيت به أم أكفر إذا رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني قاله ابن عباس
و الثاني أأشكر ذلك من فضل الله علي أم أكفر نعمته بترك الشكر له قاله ابن جرير
قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لايهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين
قوله تعالى قال نكروا لها عرشها قال المفسرون خافت الشياطين أن يتزوج سليمان بلقيس فتفشي إليه أسرار الجن لأن أمها كانت جنية فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته بعده فأساؤوا الثناء عليها وقالوا إن في عقلها شيئا وإن رجلها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر إلى قدميها ببناء الصرح قال ابن قتيبة ومعنى نكروا غيروا يقال نكرت الشئ فتنكر أي غيرته فتغير

وللمفسرين في كيفية تغييره ستة أقوال
أحدها أنه زيد فيه ونقص منه رواه العوفي عن ابن عباس
والثاني أنهم جعلوا صفائح الذهب التي كانت عليه مكان صفائح الفضة وصفائح الفضة مكان صفائح الذهب والياقوت مكان الزبرجد والدر مكان اللؤلؤ وقائمتي الزبرجد مكان قائمتي الياقوت قاله ابن عباس أيضا
والثالث أنهم نزعوا ما عليه من فصوصه وجواهره روي عن ابن عباس أيضا
والرابع أنهم جعلوا ما كان منه أحمر أخضر وما كان أخضر أحمر قاله مجاهد
والخامس أنهم جعلوا أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره وزادوا فيه ونقصوا منه قاله قتادة
والسادس أنهم جعلوا فيه تماثيل السمك قاله أبو صالح
وفي قوله كأنه هو قولان
أحدهما أنها لما رأته جعلت تعرف وتنكر ثم قالت في نفسها من أين يخلص إلى ذلك وهو في سبعة أبيات والحرس حوله ثم قالت كأنه هو قاله أبو صالح عن ابن عباس وقال قتادة شبهته بعرشها وقال السدي وجدت فيه ما تعرفه فلم تنكر ووجدت فيه ما تنكره فلم تثبت فلذلك قالت كأنه هو
والثاني أنها عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها فلو أنهم قالوا هذا عرشك لقالت نعم قاله مقاتل قال المفسرون فقيل لها فانه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الابواب
وفي قوله وأوتينا العلم ثلاثة أقوال

أحدها أنه قول سليمان قاله مجاهد ثم في معناه قولان أحدهما وأوتينا العلم بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة والثاني أوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين لله
والقول الثاني انه من قول بلقيس فانها لما رأت عرشها قالت قد عرفت هذه الآية وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة تعني أمر الهدهد والرسل التي بعثت من قبل هذه الآية وكنا مسلمين منقادين لأمرك قبل أن نجئ
والثالث أنه من قول قوم سليمان حكاه الماوردي
قوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله قال الفراء معنى الكلام هي عاقلة إنما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر وكان عادة من دين آبائها والمعنى وصدها أن تعبد الله ما كانت تعبد قال وقد قيل صدها سليمان أي منعها ما كانت تعبد قال الزجاج المعنى صدها عن الإيمان العادة التي كانت عليها لأنها نشأت ولم تعرف إلا قوما يعبدون الشمس وبين عبادتها بقوله إنها كانت من قوم كافرين وقرأ

سعيد بن جبير وابن ابي عبلة أنها كانت بفتح الهمزة
قوله تعالى قيل لها ادخلي الصرح قال المفسرون أمر الشياطين فبنوا له صرحا كهيئة السطح من زجاج وفي سبب أمره بذلك ثلاثة أقوال
أحدها أنه أراد ان يريها ملكا هو اعز من ملكها قاله وهب بن منبه
والثاني انه اراد ان ينظر إلى قدمها من غير ان يسألها كشفها لأنه

(١٧٨/٦)

قيل له إن رجلها كحافر الحمار فامر ان يهيأ لها بيت من قوارير فوق الماء ووضع سرير سليمان في صدر البيت هذا قول محمد بن كعب القرظي
والثالث أنه فعل ذلك ليختبرها كما اختبرته بالوصائف والوصفاء ذكره ابن جرير فأما الصرح فقال ابن قتيبة هو القصر وجمعه صروح ومنه قول الهذلي
... على طرق كنحور الركا ... ب تحسب أعلامهن الصروحا ...
قال ويقال الصرح بلاط اتخذ لها من قوارير وجعل تحتها ماء وسمك قال مجاهد كانت بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير وقال مقاتل كان قصرا من قوارير بني على الماء وتحته السمك
قوله تعالى حسبته لجة وهي معظم الماء وكشفت عن ساقيها لدخول الماء فناداها سليمان إنه صرح ممرد أي مملس من قوارير أي من زجاج فعلمت حينئذ أن ملك سليمان من الله تعالى ف قالت رب إني ظلمت نفسي أي بعبادة غيرك وقيل ظنت في سليمان أنه يريد تفريقها في الماء فلما علمت أنه صرح ممرد قالت رب

(١٧٩/٦)

إني ظلمت نفسي بذلك الظن وأسلمت مع سليمان ثم تزوجها سليمان وقيل إنه ردها إلى مملكتها وكان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وأنها ولدت منه وقيل إنه زوجها ببعض الملوك ولم يتزوجها هو
ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون
قوله تعالى فاذا هم فريقان أي مؤمن وكافر يختصمون وفيه قولان أحدهما أنه قولهم أتعلمون أن صالحا

مرسل من ربه الآيات الأعراف
والثاني أنه قول كل فريق منهم الحق معي
قوله تعالى لم تستعجلون بالسيئة وذلك حين قالوا إن كان ما أتيتنا به حقا فائتنا بالعذاب وفي السيئة والحسنة قولان
أحدهما أن السيئة العذاب والحسنة الرحمة قاله مجاهد
والثاني أن السيئة البلاء والحسنة العافية قاله السدي
قوله تعالى لولا أي هلا تستغفرون الله من الشرك لعلكم ترحمون فلا تعذبون قالوا اطيرنا قال ابن قتيبة المعنى تطيرنا وتشاءمنا بك فأدغمت التاء في الطاء وأثبتت الألف ليسلم السكون

(٦/١٨٠)

لما بعدها وقال الزجاج الأصل تطيرنا فأدغمت التاء في الطاء واجتلبت الألف لسكون الطاء فاذا ابتدأت قلت اطيرنا وإذا وصلت لم تذكر الألف وتسقط لأنها ألف وصل وإنما تطيروا به لأنهم قحطوا وجاعوا ف قال لهم طائركم عند الله وقد شرحنا هذا المعنى في الاعراف
وفي قوله تفتنون ثلاثة أقوال
أحدها تختبرون بالخير والشر قاله ابن عباس والثاني تصرفون عن دينكم قاله الحسن والثالث تبتلون بالطاعة والمعصية قاله قتادة
وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
قوله تعالى وكان في المدينة وهي الحجر التي نزلها صالح تسعة رهط يفسدون في الأرض يريد في أرض الحجر وفسادهم كفرهم ومعاصيهم وكانوا يسفكون الدماء ويثبتون على الأموال والفروج وهم الذين عملوا في قتل الناقة وروي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح قالا كان فسادهم كسر الدراهم والدنانير قالوا فيما بينهم تقاسموا بالله أي احلفوا بالله لنبيتنه أي لنقتلن صالحا وأهله ليلا ثم لنقولن وقرأ حمزة والكسائي لتبيتنه وأهله ثم لتقولن بالتاء فيهما وقرأ مجاهد

(٦/١٨١)

وأبو رجاء وحميد بن قيس ليبيتنه بياء وتاء مرفوعتين ثم ليقولن بياء مفتوحة وقاف مرفوعة وواو ساكنة ولام مرفوعة لوليه أي لولي دمه إن سألنا عنه ما شهدنا أي ما حضرنا مهلك أهله قرأ الاكثرون بضم الميم وفتح اللام والمهلك يجوز أن يكون مصدرا بمعنى الإهلاك ويجوز ان يكون الموضع وروى ابو بكر وأبان عن عاصم بفتح الميم واللام يريد الهلاك يقال هلك يهلك مهلكا وروى عنه حفص والمفضل بفتح الميم وكسر اللام وهو اسم المكان على معنى ما شهدنا موضع هلاكهم فهذا كان مكرهم فجازاهم الله عليه فأهلكهم

وفي صفة إهلاكهم أربعة أقوال

أحدها أنهم أتوا دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلتهم قاله ابن عباس

والثاني رماهم الله بصخرة فقتلتهم قاله قتادة

والثالث أنهم دخلوا غارا ينتظرون مجئ صالح فبعث الله صخرة سدت باب الغار قاله ابن زيد

والرابع أنهم نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فأهلكهم قاله مقاتل

قوله تعالى أنا دمرناهم قرأ عاصم وحمزة والكسائي أنا دمرناهم بفتح الألف وقرأ بكسرها فمن كسر استأنف ومن فتح فقال أبو علي فيه وجهان

أحدهما أن يكون بدلا من عاقبة مكرهم

(١٨٢/٦)

والثاني ان يكون محمولا على مبتدأ مضمر كأنه قال هو أنا دمرناهم

قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية قال الزجاج هي منصوبة على الحال المعنى فانظر إلى بيوتهم خاوية

ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين

قوله تعالى أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون فيه قولان

أحدهما وأنتم تعلمون أنها فاحشة والثاني وبعضكم يبصر بعضا

قوله تعالى بل أنتم قوم تجهلون قال ابن عباس تجهلون القيامة وعاقبة العصيان

قوله تعالى قدرناها من الغابرين أي جعلناها بتقديرنا وقضائنا عليها من الباقين في العذاب وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرناها خفيفة وهي في معنى المشددة وباقي القصة قد تقدم تفسيره هود

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون أمن خلق السماوات والأرض وأنزل

لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ءإله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض

(١٨٣/٦)

قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ءإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون
قوله تعالى قل الحمد لله هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه و سلم أمر أن يحمد الله على هلاك الأمم الكافرة وقيل على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى فيهم أربعة أقوال
أحدها الرسل رواه أبو صالح عن ابن عباس وروى عنه عكرمة قال اصطفى إبراهيم بالخلة وموسى بالكلام ومحمدا بالرؤية

(١٨٤/٦)

والثاني أنهم أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم رواه أبو مالك عن ابن عباس وبه قال السدي
والثالث أنهم الذين وحدوه وآمنوا به رواه عطاء عن ابن عباس
والرابع أنه محمد صلى الله عليه و سلم قاله ابن السائب
قوله تعالى الله خير أما يشركون قال ابو عبيدة مجازه أو ما يشركون وهذا خطاب للمشركين والمعنى الله خير لمن عبده أم الأصنام لعابديها ومعنى الكلام أنه لما قص عليهم قصص الأمم الخالية أخبرهم أنه نجى عابديه ولم تغن الأصنام عنهم
قوله تعالى أمن خلق السماوات تقديره أما يشركون خير أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة فأما الحدائق فقال ابن قتيبة هي البساتين واحدها حديقة سميت بذلك لأنه يحدق عليها أي يحظر والبهجة الحسن
قوله تعالى ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أي ما ينبغي لكم ذلك لأنكم لا تقدرون عليه ثم قال مستفهما منكرا عليهم أإله مع الله أي ليس معه

(١٨٥/٦)

إله بل هم يعني كفار مكة قوم يعدلون وقد شرحناه في فاتحة الأنعام أمن جعل الارض قرارا أي مستقرا لا تميد بأهلها وجعل خلالها أي فيما بينها أنهارا وجعل لها رواسي أي جبالا ثوابت وجعل بين البحرين

حاجزا أي مانعا من قدرته بين العذاب والملح ان يختلطا بل أكثرهم لا يعلمون قدر عظمة الله
أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءإله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ءإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ءإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل ادراك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وقال الذين كفروا ءإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وإن ربك ليعلم ما تكن

(١٨٦/٦)

صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين
قوله تعالى أمن يجيب المضطر وهو المكروب المجهود ويكشف السوء يعني الضر ويجعلكم خلفاء الارض أي يهلك قرنا وينشئ آخرين وتذكرون بمعنى تتعظون وقرأ أبو عمرو بالياء والباقون بالتاء أمن يهديكم أي يرشدكم إلى مقاصدكم إذا سافرتم في ظلمات البر والبحر وقد بيناها في الأنعام وشرحنا ما يليها من الكلمات فيما مضى الأعراف ويونس إلى قوله وما يشعرون يعني من في السماوات والأرض أيان يبعثون أي متى يبعثون بعد موتهم

(١٨٧/٦)

قوله تعالى بل أدرك علمهم في الآخرة قرأ ابن كثير وأبو عمرو بل أدرك قال مجاهد بل بمعنى أم والمعنى لم يدرك علمهم وقال الفراء المعنى هل ادرك علمهم علم الآخرة فعلى هذا يكون المعنى إنهم لا يقفون في الدنيا على حقيقة العلم بالآخرة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بل ادارك على معنى بل تدارك أي تتابع وتلاحق فأدغمت التاء في الدال ثم في معناها قولان
أحدهما بل تكامل علمهم يوم القيامة لانهم مبعوثون قاله الزجاج وقال ابن عباس ما جهلوه في الدنيا علموه في الآخرة
والثاني بل تدارك ظنهم وحدسهم في الحكم على الآخرة فتارة يقولون إنها كائنة وتارة يقولون لا تكون

قاله ابن قتيبة وروى أبو بكر عن عاصم بل ادرك على وزن افتعل من ادركت
قوله تعالى بل هم في شك منها أي بل هم اليوم في شك من القيامة بل هم منها عمون قال ابن قتيبة أي من علمها وما بعد هذا قد سبق بيانه النحل المؤمنون إلى قوله متى هذا الوعد يعنون العذاب الذي تعدنا قل عسى أن يكون ردف لكم قال ابن عباس قرب لكم وقال ابن قتيبة تبعكم واللام زائدة كأنه قال ردفكم
وفي ما تبعهم مما استعجلوه قولان
أحدهما يوم بدر والثاني عذاب القبر
قوله تعالى وإن ربك لذو فضل على الناس قال مقاتل على أهل مكة حين لا يعجل عليهم بالعذاب
قوله تعالى وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم أي ما تخفيه

(١٨٨/٦)

وما يعلنون بألسنتهم من عداوتك وخلافك والمعنى أنه يجازيهم عليه وما من غائبة أي وما من جملة غائبة إلا في كتاب يعني اللوح المحفوظ والمعنى إن علم ما يستعجلونه من العذاب بين عند الله وإن غاب عن الخلق
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله إنك على الحق المبين إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل وذلك أن اهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه فلو أخذوا به لسلموا إن ربك يقضي بينهم يعني بين بني إسرائيل بحكمه وقرأ أبو المتوكل وأبو عمران الجوني وعاصم الجحدري بحكمه بكسر الحاء وفتح الكاف
قوله تعالى إنك لا تسمع الموتى قال المفسرون هذا مثل ضربه الله للكفار فشبههم بالموتى
قوله تعالى ولا تسمع الصم الدعاء وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم بفتح ميم يسمع وضم ميم الصم
قوله تعالى إذا ولوا مدبرين أي أن الصم إذا أدبروا عنك ثم

(١٨٩/٦)

ناديتهم لم يسمعوا فكذلك الكافر وما أنت بهاد العمي أي ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى إن تسمع إسماع إفهام إلا من يؤمن بآياتنا

قوله تعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض وقع بمعنى وجب

وفي المراد بالقول ثلاثة أقوال

أحدها العذاب قاله ابن عباس والثاني الغضب قاله قتادة والثالث الحجة قاله ابن قتيبة ومتى ذلك فيه قولان

أحدهما إذا لم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر قاله ابن عمر وأبو سعيد الخدري

والثاني إذا لم يرج صلاحهم حكاه أبو سليمان الدمشقي وهو معنى قول أبي العالية والإشارة بقوله عليهم إلى الكفار الذين تخرج الدابة عليهم

وللمفسرين في صفة الدابة اربعة أقوال

أحدها أنها ذات وبر وريش رواه حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال ابن عباس ذات زغب وريش لها اربع قوائم

والثاني أن رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن إيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا رواه ابن جريج عن ابي الزبير

والثالث أن وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير قاله وهب

والرابع أن لها أربع قوائم وزغبا وريشا وجناحين قاله مقاتل

وفي المكان الذي تخرج منه خمسة أقوال

أحدها من الصفا روى حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون تضطرب الأرض تحتهم وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال طولها ستون ذراعا وكذلك قال ابن مسعود تخرج من الصفا وقال ابن عمر تخرج من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها وقال عبد الله بن عمر تخرج الدابة فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض ما خرجتا

والثاني أنها تخرج من شعب أجياد روي عن النبي صلى الله عليه و سلم وعن ابن عمر مثله

والثالث تخرج من بعض أودية تهامة قاله ابن عباس
والرابع من بحر سدوم قاله وهب بن منبه

(١٩١/٦)

والخامس أنها تخرج بتهامة بين الصفا والمروة حكاه الزجاج وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم حتى إن أهل البيت ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر وروي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه كافر وتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وقال حذيفة بن أسيد إن للدابة ثلاث خرجات خرجة في بعض البوادي ثم تنكتم وخرجة في بعض القرى ثم تنكتم فبينما الناس عند أشرف المساجد يعني المسجد الحرام إذ ارتفعت الأرض فانطلق الناس هرابا فلا يفوتونها حتى إنها لتأتي الرجل وهو يصلي فنقول أتتعوذ بالصلاة والله ما كنت من أهل الصلاة فتخطمه وتجلو وجه المؤمن وقال عبد الله بن عمرو

(١٩٢/٦)

إنها تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء فتفشو في وجهه فيسود وجهه وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه فيعرف الناس المؤمن والكافر ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج
قوله تعالى تكلمهم قرأ الأكثرون بتشديد اللام فهو من الكلام
وفيما تكلمهم به ثلاثة أقوال
أحدها أنها تقول لهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قاله قتادة
والثاني تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الاسلام قاله السدي
والثالث تقول هذا مؤمن وهذا كافر حكاه الماوردي
وقرأ ابن ابي عبلة والجحدري بتسكين الكاف وكسر اللام وفتح التاء فهو من الكلم قال ثعلب والمعنى تجرحهم وسئل ابن عباس عن القراءتين فقال كل ذلك والله تفعله تكلم المؤمن وتكلم الفاجر والكافر أي تجرحه
قوله تعالى أن الناس قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة وكسرها الباقون فمن فتح أراد تكلمهم بأن

الناس وهكذا قرأ ابن مسعود وأبو عمران الجوني تكلمهم بأن الناس بزيادة باء مع فتح الهمزة ومن كسر فلأن معنى تكلمهم تقول لهم إن الناس والكلام قول

(١٩٣/٦)

ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاؤا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون

قوله تعالى ويوم نحشر من كل أمة فوجا الفوج الجماعة من الناس كالزمرة والمراد به الرؤساء والمتبوعون في الكفر حشروا وأقيمت الحجة عليهم وقد سبق معنى يوزعون النمل حتى إذا جاؤوا إلى موقف الحساب قال الله تعالى لهم أكذبتم بآياتي هذا استفهام إنكار عليهم ووعيد لهم ولم تحيطوا بها علما فيه قولان

أحدهما لم تعرفوها حق معرفتها

والثاني لم تحيطوا علما ببطلانها والمعنى إنكم لم تتفكروا في صحتها

أم ماذا كنتم تعملون في الدنيا فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه

قوله تعالى ووقع القول عليهم قد شرحناه آنفا النمل بما ظلموا أي بما أشركوا فهم لا ينطقون بحجة عن أنفسهم ثم احتج عليهم بالآية التي تلي هذه ومعنى قوله والنهار مبصرا أي يبصر فيه لابتغاء الرزق

ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل

(١٩٤/٦)

شئ إنه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون

قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور قال ابن عباس هذه النفخة الأولى

قوله تعالى ففزع من في السماوات ومن في الارض قال المفسرون المعنى فيفزع من في السماوات ومن في الارض والمراد أنهم ماتوا بلغ بهم الفزع إلى الموت

وفي قوله إلا من شاء الله ثلاثة اقوال

أحدها أنهم الشهداء قاله أبو هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير

والثاني جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم إن الله تعالى يميتهم بعد ذلك قاله مقاتل
والثالث أنهم الذين في الجنة من الحور وغيرهن وكذلك من في النار لأنهم خلقوا للبقاء ذكره أبو إسحاق ابن شاقلا من أصحابنا
قوله تعالى وكل أي من الأحياء الذين ماتوا ثم أحيوا آتوه وقرأ حمزة وحفص عن عاصم أتوه بفتح التاء مقصورة أي يأتون الله يوم القيامة داخرين قال ابن عباس ومجاهد وقتادة صاغرين قال أبو عبيدة كل لفظه لفظ الواحد ومعناه يقع على الجميع فهذه الآية في موضع جمع
قوله تعالى وترى الجبال قال ابن قتيبة هذا يكون إذا نفخ في الصور تجمع الجبال وتسير فهي لكثرتها تحسب جامدة أي واقفة

(١٩٥/٦)

وهي تمر أي تسير سير السحاب وكذلك كل جيش عظيم يحسبه الناظر من بعيد واقفا وهو يسير لكثرته قال الجعدي يصف جيشا
... بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج ...
قوله تعالى صنع الله قال الزجاج هو منصوب على المصدر لأن قوله وترى الجبال تحسبها جامدة دليل على الصنعة فكأنه قال صنع الله ذلك صنعا ويجوز الرفع على معنى ذلك صنع الله فأما الإتقان فهو في اللغة إحكام الشئ
قوله تعالى إنه خبير بما تفعلون قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر يفعلون بالياء وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء
قوله تعالى من جاء بالحسنة قد شرحنا الحسنة والسيئة في آخر الأنعام
قوله تعالى فله خير منها فيه قولان
أحدهما فله خير منها يصل إليه وهو الثواب قاله ابن عباس والحسن وعكرمة
والثاني فله أفضل منها لأنه يأتي بحسنة فيعطى عشر أمثالها قاله زيد ابن أسلم
قوله تعالى وهم من فزع يومئذ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر من فزع يومئذ مضافا وقرأ عاصم وحمزة والكسائي من فزع بالتنوين يومئذ بفتح الميم وقال الفراء الإضافة أعجب

(١٩٦/٦)

إلي في العربية لأنه فزع معلوم ألا ترى إلى قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر الانبياء فصيره معرفة فاذا أضفت مكان المعرفة كان أحب إلي واختار أبو عبيدة قراءة التنوين وقال هي أعم التأويلين فيكون الأمن من جميع فزع ذلك اليوم قال أبو علي الفارسي إذا نون جاز أن يعنى به فزع واحد وجاز أن يعنى به الكثرة لأنه مصدر والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ كقوله إن أنكر الأصوات لصوت الحمير لقمان وكذلك إذا أضيف جاز أن يعنى به فزع واحد وجاز أن يعنى به الكثرة وعلى هذا القول القراءتان سواء فان اريد به الكثرة فهو شامل لكل فزع يكون يوم القيامة وإن أريد به الواحد فهو المشار إليه بقوله لا يحزنهم الفزع الأكبر الأنبياء وقال ابن السائب إذا أطبقت النار على أهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها وأهل الجنة آمنون من ذلك الفزع

قوله تعالى ومن جاء بالسيئة قال المفسرون هي الشرك فكبت وجوههم يقال كببت الرجل إذا ألقيته لوجهه وتقول لهم خزنة جهنم هل تجزون إلا ما كنتم تعملون أي إلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك

إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون

(١٩٧/٦)

قوله تعالى إنما أمرت المعنى قل للمشركين إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وقرأ ابن مسعود وأبو عمران الجوني التي حرمها وهي مكة وتحريمها تعظيم حرمتها بالمنع من القتل فيها والسبي والكف عن صيدها وشجرها وله كل شئ لأنه خالقه ومالكه وأمرت أن أكون من المسلمين أي من المخلصين لله بالتوحيد وأن أتلو القرآن عليكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه أي فله ثواب اهتدائه ومن ضل أي أخطأ طريق الهدى فقل إنما أنا من المنذرين أي ليس علي إلا البلاغ وذكر المفسرون أن هذا منسوخ بآية السيف وقل الحمد لله أي قل لمن ضل الحمد لله الذي وفقنا لقبول ما امتنعتم منه سيريكم آياته

ومتى يريهم فيه قولان

أحدهما في الدنيا ثم فيها ثلاثة أقوال أحدها أن منها الدخان وانشقاق القمر وقد أراهم ذلك رواه أبو صالح عن ابن عباس والثاني سيريكم آياته فتعرفونها في السماء وفي أنفسكم وفي الرزق قاله مجاهد والثالث القتل ببدر قاله مقاتل

والثاني سيريكم آياته في الآخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا قاله الحسن

(١٩٨/٦)

قوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم تعلمون بالتاء على معنى قل لهم وقرأ الباقون بالياء على أنه وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم

(١٩٩/٦)

سورة القصص

وهي مكية كلها غير آية منها وهي قوله إن الذي فرض عليك القرآن القصص فانها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة هذا قول ابن عباس وروي عن الحسن وعطاء وعكرمة أنها مكية كلها وزعم مقاتل أن فيها من المدني الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون القصص إلى قوله لا نبتغي الجاهلين القصص وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية وهي قوله إن الذي فرض عليك القرآن القصص نزلت بالجحفة

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون

(٢٠٠/٦)

قوله تعالى طسم قد سبق تفسيره الشعراء

قوله تعالى إن فرعون علا في الارض أي طغى وتجبر في ارض مصر وجعل أهلها شيعا أي فرقا وأصنافا في خدمته يستضعف طائفة منهم وهم بنو إسرائيل واستضعافه إياهم استعبادهم إنه كان من المفسدين بالقتل والعمل بالمعاصي يذبح أبناءهم وقرأ أبو رزين والزهري وابن محيصن وابن ابي عبلة يذبح بفتح الياء وسكون الذال خفيفة

قوله تعالى ونريد أن نمن أي ننعم على الذين استضعفوا وهم بنو إسرائيل ونجعلهم أئمة يقتدى بهم في الخير وقال قتادة ولاة وملوكا ونجعلهم الوارثين لملك فرعون بعد غرقه

قوله تعالى ونري فرعون وهامان وجنودهما وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويرى بياء مفتوحة وإمالة الالف التي بعد الراء فرعون وهامان وجنودهما بالرفع ومعنى الآية أنهم أخبروا أن هلاكهم على يدي رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل منهم فأراهم الله ما كانوا يحذرون

وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون

قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى فيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه إلهام قاله ابن عباس والثاني أن جبريل أتاها بذلك

(٢٠١/٦)

قاله مقاتل والثالث أنه كان رؤيا منام حكاه الماوردي قال مقاتل واسم أم موسى يوخابذ

قوله تعالى أن أرضعيه قال المفسرون كانت امرأة من القوابل مصافية لأم موسى فلما وضعته تولت أمرها ثم خرجت فرآها بعض العيون فجاؤوا ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى في خرقة ووضعته في التنور وهو مسجر فدخلوا ثم خرجوا فقال لأخته أين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاءه من التنور فاطلعت وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فأرضعته بعد ولادته ثلاثة أشهر وقيل أربعة أشهر فلما خافت عليه صنعت له التابوت

وفي قوله فاذا خفت عليه قولان

أحدهما إذا خفت عليه القتل قاله مقاتل

والثاني إذا خفت عليه أن يصيح أو يبكي فيسمع صوته قاله ابن السائب

وفي قوله ولا تخافي قولان

(٢٠٢/٦)

أحدهما أن يغرق قاله ابن السائب والثاني أن يضيع قاله مقاتل

وقال الأصمعي قلت لأعرابية ما أفصحك فقالت أو بعد هذه الآية فصاحة وهي قوله وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين جمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين

قوله تعالى فالتقطه آل فرعون الالتقاط إصابة الشئ من غير طلب والمراد بآل فرعون الذين تولوا أخذ التابوت من البحر

وفي الذين التقطوه ثلاثة أقوال

أحدها جواري امرأة فرعون قاله السدي والثاني ابنة فرعون قاله محمد بن قيس والثالث أعوان فرعون قاله ابن إسحاق

قوله تعالى ليكون لهم عدوا أي ليصير بهم الأمر إلى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا وهذه اللام تسمى لام العاقبة وقد شرحناه في يونس

وللمفسرين في معنى الكلام قولان

أحدهما ليكون لهم عدوا في دينهم وحزنا لما يصنعه بهم

والثاني عدو لرجالهم وحزنا على نسائهم فقتل الرجال بالغرق واستعبد النساء وقالت امرأة فرعون وهي آسية بنت مزاحم وكانت من بني إسرائيل تزوجها فرعون قرة عين قال الزجاج رفع قرة عين على إضمار هو قال المفسرون كان فرعون لا يولد إلا البنات فقالت عسى

(٢٠٣/٦)

أن ينفعنا فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون فيه أربعة أقوال

أحدها لا يشعرون أنه عدو لهم قاله مجاهد والثاني أن هلاكهم على يديه قاله قتادة والثالث لا يشعر بنو إسرائيل أنا التقطناه قاله محمد ابن قيس والرابع لا يشعرون أني أفعل ما أريد لا ما يريدون قاله محمد ابن إسحاق

وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون

قوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا فيه أربعة أقوال

أحدها فارغا من كل شئ إلا من ذكر موسى رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك

والثاني أصبح فؤادها فزعا رواه الضحاك عن ابن عباس وهي قراءة أبي رزين وأبي العالية والضحاك وقتادة وعاصم الجحدري فإنهم قرؤوا فزعا بزاي معجمة

والثالث فارغا من وحينا بنسيانه قاله الحسن وابن زيد

والرابع فارغا من الحزن لعلمها أنه لم يقتل قاله أبو عبيدة قال ابن قتيبة وهذا من أعجب التفسير كيف يكون كذلك والله يقول لولا أن ربطنا على قلبها وهل يربط إلا على قلب الجازع المحزون

قوله تعالى إن كادت لتبدي به في هذه الهاء قولان

أحدهما أنها ترجع إلى موسى ومتى أرادت هذا فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه حين فارقته روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال كادت تقول يا بنياه قال قتادة وذلك من شدة وجدها والثاني حين حملت لرضاعه ثم كادت تقول هو ابني قاله السدي والثالث أنه لما كبر وسمعت الناس يقولون موسى بن فرعون كادت تقول لا بل هو ابني قاله ابن السائب

والقول الثاني أنها ترجع إلى الوحي والمعنى إن كادت لتبدي بالوحي حكاه ابن جرير

قوله تعالى لولا أن ربطنا على قلبها قال الزجاج المعنى لولا ربطنا على قلبها والربط إلهام الصبر وتشديد القلب وتقويته

قوله تعالى لتكون من المؤمنين أي من المصدقين بوعد الله وقالت لأخته قصيه قال ابن عباس قصي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أي أحي هو أو قد أكلته الدواب ونسيت الذي وعدها الله فيه وقال وهب إنما قالت لأخته قصيه لأنها سمعت أن فرعون قد أصاب صبيا في تابوت قال مقاتل واسم أخته مريم قال ابن قتيبة ومعنى قصيه قصي أثره واتبعيه فبصرت به عن جنب أي عن

بعد منها عنه وإعراض لئلا يفطنوا والمجانبة من هذا وقرأ ابي ابن كعب وأبو مجلز عن جناب بفتح الجيم والنون وبألف بعدهما وقرأ ابن مسعود وأبو عمران الجوني عن جانب بفتح الجيم وكسر النون وبينهما ألف وقرأ قتادة وأبو العالية وعاصم الجحدري عن جنب بفتح الجيم وإسكان النون من غير ألف

قوله تعالى وهم لا يشعرون فيه قولان

أحدهما وهم لا يشعرون أنه عدو لهم قاله مجاهد

والثاني لا يشعرون أنها أخته قاله السدي

قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع وهي جمع مرضع من قبل أي من قبل أن نرده على أمه وهذا تحريم منع لا تحريم شرع قال المفسرون بقي ثمانية أيام وليالهين كلما أتي بمرضع لم يقبل ثديها فأهمهم ذلك واشتد عليهم فقالت لهم أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم فقالوا لها نعم من تلك فقالت أمي قالوا وهل لها لبن قالت لبن هارون فلما جاءت قبل ثديها وقيل إنها لما قالت وهم له ناصحون

قالوا لعلك تعرفين أهله قالت لا ولكني إنما قلت وهم للملك ناصحون
قوله تعالى فرددناه إلى أمه قد شرحناه في طه
قوله تعالى ولتعلم أن وعد الله يرد ولدها حق وهذا علم عيان ومشاهدة ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الله وعدها أن يرده إليها

(٢٠٦/٦)

ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين
ولما بلغ أشده قد فسرنا هذه الآية في سورة يوسف وكلام المفسرين في لفظ الآيتين متقارب إلا أنهم فرقوا بين بلوغ الأشد وبين الاستواء فأما بلوغ الأشد فقد سلف بيانه الانعام
وفي مدة الاستواء لهم قولان
أحدهما أنه أربعون سنة قاله مجاهد وقتادة وابن زيد
والثاني ستون سنة ذكره ابن جرير قال المفسرون مكث عند أمه حتى فطمته ثم ردته إليهم فنشأ في حجر فرعون وامرأته واتخذاه ولدا
قوله تعالى ودخل المدينة فيها قولان
أحدهما أنها مصر والثاني مدينة بالقرب من مصر
قال السدي ركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى ركب في أثره فأدركه المقيل في تلك المدينة وقال غيره لما توهم فرعون في موسى أنه عدوه أمر باخراجه من مدينته فلم يدخل إلا بعد أن كبر فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها

(٢٠٧/٦)

وفي ذلك الوقت أربعة أقوال
أحدها أنه كان يوم عيد لهم وكانوا قد اشتغلوا فيه بلهوهم قاله علي عليه السلام
والثاني أنه دخل نصف النهار رواه جماعة عن ابن عباس وبه قال سعيد ابن جبير
والثالث بين المغرب والعشاء قاله وهب بن منبه

والرابع أنهم لما أخرجوه لم يدخل عليهم حتى كبر فدخل على حين غفلة عن ذكره لأنه قد نسي أمره قاله ابن زيد

قوله تعالى هذا من شيعته أي من أصحابه من بني إسرائيل وهذا من عدوه أي من أعدائه من القبط والعدو يذكر للواحد وللجمع قال الزجاج وإنما قيل في الغائب هذا وهذا على جهة الحكاية للحضرة والمعنى أنه إذا نظر إليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه قال المفسرون وإن القبطي كان قد سخر الإسرائيلي أن يحمل حطبا إلى مطبخ فرعون فاستغاثه أي فاستنصره فوكزه قال الزجاج الوكز أن يضربه بجميع كفه وقال ابن قتيبة فوكزه أي لكزه يقال وكزته ولكزته ولهزته إذا دفعته فقضى عليه أي قتله وكل شئ فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه وللمفسرين فيما وكزه به قولان

أحدهما كفه قاله مجاهد والثاني عصاه قاله قتادة

فلما مات القبطي ندم موسى لأنه لم يرد قتله وقال هذا من عمل الشيطان أي هو الذي هيج غضبي حتى ضربت هذا إنه عدو

(٢٠٨/٦)

لابن آدم مضل له مبين عداوته ثم استغفر ف قال رب إني ظلمت نفسي أي بقتل هذا ولا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر قال رب بما أنعمت علي بالمغفرة فلن أكون ظهيرا للمجرمين قال ابن عباس عونا للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافرا

فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين

قوله تعالى فأصبح في المدينة وهي التي قتل بها القبطي خائفا على نفسه يترقب أي ينتظر سوءا يناله منهم ويخاف أن يقتل به فاذا الذي استنصره بالأمس وهو الاسرائيلي يستصرخه أي يستغيث به على قبطي آخر أراد أن يسخره ايضا قال له موسى في هاء الكناية قولان

أحدهما أنها ترجع إلى القبطي والثاني إلى الإسرائيلي وهو أصح

فعلى الأول يكون المعنى إنك لغوي بتسخيرك وظلمك

وعلى الثاني فيه قولان

أحدهما أن يكون الغوي بمعنى المغوي كالأليم والوجيع بمعنى المؤلم

(٢٠٩/٦)

والموجع والمعنى إنك لمضل حين قتلت بالأمس رجلا بسببك وتدعوني اليوم إلى آخر
والثاني أن يكون الغوي بمعنى الغاوي والمعنى إنك غاو في قتالك من لا تطيق دفع شره عنك
قوله تعالى فلما ان اراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما أي بالقبطي قال يا موسى هذا قول الإسرائيلي
من غير خلاف علمناه بين المفسرين قالوا لما رأى الاسرائيلي غضب موسى عليه حين قال له إنك
لغوي مبين ورآه قد هم أن يبطش بالفرعوني ظن أنه يريده فخاف على نفسه ف قال يا موسى أتريد أن
تقتلني وكان قوم فرعون لم يعلموا من قاتل القبطي إلا أنهم أتوا إلى فرعون فقالوا إن بني إسرائيل قتلوا
رجلا منا فخذ لنا بحقنا فقال ابغوني قاتله ومن يشهد عليه لآخذ لكم حقكم فبينا هم يطوفون ولا يدرون
من القاتل وقعت هذه الخصومة بين الإسرائيلي والقبطي في اليوم الثاني فلما قال الإسرائيلي لموسى
أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس انطلق القبطي إلى فرعون فأخبره أن موسى هو الذي قتل الرجل
فأمر بقتل موسى فعلم بذلك رجل من شيعة موسى فأتاه فأخبره فذلك قوله وجاء رجل من أقصى المدينة
يسعى فأما الجبار فقال السدي هو القتال وقد شرحناه في هود وأقصى المدينة آخرها وأبعدها ويسعى
بمعنى يسرع قال ابن عباس وهذا الرجل هو مؤمن آل فرعون وسيأتي الخلاف في اسمه في سورة
المؤمن فأما الملأ فهم الوجوه من الناس والاشراف
وفي قوله يأتمرون بك ثلاثة اقوال

أحدها يتشاورون فيك ليقتلوك قاله أبو عبيدة والثاني يهمون بك قاله ابن قتيبة والثالث يأمر بعضهم
بعضا بقتلك قاله الزجاج
فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن
يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين
تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل
فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك
ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت
إحداهما يا أبت استأجرته إن خير من استأجرت القوي الأمين قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي
هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن
شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول
وكيل

قوله تعالى فخرج منها أي من مصر خائفا وقد مضى تفسيره القصص
قوله تعالى نجني من القوم الظالمين يعني المشركين أهل مصر
ولما توجه تلقاء مدين قال ابن قتيبة أي تجاه مدين ونحوها وأصله اللقاء وزيدت فيه التاء قال الشاعر

(٢١١/٦)

أملت خيرك هل تأتي مواعده ... فاليوم قصر عن تلقائك الامل ...
أي عن لقائك
قال المفسرون خرج خائفا بغير زاد ولا ظهر وكان بين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام ولم يكن له بالطريق علم ف قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل أي قصده قال ابن عباس لم يكن له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه وقال السدي بعث الله له ملكا فدله قالوا ولم يكن له في طريقه طعام إلا ورق الشجر فورد ماء مدين وخضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال والأمة الجماعة وهم الرعاة يسقون مواشيهم ووجد من دونهم أي من سوى الأمة امرأتين وهما ابنتا شعيب قال مقاتل واسم الكبرى صبورا والصغرى عبرا تذودان قال ابن قتيبة أي تكفان غنمهما فحذف الغنم اختصارا قال المفسرون وإنما فعلتا ذلك ليفرغ الناس وتخلو لهما البئر قال موسى ما خطبكما أي ما شأنكما لا تسقيان قالتا لا نسقي وقرأ ابن مسعود وأبو الجوزاء وابن يعمر وابن السميفع لانسقي برفع النون حتى يصدر الرعاء وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر يصدر بفتح الياء وضم الدال أي حتى يرجع الرعاء وقرأ الباقون يصدر بضم الياء وكسرالدال أرادوا حتى يرد الرعاء غنمهم عن الماء والرعاء جمع راع كما يقال صاحب وصحاب وقرأ عكرمة

(٢١٢/٦)

وسعيد بن جبير وابن يعمر وعاصم الجحدري الرعاء بضم الراء والمعنى نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال وأبونا شيخ كبير لا يقدر أن يسقي ماشيته من الكبر فلذلك احتجنا نحن إلى ان نسقي وكان على تلك البئر صخرة عظيمة فاذا فرغ الرعاء من سقيهم أعادوا الصخرة فتأتي المرأتان إلى فضول حياض الرعاء فتسقيان غنمهما فسقى لهما موسى
وفي صفة ما صنع قولان
أحدهما أنه ذهب إلى بئر أخرى عليها صخرة لا يقتلعها إلا جماعة من الناس فاقتلعها وسقى لهما قاله عمر بن الخطاب وشريح

والثاني أنه زاحم القوم على الماء وسقى لهما قاله ابن إسحاق والمعنى سقى غنمهما لأجلهما
ثم تولى أي انصرف إلى الظل وهو ظل شجرة فقال رب إني لما اللام بمعنى إلى فتقديره إني إلى ما أنزلت إلي من خير فقير وأراد بالخير الطعام وحكى ابن جرير أنه أسمع المرأتين

(٢١٣/٦)

هذا الكلام تعريضا أن تطعماه فجاءته إحداهما المعنى فلما شربت غنمهما رجعتا إلى أبيهما فأخبرتاه خبر موسى فبعث إحداهما تدعو موسى وفيها قولان أحدهما الصغرى والثاني الكبرى فجاءته تمشي على استحياء قد سترت وجهها بكم درعها
وفي سبب استحيائها ثلاثة أقوال
أحدها أنه كان من صفتها الحياء فهي تمشي مشي من لم يعتد الخروج والدخول
والثاني لأنها دعته لتكافئه وكان الأجمل عندها أن تدعوه من غير مكافأة
والثالث لأنها رسول أبيها
قوله تعالى ليجزيك أجر ما سقيت لنا قال المفسرون لما سمع موسى هذا القول كرهه وأراد أن لا يتبعها فلم يجد بدا للجهد الذي به من اتباعها فتبعها فكانت الريح تضرب ثوبها فيصف بعض جسدها فناداها يا أمة الله كوني خلفي ودليني الطريق فلما جاءه أي جاء موسى شعيبا وقص

(٢١٤/٦)

عليه القصص أي أخبره بأمره من حين ولد والسبب الذي أخرجه من أرضه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين أي لا سلطان لفرعون بأرضنا ولسنا في مملكته قالت إحداهما وهي الكبرى يا أبت استأجره أي اتخذه أجيرا إن خير من استأجرت القوي الأمين أي خير من استعملت على عملك من قوي على عملك وأدى الأمانة وإنما سمته قويا لرفعه الحجر عن رأس البئر وقيل لأنه استقى بدلو لا يقلها إلا العدد الكثير من الرجال وسمته أمينا لأنه امرها أن تمشي خلفه وقال السدي قال لها شعيب قد رأيت قوته فما يدريك بأمانته فحدثته قال المفسرون فرغب فيه شعيب فقال له إني أريد أن أنكحك أي أزواجك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج قال الفراء تأجرني وتأجرني بضم الجيم وكسرها لغتان قال الزجاج والمعنى تكون أجيرا لي ثماني سنين فإن أتممت عشرا فمن عندك أي فذلك تفضل منك وليس بواجب عليك
قوله تعالى وما أريد أن أشق عليك أي في العشر ستجدني ان شاء الله من الصالحين أي في حسن

الصحبة والوفاء بما قلت قال له موسى ذلك بيني وبينك أي ذلك الذي وصفت وشرطت علي فلك وما شرطت لي من تزويج إحداهما فلي فالأمر كذلك بيننا وتم الكلام هاهنا ثم قال أيما الأجلين يعني الثماني والعشر قال أبو عبيدة ما زائدة

قوله تعالى قضيت أي أتممت فلا عدوان علي أي لا سبيل علي والمعنى لا تعتد علي بأن تلزمني أكثر منه والله على ما نقول وكيل قال الزجاج أي والله شاهدنا على ما عقد بعضنا على بعض

(٢١٥/٦)

واختلف العلماء في هذا الرجل الذي استأجر موسى على أربعة أقوال

أحدها أنه شعيب نبي الله صلى الله عليه و سلم وعلى هذا أكثر أهل التفسير وفيه أثر عن النبي صلى الله عليه و سلم يدل عليه وبه قال وهب ومقاتل

والثاني أنه صاحب مدين واسمه يثرى قاله ابن عباس

والثالث رجل من قوم شعيب قاله الحسن

والرابع أنه يثرون ابن اخي شعيب رواه عمرو بن مرة عن أبي عبيدة ابن عبد الله بن مسعود وبه قال ابن السائب

واختلفوا في التي تزوجها موسى من الإبنتين على قولين

أحدهما الصغرى روي عن ابن عباس والثاني الكبرى قاله مقاتل

(٢١٦/٦)

وفي اسم التي تزوجها ثلاثة أقوال

أحدها صفوريا حكاه ابو عمران الجوني والثاني صفورة قاله شعيب الجبائي والثالث صبورا قاله مقاتل

فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما

بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون

قوله تعالى فلما قضى موسى الأجل روى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه سئل أي الأجلين قضى موسى قال أوفاهما وأطيبهما قال مجاهد مكث بعد قضاء الأجل عندهم عشرا

(٢١٧/٦)

أخر وقال وهب بن منبه أقام عندهم بعد أن أدخل عليه امرأته سنين وقد سبق تفسير هذه الآية طه إلى قوله أو جذرة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي جذوة بكسر الجيم وقرأ عاصم بفتحها وقرأ حمزة وخلف والوليد عن ابن عامر بضمها وكلها لغات قال ابن عباس الجذوة قطعة حطب فيها نار وقال أبو عبيدة قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة قال ابن مقبل

... باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذا غير خوار ولا دعر ...

والدعر الذي قد نخر ومنه رجل داعر أي فاسد

قوله تعالى نودي من شاطئ الواد وهو جانبه الأيمن وهو الذي عن يمين موسى في البقعة وهي القطعة من الأرض المباركة بتكليم الله موسى فيها من الشجرة أي من ناحيتها وفي تلك الشجرة قولان

أحدهما أنها شجرة العناب قاله ابن عباس

والثاني عوسجة قاله قتادة وابن السائب ومقاتل

(٢١٨/٦)

وما بعد هذا قد سبق بيانه النمل إلى قوله إنك من الآمنين أي من أن ينالك مكروه

قوله تعالى أسلك يدك أي أدخلها واضمم إليك جناحك قد فسرنا الجناح في طه إلا ان بعض المفسرين خالف بين تفسير اللفظين فشرحناه وقال ابن زيد جناحه الذراع والعضد والكف وقال الزجاج الجناح هاهنا العضد ويقال لليد كلها جناح وحكى ابن الأنباري عن الفراء انه قال الجناح هاهنا العصا قال ابن الأنباري الجناح للانسان مشبه بالجناح للطائر ففي حال تشبه العرب رجلي الإنسان بجناحي الطائر فيقولون قد مضى فلان طائرا في جناحيه يعنون ساعيا على قدميه وفي حال يجعلون العضد منه بمنزلة جناحي الطائر كقوله واضمم يدك إلى جناحك وفي حال يجعلون العصا بمنزلة الجناح لأن الإنسان يدفع بها عن نفسه كدفع الطائر عن نفسه بجناحه كقوله واضمم إليك جناحك من الرهب وإنما يوقع

الجناح على هذه الأشياء تشبيها واستعارة كما يقال قد قص جناح الإنسان وقد قطعت يده ورجله إذا وقعت به جائحه أبطلت تصرفه ويقول الرجل للرجل أنت يدي ورجلي أي أنت من به أصل إلى محابي قال جرير

... سأشكر أن رددت إلي ريشي ... وأنبت القوادم في جناحي ...

وقالت امرأة من العرب ترثي زوجها الأغر

... يا عصمتي في النائبات ويا ... ركني الأغر ويا يدي اليمنى ... لا صنت وجها كنت صائنه ... أبدا ووجهك في الثرى يبلى ...

فأما الرهب فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو من الرهب بفتح

(٢١٩/٦)

الراء والهاء وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم من الرهب بضم الراء وسكون الهاء وقرأ حفص وأبان عن عاصم من الرهب بفتح الراء وسكون الهاء وهي قراءة ابن مسعود وابن السميفع وقرأ أبي بن كعب والحسن وقتادة بضم الراء والهاء قال الزجاج الرهب والرهب بمعنى واحد مثل الرشد والرشد وقال أبو عبيدة الرهب والرهبة بمعنى الخوف والفرق وقال ابن الأنباري الرهب والرهب والرهب مثل الشغل والشغل والشغل والبخل والبخل والبخل وتلك لغات ترجع إلى معنى الخوف والفرق

وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال

أحدها أنه لما هرب من الحية أمره الله أن يضم إليه جناحه ليذهب عنه الفزع قال ابن عباس المعنى اضمم يدك إلى صدرك من الخوف ولا خوف عليك وقال مجاهد كل من فزع فضم جناحه إليه ذهب عنه الفزع

والثاني أنه لما هاله بياض يده وشعاعها أمر أن يدخلها في جيبه فعادت إلى حالتها الأولى

والثالث أن معنى الكلام سكن روعك وثبت جأشك قال أبو علي ليس يراد به الضم بين الشيئين إنما أمر بالعزم على ما أمر به والجد فيه ومثله اشدد حيازيمك للموت

قوله تعالى فذانك قرأ ابن كثير وأبو عمرو فذانك بالتشديد وقرأ الباقون فذانك بالتخفيف قال الزجاج التشديد تثنية ذلك والتخفيف تثنية ذاك فجعل اللام في ذلك بدلا من تشديد النون في ذانك برهانان أي بيانان اثنان قال المفسرون فذانك يعني

(٢٢٠/٦)

العصا واليد حجتان من الله لموسى على صدقه إلى فرعون أي أرسلنا بهاتين الآيتين إلى فرعون وقد سبق تفسير ما بعد هذا الشعراء إلى قوله هو أفصح مني لسانا أي أحسن بيانا لأن موسى كان في لسانه أثر الجمرة التي تناولها فأرسله معي ردءا قرأ الأكثرون ردءا بسكون الدال وبعدها همزة وقرأ أبو جعفر ردا بفتح الدال وألف بعدها من غير تنوين ولا همز وقرأ نافع كذلك إلا أنه نون وقال الزجاج الردء العون يقال ردأته أردؤه ردءا إذا أعنته

قوله تعالى يصدقني قرأ عاصم وحمزة يصدقني بضم القاف وقرأ الباقون بسكون القاف قال الزجاج من جزم يصدقني فعلى جواب المسألة أرسله يصدقني ومن رفع فالمعنى ردءا مصدقا لي وأكثر المفسرين على أنه أشار بقوله يصدقني إلى هارون وقال مقاتل بن سليمان لكي يصدقني فرعون

قوله تعالى سنشد عضدك بأخيك قال الزجاج المعنى سنعينك بأخيك ولفظ العضد على جهة المثل لأن اليد قوامها عضدها وكل معين فهو عضد ونجعل لكما سلطانا أي حجة بينة وقيل للزيت السليط لانه يستضاء به والسلطان أبين الحجج

قوله تعالى فلا يصلون إليكما أي بقتل ولا أذى

وفي قوله بآياتنا ثلاثة أقوال

أحدها أن المعنى تمتنعان منهم بآياتنا وحججنا فلا يصلون إليكما

والثاني أنه متعلق بما بعده فالمعنى بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون أي تغلبون بآياتنا

والثالث أن في الكلام تقديما وتأخيرا تقديره ونجعل لكما سلطانا بآياتنا فلا يصلون إليكما

فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون

قوله تعالى ما هذا إلا سحر مفترى أي ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افتريته من قبل نفسك ولم تبعث به وما سمعنا بهذا الذي تدعونا إليه في آبائنا الأولين وقال موسى ربي أعلم وقرأ ابن كثير قال موسى بلا واو وكذلك هي في مصاحفهم بمن جاء بالهدى أي هو بالمحق منا ومن تكون له عاقبة الدار وقرأ حمزة والكسائي وخلف والمفضل يكون بالياء والباقون بالتاء

وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين

وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين

قوله تعالى فأوقد لي يا هامان على الطين قال ابن قتيبة المعنى اصنع لي الآجر فاجعل لي صرحا أي قصرا عاليا وقال الزجاج الصرح كل بناء متسع مرتفع وجاء في التفسير أنه لما أمر هامان وهو وزيره ببناء الصرح جمع العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد قط فلما تم ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت وهي متلطخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى فبعث الله تعالى جبريل فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة أخرى في البحر وأخرى في المغرب

قوله تعالى لعلي أطلع إلى إله موسى أي أصعد إليه واشرف عليه وإني لأظنه يعني موسى من الكاذبين في ادعائه إلها غيري وقال ابن جرير المعنى أظن موسى كاذبا في ادعائه أن في السماء ربا أرسله واستكبر هو وجنوده في الارض يعني أرض مصر بغير الحق أي بالباطل والظلم وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون بالبعث للجزاء قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر يرجعون برفع الياء وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتحها

قوله تعالى وجعلناهم أي في الدنيا أئمة أي قادة في الكفر يأتم بهم العتاة يدعون إلى النار لأن من أطاعهم دخلها وينصرون بمعنى يمنعون من العذاب وما بعد هذا مفسر في هود

قوله تعالى من المقبوحين أي من المبعدين الملعونين قال ابو زيد يقال قبح الله فلانا أي أبعده من كل خير وقال ابن جريج معنى الآية واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لعنة أخرى ثم استقبل الكلام فقال هم من المقبوحين

ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور إذ ناديا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين

قوله تعالى من بعد ما أهلكنا القرون الأولى يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم بصائر للناس أي ليبصروا به ويهتدوا

(٢٢٤/٦)

قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي قال الزجاج أي وما كنت بجانب الجبل الغربي
قوله تعالى إذ قضينا إلى موسى الأمر أي أحكمنا الأمر معه بارساله إلى فرعون وقومه وما كنت من الشاهدين لذلك الأمر وفي هذا بيان لصحة نبوة نبينا صلى الله عليه و سلم لأنهم يعلمون أنه لم يقرأ الكتب ولم يشاهد ما جرى فلولا أنه أوحي إليه ذلك ما علم
قوله تعالى ولكنا أنشأنا قرونا أي خلقنا أمما من بعد موسى فتطاول عليهم العمر أي طال إمهالهم فنسوا عهد الله وتركوا أمره وهذا

(٢٢٥/٦)

يدل على أنه قد عهد إلى موسى وقومه عهود في امر محمد صلى الله عليه و سلم وأمروا بالإيمان به فلما طال إمهالهم أعرضوا عن مراعاة العهود وما كنت ثاويا أي مقيما في أهل مدين فتعلم خبر موسى وشعيب وابنتيه فتتلو ذلك على أهل مكة ولكنا كنا مرسلين ارسلناك إلى أهل مكة وأخبرناك خبر المتقدمين ولولا ذلك ما علمته وما كنت بجانب الطور أي بناحية الجبل الذي كلم عليه موسى إذ نادينا موسى وكلمناه هذا قول الأكثرين وقال أبو هريرة كان هذا النداء يا امة محمد أعطيتكم قبل ان تسألوني وأستجيب لكم قبل أن تدعوني
قوله تعالى ولكن رحمة من ربك قال الزجاج المعنى لم تشاهد قصص الأنبياء ولكنا أوحينا إليك وقصصناها عليك رحمة من ربك
ولولا أن تصيبهم مصيبة جواب لولا محذوف تقديره لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة وقيل لولا ذلك لم نحتج إلى إرسال الرسل ومؤاثرة الاحتجاج
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما أبتعه إن كنتم صادقين فان لم يستجيبوا

(٢٢٦/٦)

لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين

قوله تعالى فلما جاءهم يعني أهل مكة الحق من عندنا وهو محمد عليه السلام والقرآن قالوا لولا أي هلا أوتي محمد من الآيات مثل ما اوتي موسى كالعصا واليد قال المفسرون أمرت اليهود قريشا أن تسأل محمدا مثل ما أوتي موسى فقال الله تعالى أو لم يكفروا بما أوتي موسى أي فقد كفروا بآيات موسى وقالوا في المشار إليهم قولان أحدهما اليهود والثاني قريش سحران قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ساحران تظاهرا أي تعاونا وروى العباس الانصاري عن أبي عمرو تظاهرا بتشديد الظاء

وفيمن عنوا ثلاثة أقوال

أحدها موسى ومحمد قاله ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير فعلى هذا هو من قول مشركي العرب

والثاني موسى وهارون قاله مجاهد فعلى هذا هو من قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة

(٢٢٧/٦)

والثالث محمد وعيسى قاله قتادة فعلى هذا هو من قول اليهود الذين لم يؤمنوا بنبينا

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي سحران وفيه ثلاثة أقوال

أحدها التوراة والفرقان قاله ابن عباس والسدي والثاني الإنجيل والقرآن قاله قتادة والثالث التوراة والإنجيل قاله أبو مجلز وإسماعيل ابن أبي خالد ومعنى الكلام كل سحر منهما يقوي الآخر فنسب التظاهر إلى السحرين توسعا في الكلام وقالوا إنا بكل كافرون يعنون ما تقدم ذكره على اختلاف الأقوال فقال الله لنبيه قل لكفار مكة فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أي من التوراة والقرآن إن كنتم صادقين أنهما ساحران فان لم يستجيبوا لك أي فان لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن فاعلم أنما يتبعون أهواءهم أي أن ما ركبوه من الكفر لم يحملهم عليه حجة وإنما آثروا فيه الهوى ومن أضل أي ولا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير هدى أي بغير رشاد ولا بيان جاء من الله ولقد وصلنا لهم القول وقرأ الحسن وأبو المتوكل وابن يعمر وصلنا بتخفيف الصاد

وفي المشار إليهم قولان

أحدهما أنهم قريش قاله الأكثرون منهم مجاهد

والثاني اليهود قاله رفاعة القرظي

والمعنى أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضا ويخبر عن الأمم الخالية كيف عذبوا لعلهم يتعظون
الذين آتيناهم الكتاب وفيهم ثلاثة أقوال

(٢٢٨/٦)

أحدها أنهم مؤمنو أهل الكتاب رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد
والثاني مسلمو أهل الإنجيل روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا
على رسول الله صلى الله عليه و سلم فشهدوا معه أحدا فنزلت فيهم هذه الآية
والثالث مسلمو كعبد الله بن سلام وغيره قاله السدي
قوله تعالى من قبله أي من قبل القرآن هم به في هاء الكناية قولان أحدهما أنها ترجع إلى محمد صلى
الله عليه و سلم لأن ذكره كان مكتوبا عندهم في كتبهم فآمنوا به والثاني إلى القرآن
قوله تعالى وإذا يتلى عليهم يعني القرآن قالوا آمنا به إنا كنا من قبله أي من قبل نزول القرآن مسلمين
أي مخلصين لله مصدقين بمحمد وذلك لأن ذكره كان في كتبهم فآمنوا به أولئك يؤتون أجرهم مرتين
في المشار إليهم قولان
احدهما أنهم مؤمنو أهل الكتاب وهذ قول الجمهور وهو الظاهر

(٢٢٩/٦)

وفيما صبروا عليه قولان أحدهما أنهم صبروا على الكتاب الأول وصبروا على اتباعم محمدا قاله قتادة
وابن زيد والثاني أنهم صبروا على الإيمان بمحمد قبل أن يبعث ثم على اتباعه حين بعث قاله الضحاك
والقول الثاني انهم قوم من المشركين اسلموا فكان قومهم يؤذونهم فصبروا على الأذى قاله مجاهد
قوله تعالى ويدرؤون بالحسنة السيئة فيه اقوال قد شرحناها في الرعد ٢٢
قوله تعالى وإذا سمعوا اللغو فيه ثلاث اقوال
احدها الاذى والسب قاله مجاهد والثاني الشرك قاله الضحاك والثالث انهم قوم من اليهود آمنوا فكانوا
يسمعون ما غيراليهود من صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم فيكرهون ذلك ويعرضون عنه قاله ابن
زيد وهل هذا منسوخ ام لا فيه قولان
وفي قوله وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم قولان
أحدهما لنا ديننا ولكم دينكم والثاني لنا حلمنا ولكم سفهكم
سلام عليكم قال الزجاج لم يريدوا التحية وانما ارادوا بيننا وبينكم المتاركة وهذا قبل ان يؤمر المسلمون

بالقتال وذكر المفسرون ان هذا منسوخ بآية السيف
وفي قوله لا نبتغي الجاهلين ثلاثة اقوال
احدها لا نبتغي دين الجاهلين والثاني لا نطلب مجاورتهم والثالث لا نريد ان نكون جهالا

(٢٣٠/٦)

إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين
قوله تعالى إنك لا تهدي من أحببت قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين التوبة وقد روى مسلم فيما انفرد به عن البخاري من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعمه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال لولا أن تعيرني نساء قريش يقلن إنما حمله على ذلك الجزع لأ قررت بها عينك فأنزل الله عز و جل إنك لا تهدي من أحببت قال الزجاج اجمع المفسرون انها نزلت في ابي طالب

(٢٣١/٦)

وفي قوله من أحببت قولان
أحدهما من أحببت هدايته والثاني من أحببته لقرابته
ولكن الله يهدي من يشاء أي يرشد لدينه من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أي من قدر له الهدى
قوله تعالى وقالوا ان نتبع الهدى معك قال ابن عباس في رواية العوفي هم ناس من قريش قالوا ذلك وقال في رواية ابن ابي مليكة ان الحارث بن عامر بن نوفل قال ذلك وذكر مقاتل ان الحارث بن عامر قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكن يمنعنا ان نتبع الهدى معك مخافة ان تتخطفنا العرب من ارضنا يعنون مكة ومعنى الاية ان اتبعناك على دينك خفنا العرب لمخالفتنا اياها والتخطف الانتزاع بسرعة فرد الله عليهم قولهم فقال أو لم نمكن لهم حرما أي أو لم نسكنهم

(٢٣٢/٦)

حرما ونجعله مكانا لهم ومعنى آمنا ذو أمن يأمن فيه الناس وذلك أن العرب كان يغير بعضها على بعض وأهل مكة آمنون في الحرم من القتل والسبي والغارة أي فكيف يخافون إذا أسلموا وهم في حرم آمن يجبي قرأ نافع تجبي بالتاء أي تجمع إليه وتحمل من كل النواحي الثمرات رزقا من لدنا أي من عندنا ولكن أكثرهم يعني أهل مكة لا يعلمون أن الله هو الذي فعل بهم ذلك فيشكرونه ومعنى الآية إذا كنتم آمنين في حرمي تأكلون رزقي وتعبدون غيري فكيف تخافون إذا عبدتموني وآمنتم بي ثم خوفهم عذاب الأمم الخالية فقال وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها قال الزجاج معيشتها منصوبة باسقاط في والمعنى بطرت في معيشتها والبطر الطغيان في النعمة قال عطاء عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام

قوله تعالى فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافرون ومار الطريق يوما أو ساعة والمعنى لم تسكن من بعدهم إلا سكونا قليلا وكنا نحن الوارثين أي لم يخلفهم أحد بعد هلاكهم في منازلهم فبقيت خرابا غير مسكونة

وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين

وما كان ربك مهلك القرى يعني القرى الكافر أهلها حتى يبعث

(٢٣٣/٦)

في أمها أي في أعظمها رسولا وإنما خص الأعظم ببعثة الرسول لأن الرسول إنما يبعث إلى الأشراف وأشراف القوم ملوكهم وإنما يسكنون المواضع التي هي أم ما حولها وقال قتادة أم القرى مكة والرسول محمد

قوله تعالى يتلو عليهم آياتنا قال مقاتل يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا

قوله تعالى وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون أي بظلمهم أهلكهم وظلمهم شركهم وما أوتيتم من شئ أي ما أعطيتم من مال وخير فمتاع الحياة الدنيا تتمتعون به ايام حياتكم ثم يفنى وينقضي وما عند الله من الثواب خير وأبقى أفضل وأدوم لأهله أفلا تعقلون ان الباقي أفضل من الفاني

قوله تعالى أفمن وعدناه وعدا حسنا اختلف فيمن نزلت على أربعة أقوال أحدها أنها نزلت في رسول الله ص وأبي جهل والثاني في علي وحمزة عليهما السلام وأبي جهل والقولان مرويان عن مجاهد والثالث في المؤمن والكافر قاله قتادة والرابع في عمار والوليد بن المغيرة قاله السدي

(٢٣٤/٦)

وفي الوعد الحسن قولان أحدهما الجنة والثاني النصر
قوله تعالى فهو لاقيه أي مصيبه ومدركه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا أي كمن هو ممتع بشئ يفنى ويزول عن قريب ثم هو يوم القيامة من المحضرين فيه قولان أحدهما من المحضرين في عذاب الله قاله قتادة والثاني من المحضرين للجزاء حكاه الماوردي ويوم يناديهم فيقول أين شركاءي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين
قوله تعالى ويوم يناديهم أي ينادي الله تعالى المشركين يوم القيامة فيقول أين شركائي هذا على حكاية قولهم والمعنى أين شركائي في قولكم قال الذين حق عليهم أي وجب عليهم العذاب وهم رؤساء الضلالة

(٦/٢٣٥)

وفيهم قولان أحدهما أنهم رؤوس المشركين والثاني أنهم الشياطين ربنا هؤلاء الذين أغوينا يعنون الأتباع اغويناهم كما غوينا أي أضللناهم كما ضللنا تبرأنا إليك أي تبرأنا منهم إليك والمعنى أنهم يتبرأ بعضهم من بعض ويصيرون أعداءا وقيل لكفار بني آدم ادعوا شركاءكم أي استغيثوا بآلهتكم لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم أي فلم يجيبوهم إلى نصرهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون قال الزجاج جواب لو محذوف والمعنى لو انهم كانوا يهتدون لما اتبعوهم ولما رأوا العذاب
قوله تعالى ويوم يناديهم أي ينادي الله الكفار ويسألهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء وقرأ أبو رزين العقيلي وقتادة وأبو العالية وأبو المتوكل وعاصم الجحدري فعميت برفع العين وتشديد الميم قال المفسرون خفيت عليهم الحجج وسميت أنباء لأنها اخبار يخبر بها قال ابن قتيبة والمعنى عموا عنها من شدة الهول فلم يجيبوا والأنباء هاهنا الحجج
قوله تعالى فهم لا يتساءلون فيه ثلاثة أقوال أحدها لا يسأل بعضهم بعضا عن الحجة قاله الضحاك والثاني أن المعنى سكتوا فلا يتساءلون في تلك الساعة قاله الفراء والثالث لا يسأل بعضهم بعضا أن يحمل عنه شيئا من ذنوبه حكاه الماوردي
فأما من تاب من الشرك وآمن أي صدق بتوحيد الله وعمل صالحا أدى الفرائض فعسى أن يكون من المفلحين وعسى من الله واجب

(٢٣٦/٦)

وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهوالله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون
قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار روى العوفي عن ابن عباس في قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار قال كانوا يجعلون لآلهتهم خير أموالهم في الجاهلية وقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة حين قال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الزخرف والمعنى أنه لا تبعث الرسل باختيارهم قال الزجاج والوقف الجيد على قوله ويختار وتكون ما نفيا والمعنى ليس لهم أن يختاروا على الله ويجوز أن تكون ما بمعنى الذي فيكون المعنى ويختار الذي لهم فيه الخيرة مما يتعبدهم به ويدعوهم إليه قال الفراء والعرب تقول لما تختاره أعطني الخيرة والخيرة والخيرة قال ثعلب كلها لغات
قوله تعالى ما تكن صدورهم أي ما تخفي من الكفر والعداوة وما يعلنون بألسنتهم

(٢٣٧/٦)

قوله تعالى له الحمد في الأولى والآخرة أي يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الجنة وله الحكم وهو الفصل بين الخلائق والسرمد الدائم قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول أين شركاءي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون
قوله تعالى أفلا تسمعون أي سماع فهم وقبول فتستدلوا بذلك على وحدانية الله تعالى ومعنى تسكنون فيه تستريحون من الحركة والنصب أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ والضلالة ثم أخبر أن الليل والنهار رحمة منه وقوله لتسكنوا فيه يعني في الليل ولتبتغوا من فضله أي لتلتمسوا من رزقه بالمعاش في النهار ولعلكم تشكرون الذي أنعم عليكم بهما
قوله تعالى ونزعنا من كل أمة شهيدا أي أخرجنا من كل أمة رسولها الذي يشهد عليها بالتبليغ فقلنا هاتوا برهانكم أي حجتكم على ما كنتم تعبدون من دوني فعلموا أن الحق لله أي علموا أنه لا إله إلا هو وضل عنهم أي بطل في الآخرة ما كانوا يفترون في الدنيا من الشركاء

(٢٣٨/٦)

إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين

قوله تعالى إن قارون كان من قوم موسى أي من عشيرته وفي نسبه إلى موسى ثلاثة أقوال

أحدها أنه كان ابن عمه رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال عبد الله بن الحارث وإبراهيم وابن جريج

والثاني ابن خالته رواه عطاء عن ابن عباس

والثالث انه كان عم موسى قاله ابن إسحاق

قال الزجاج قارون اسم أعجمي لا ينصرف ولو كان فاعولا من العربية من قرنت الشئ لا نصرف

قوله تعالى فبغى عليهم فيه خمسة أقوال أحدها أنه جعل لبغي جعلا على أن تقذف موسى بنفسها ففعلت فاستحلفها موسى على ما قالت فأخبرته بقصتها فكان هذا بغيه قاله ابن عباس والثاني أنه بغى بالكفر بالله تعالى قاله الضحاك والثالث بالكبر قاله قتادة والرابع أنه زاد في طول ثيابه شبرا قاله عطاء الخراساني وشهر بن حوشب والخامس أنه كان يخدم فرعون فتعدى على بني إسرائيل وظلمهم حكاه الماوردي

(٢٣٩/٦)

وفي المراد بمفاتحه قولان

أحدهما أنها مفاتيح الخزائن التي تفتح بها الأبواب قاله مجاهد وقتادة وروي الأعمش عن خيثمة قال كانت مفاتيح قارون وقر ستين بغلا وكانت من جلود كل مفتاح مثل الإصبع

والثاني أنها خزائنه قاله السدي وأبو صالح والضحاك قال الزجاج وهذا الأشبه أن تكون مفاتحه خزائن ماله وإلى نحو هذا ذهب ابن قتيبة قال ابو صالح كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا

قوله تعالى لتنوء بالعصبة أي تثقلهم وتميلهم ومعنى الكلام لتنئ العصبة فلما دخلت الباء في العصبة انفتحت التاء كما تقول هذا يذهب بالأبصار وهذا يذهب الأبصار وهذا اختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج في آخرين وقال بعضهم هذا من المقلوب وتقديره ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه كما يقال إنها لتنوء بها عجيزتها أي هي تنوء بعجيزتها وأنشدوا ... فديت بنفسه نفسي ومالي ... وما آلوك إلا ما أطيق ...

أي فديت بنفسي وبمالي نفسه وهذا اختيار ابي عبيدة والأخفش وقد بينا معنى العصبة في سورة يوسف

وفي المراد بها ها هنا ستة أقوال أحدها أربعون رجلا رواه العوفي عن ابن عباس والثاني ما بين الثلاثة

إلى العشرة رواه الضحاك عن ابن عباس والثالث خمسة عشر قاله مجاهد والرابع فوق العشرة إلى الأربعين قاله قتادة والخامس سبعون رجلا قاله ابو صالح والسادس ما بين الخمسة عشر إلى الأربعين حكاه الزجاج

(٦/٢٤٠)

قوله تعالى إذ قال له قومه في القائل له قولان أحدهما أنهم المؤمنون من قومه قاله السدي والثاني أنه قول موسى له حكاه الماوردي

قوله تعالى لا تفرح قال ابن قتيبة المعنى لا تأشر ولا تبطر قال الشاعر ... ولست بمفراح إذا الدهر سرني ... ولا جازع من صرفه المتحول ...

أي لست بأشر فأما السرور فليس بمكروه إن الله لا يحب الفرحين وقرأ أبو رجاء وأبو حيوة وعاصم الجحدري وابن أبي عبلة الفارحين بألف

قوله تعالى وابتغ فيما آتاك الله أي اطلب فيما أعطاك الله من الأموال وقرأ أبو المتوكل وابن السميفع واتبع بتشديد التاء وكسر الباء بعدها وعين ساكنة غير معجمة الدار الآخرة وهي الجنة وذلك يكون بانفاقه في رضى الله تعالى وشكر المنعم به ولا تنس نصيبك من الدنيا فيه ثلاثة أقوال أحدها أن يعمل في الدنيا للآخرة قاله ابن عباس ومجاهد والجمهور والثاني أن يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه قاله الحسن والثالث أن يستغني بالحلال عن الحرام قاله قتادة

وفي معنى وأحسن كما أحسن الله إليك ثلاثة أقوال حكاها الماوردي أحدها أعط فضل مالك كما زادك على قدر حاجتك والثاني أحسن فيما

(٦/٢٤١)

افترض عليك كما أحسن في إنعامه إليك والثالث أحسن في طلب الحلال كما أحسن إليك في الإحلال

قوله تعالى ولا تبغ الفساد في الأرض فتعمل فيها بالمعاصي قال إنما أوتيته على علم عندي او لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون

قوله تعالى إنما أوتيته يعني المال على علم عندي فيه خمسة أقوال

أحدها على علم عندي بصنعة الذهب رواه أبو صالح عن ابن عباس قال الزجاج وهذا لا أصل له لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له والثاني برضى الله عني قاله ابن زيد والثالث على خير علمه الله عندي قاله

مقاتل والرابع إنما أعطيته لفضل علمي قاله الفراء قال الزجاج ادعى أنه أعطي المال لعلمه بالتوراة والخامس على علم عندي بوجوه المكاسب حكاه الماوردي

(٦/٢٤٢)

قوله تعالى أولم يعلم يعني قارون أن الله قد أهلك بالعذاب من قبله من القرون في الدنيا حين كذبوا رسلهم من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا للأموال

وفي قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ثلاثة أقوال أحدها لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم وإن سئلوا سؤال توبيخ قاله الحسن والثاني أن الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا تسألهم عن ذنوبهم قاله مجاهد والثالث يدخلون النار بغير حساب قاله قتادة وقال السدي يعذبون ولا يسألون عن ذنوبهم

فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقها إلا الصابرون

قوله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الحسن في ثياب حمر وصفر وقال عكرمة في ثياب معصفرة وقال وهب بن منبه خرج على بغلة شهباء عليها سرج أحمر من أرجوان ومعه أربعة آلاف مقاتل وثلاثمائة وصيفة عليهن الحلي والزينة على بغال بيض قال الزجاج الأرجوان في اللغة صبغ أحمر

قوله تعالى لذو حظ أي لذو نصيب وافر من الدنيا

وقوله وقال الذين أوتوا العلم قال ابن عباس يعني الأحبار من بني إسرائيل وقال مقاتل الذين أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة قالوا للذين تمنوا ما أوتي قارون ويلكم ثواب الله أي ما عنده من الجزاء خير لمن آمن مما أعطي قارون

(٦/٢٤٣)

قوله تعالى ولا يلقاها قال أبو عبيدة لا يوفق لها ويرزقها وقرأ أبي بن كعب وابن أبي عبلة ولا يلقاها بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف وفي المشار إليها ثلاثة أقوال

أحدها أنها الأعمال الصالحة قاله مقاتل والثاني أنها الجنة والمعنى لا يعطاها في الآخرة إلا الصابرون على أمر الله قاله ابن السائب

والثالث أنها الكلمة التي قالوها وهي قولهم ثواب الله خير قاله الفراء

فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا

لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون
قوله تعالى فخسفنا به وبداره الأرض لما أمر قارون البغي

(٢٤٤/٦)

بقذف موسى على ما سبق شرحه القصص غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله تعالى إليه إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها فقال موسى يا أرض خذيه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى ذلك ناشده بالرحم فقال خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه فما زال يقول خذيه حتى غيبته فأوحى الله تعالى إليه يا موسى ما أفظك وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته قال ابن عباس فخسفت به الأرض إلى الأرض السفلى وقال سمرة بن جندب إنه يخسف به كل يوم قامة فتبلغ به الأرض السفلى يوم القيامة وقال مقاتل فلما هلك قارون قال بنو إسرائيل إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فخسف الله بداره وماله بعده بثلاثة ايام
قوله تعالى ينصرونه من دون الله أي يمنعونه من الله وما كان من المنتصرين أي من الممتنعين مما نزل به ثم أعلمنا أن المتمنين مكانه ندموا على ذلك التمني بالآية التي تلي هذه

(٢٤٥/٦)

وقوله لخسف بنا الأكثرون على ضم الخاء وكسر السين وقرأ يعقوب والوليد عن ابن عامر وحفص وأبان عن عاصم بفتح الخاء والسين
فأما قوله ويك فقال ابن عباس معناه ألم تر وكذلك قال أبو عبيده والكسائي وقال الفراء ويك ان في كلام العرب تقرير كقول الرجل أما ترى إلى صنع الله وإحسانه أنشدني بعضهم ... ويك أن من يكن له نشب يح ... بب ومن يفتقر يعش عيش ضر ...
وقال ابن الأنباري في قوله ويك أنه ثلاثة أوجه
إن شئت قلت ويك حرف وأنه حرف والمعنى ألم تر أنه والدليل على هذا قول الشاعر ... سألتاني الطلاق أن رأتاني ... قل مالي قد جئتماني بنكر ... ويك أن من يكن له نشب يح ... بب ومن يفتقر يعش عيش ضر ...
والثاني ان يكون ويك حرفا وأنه حرفا والمعنى ويلك اعلم أنه فحذفت اللام كما قالوا قم لا اباك يريدون لا أبالك وأنشدوا ... أبالموت الذي لا بد أني ... ملاق لا أباك تخوفيني ...
أراد لا أبالك فحذف اللام

(٢٤٦/٦)

والثالث أن يكون وي حرفا وكأنه حرفا فيكون معنى وي التعجب كما تقول وي لم فعلت كذا كذا ويكون معنى كأنه أظنه وأعلمه كما تقول في الكلام كأنك بالفرج قد أقبل فمعناه أظن الفرج مقبلا وإنما وصلوا الياء بالكاف في قوله ويكأنه لأن الكلام بهما كثر كما جعلوا يا ابن أم في المصحف حرفا واحدا وهما حرفان طه وكان جماعة منهم يعقوب يقفون على ويك في الحرفين ويبتدؤون أن وأنه في الموضعين

وذكر الزجاج عن الخليل أنه قال وي مفصولة من كأن وذلك أن القوم تندموا فقالوا وي متندمين على ما سلف منهم وكل من ندم فأظهر ندامته قال وي وحكى ابن قتيبة عن بعض العلماء أنه قال معنى ويكأن رحمة لك بلغة حمير

قوله تعالى لولا أن من الله علينا أي بالرحمة والمعافاة والإيمان لخسف بنا

(٢٤٧/٦)

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيآت إلا ما كانوا يعملون

قوله تعالى تلك الدار الآخرة يعني الجنة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض وفيه خمسة أقوال احدها أنه البغي قاله سعيد بن جبير والثاني الشرف والعز قاله الحسن والثالث الظلم قاله الضحاك والرابع الشرك قاله يحيى بن سلام والخامس الاستكبار عن الإيمان قاله مقاتل

قوله تعالى ولا فسادا فيه قولان أحدهما العمل بالمعاصي قاله عكرمة والثاني الدعاء إلى غير عبادة الله قاله ابن السائب

قوله تعالى والعاقبة للمتقين أي العاقبة المحمودة لهم

قوله تعالى من جاء بالحسنة قد فسرناه في سورة النمل

(٢٤٨/٦)

قوله تعالى فلا يجزي الذين عملوا السيئات يريد الذين اشركوا إلا ما كانوا يعملون أي إلا جزاء عملهم من الشرك وجزاؤه النار

إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما

كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولاتكونن من المشركين ولاتدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون

قوله تعالى إن الذي فرض عليك القرآن قال مقاتل خرج رسول الله ص من الغار ليلا فمضى من وجهه إلى المدينة فسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع إلى الطريق فنزل الجحفة بين مكة والمدينة فعرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها وذكر مولده فأتاه جبريل فقال أتشتاق إلى بلدك ومولدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد فنزلت هذه الآية بالجحفة وفي معنى فرض عليك ثلاثة أقوال أحدها فرض عليك العمل

(٢٤٩/٦)

بالقرآن قاله عطاء بن أبي رباح وابن قتيبة والثاني أعطاك القرآن قاله مجاهد والثالث أنزل عليك القرآن قاله مقاتل والفراء وأبو عبيدة د

وفي قوله لرادك إلى معاد أربعة اقوال

أحدها إلى مكة رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد في رواية والضحاك قال ابن قتيبة معاد الرجل بلده لانه يتصرف في البلاد ويضرب في الأرض ثم يعود إلى بلده

والثاني إلى معادك من الجنة رواه عكرمة عن ابن عباس وبه قال الحسن والزهري فإن اعترض على هذا فقيل الرد يقتضي أنه قد كان فيما رد إليه فعنه ثلاثة أجوبة أحدها أنه لما كان أبوه آدم في الجنة ثم أخرج كان كأن ولده أخرج منها فاذا دخلها فكأنه أعيد والثاني أنه دخلها ليلة المعراج فاذا دخلها يوم القيامة كان ردا إليها ذكرهما ابن جرير والثالث أن العرب تقول رجع الأمر إلى كذا وإن لم يكن له كون فيه قط وأنشدوا ... وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد إذ هو ساطع ...

وقد شرحنا هذا في قوله وإلى الله ترجع الأمور البقرة

(٢٥٠/٦)

والثالث لرادك إلى الموت رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال أبو سعيد الخدري

والرابع لرادك إلى القيامة بالبعث قاله الحسن والزهري ومجاهد في رواية والزجاج

ثم ابتدأ كلاما يرد به على الكفار حين نسبوا النبي ص إلى الضلال فقال قل ربي أعلم من جاء بالهدى والمعنى قد علم أني جئت بالهدى وأنكم في ضلال مبين ثم ذكره نعمه فقال وما كنت ترجو أن يلقى

إليك الكتاب أي ان تكون نبيا وأن يوحى إليك القرآن إلا رحمة من ربك قال الفراء هذا استثناء منقطع والمعنى إلا أن ربك رحمك فأنزله عليك فلا تكونن ظهيرا للكافرين أي عونا لهم على دينهم وذلك أنهم دعوه إلى دين آبائه فأمر بالاحتراز منهم والخطاب بهذا وأمثاله له والمراد أهل دينه لئلا يظاهروا الكفار ولا يوافقوهم

قوله تعالى كل شئ هالك إلا وجهه فيه قولان

(٢٥١/٦)

أحدهما إلا ما أريد به وجهه رواه عطاء عن ابن عباس وبه قال الثوري والثاني إلا هو قاله الضحاك وأبو عبيدة

قوله تعالى له الحكم أي الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره وإليه ترجعون في الآخرة

(٢٥٢/٦)

سورة العنكبوت

فصل في نزولها

روى العوفي عن ابن عباس أنها مكية وبه قال الحسن وقتادة وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل وفي رواية عن ابن عباس أنها مدنية وقال هبة الله ابن سلامة المفسر نزل من اولها إلى رأس العشر بمكة وباقيها بالمدينة وقال غيره عكس هذا نزل العشر بالمدينة وباقيها بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئآت أن يسبقونا ساء ما يحكمون

قوله تعالى آلم أحسب الناس أن يتركوا في سبب نزولها ثلاثة أقوال

(٢٥٣/٦)

أحدها أنه لما أمر بالهجرة كتب المسلمون إلى إخوانهم بمكة أنه لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا نحو المدينة فأدركهم المشركون فردوهم فأنزل الله عز و جل من أول هذه السورة عشر آيات فكتبوا إليهم يخبرونهم بما نزل فيهم فقالوا نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه فخرجوا فاتبعهم المشركون

فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله عز و جل فيهم ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا النحل هذا قول الحسن والشعبي

والثاني أنها نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله عز و جل قاله عبد الله بن عبيد بن عمير

والثالث أنها نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب حين قتل ببدر فجزع عليه أبواه وامرأته فأنزل الله تعالى في أبويه وامرأته هذه الآية

قوله تعالى أحسب الناس قال ابن عباس يريد بالناس الذين آمنوا بمكة كعياش بن ابي ربيعة وعمار بن ياسر وسلمة بن هشام وغيرهم

قال الزجاج لفظ الآية استخبار ومعناه معنى التقرير والتوبيخ والمعنى أحسب الناس أن يتركوا بأن يقولوا آمنا ولأن يقولوا آمنا أي أحسبوا أن يقنع منهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط ولا يمتحنون بما يبين

(٦/٢٥٤)

حقيقة إيمانهم وهم لا يفتنون أي لا يختبرون بما يعلم به صدق إيمانهم من كذبه

وللمفسرين فيه قولان أحدهما لا يفتنون في أنفسهم بالقتل والتعذيب قاله مجاهد والثاني لا يبتلون بالأوامر والنواهي

قوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم أي ابتليناهم واختبرناهم فليعلمن الله فيه ثلاثة أقوال

أحدهما فليرين الله الذين صدقوا في إيمانهم عند البلاء إذا صبروا لقضائه وليرين الكاذبين في إيمانهم إذا شكوا عند البلاء قاله مقاتل

والثاني فليميزن لأنه قد علم ذلك من قبل قاله ابو عبيدة

والثالث فليظهرن ذلك حتى يوجد معلوما حكاه الثعلبي

وقرأ علي بن أبي طالب وجعفر بن محمد فليعلمن الله وليعلمن الكاذبين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين العنكبوت بضم الياء وكسر اللام

قوله تعالى أم حسب أي أيحسب الذين يعملون السيئات

(٦/٢٥٥)

يعني الشرك أن يسبقونا أي يفوتونا ويعجزونا ساء ما يحكمون أي بئس ما حكموا لانفسهم حين ظنوا ذلك قال ابن عباس عنى بهم الوليد ابن المغيرة وابا جهل والعاص بن هشام وغيرهم

من كان يرجوا لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني

عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون
قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله قد شرحناه في آخر الكهف فإن أجل الله لآت يعني الأجل المضروب للبعث والمعنى فليعمل لذلك اليوم وهو السميع لما يقول العليم بما يعمل ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه أي إن ثوابه إليه يرجع
قوله تعالى لنكفرن عنهم سيآتهم أي لنبطلنها حتى تصير بمنزلة مالم يعمل ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة ولا نجزيهم بمساوئ أعمالهم
ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
قوله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وقرأ ابي بن كعب وأبو مجلز وعاصم الجحدري إحسانا بألف وقرأ ابن مسعود وأبو رجاء حسنا بفتح الحاء والسين

(٢٥٦/٦)

روى أبو عثمان النهدي عن سعد ابن أبي وقاص قال في أنزلت هذه الآية كنت رجلا برا بأمي فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت لتدعن دينك هذا أولا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه قلت لا تفعلي يا أماه إني لا أدع ديني هذا لشئ قال فمكثت يوما وليلة لا تأكل فأصبحت قد جهدت ثم مكثت يوما آخر وليلة لا تأكل فلما رأيت ذلك قلت تعلمين والله ياأماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشئ فكلي وإن شئت لا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت فأنزلت هذه الآية وقيل أنها نزلت في عياش بن ابي ربيعة وقد جرى له مع أمه نحو هذا وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية والتي في لقمان وفي الأحقاف نزلن في قصة سعد

(٢٥٧/٦)

قال الزجاج من قرأ حسنا فمعناه ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن ومن قرأ إحسانا فمعناه ووصينا الإنسان أن يحسن إلى والديه وكان حسنا أعم في البر
وإن جاهداك قال أبو عبيدة مجاز هذا الكلام مجاز المختصر الذي فيه ضمير والمعنى وقلنا له وإن جاهداك
قوله تعالى لتشرك بي معناه لتشرك بي شريكا لا تعلمه لي وليس لأحد بذلك علم فلا تطعهما
قوله تعالى لندخلنهم في الصالحين أي في زمرة الصالحين في الجنة وقال مقاتل في بمعنى مع

ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين

قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال

أحدها أنها نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون إلى بدر فارتدوا رواه عكرمة عن ابن عباس

والثاني نزلت في قوم كانوا يؤمنون بألسنتهم فاذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم وأموالهم افتتنوا قاله مجاهد

والثالث نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فاذا أوذوا وأصابهم بلاء من المشركين رجعوا إلى الشرك قاله الضحاك

والرابع أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة كان أسلم فخاف على نفسه من أهله وقومه فخرج من مكة هاربا إلى المدينة وذلك قبل قدوم رسول الله ص إلى المدينة فجزعت أمه فقالت لأخويه ابي جهل والحارث ابني هشام وهما أخواه لأمه والله لا آوي بيتا ولا آكل طعاما ولا أشرب شرابا حتى تأتياني به فخرجا في طلبه فظفرا به فلم يزالا به حتى تابعهما وجاءا به إليها فقيدته وقالت والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بمحمد ثم أقبلت تجلده بالسياط وتعذبه حتى كفر بمحمد عليه السلام جزعا من الضرب فنزلت فيه هذه الآية ثم هاجر بعد وحسن إسلامه هذا قول ابن السائب ومقاتل وفي رواية عن مقاتل أنهما جلداه في الطريق مائتي جلدة فتبرأ من دين محمد فنزلت هذه الآية

قوله تعالى فإذا أوذي في الله أي ناله أذى أو عذاب بسبب إيمانه جعل فتنة الناس أي ما يصيبه من عذابهم في الدنيا كعذاب الله في

الآخرة وإنما ينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذى في الله تعالى لما يرجو من ثوابه ولئن جاء نصر من ربك يعني دولة للمؤمنين ليقولن يعني المنافقين للمؤمنين إنا كنا معكم على دينكم فكذبهم الله عز و جل وقال أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين من الإيمان والنفاق وقد فسرنا الآية التي تلي هذه في أول السورة

وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ إنهم

لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون

قوله تعالى

أتبعوا سبيلنا يعنون ديننا قال مجاهد هذا قول كفار قريش لمن آمن من اهل مكة قالوا لهم لا نبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا فان كان عليكم شئ فهو علينا

قوله تعالى ولنحمل خطاياكم قال الزجاج هو امر في تأويل الشرط والجزاء يعني إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم وقال الأخفش كأنهم أمروا أنفسهم بذلك وقرأ الحسن ولنحمل بكسر اللام قال ابن قتيبة الواو زائدة والمعنى لنحمل خطاياكم

قوله تعالى إنهم لكاذبون أي فيما ضمنوا من حمل خطاياهم

(٢٦٠/٦)

قوله تعالى وليحملن أثقالهم أي أوزار أنفسهم وأثقالا مع أثقالهم أي اوزارا مع اوزارهم وهي أوزار الذين أضلوهم وهذا كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم النحل وليسألن يوم القيامة سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يفترون من الكذب على الله عز و جل وقال مقاتل عن قولهم نحن الكفلاء بكل تبعة تصيبكم من الله عز و جل

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين

قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه في هذه القصة تسلية للنبي ص حيث أعلم أن الأنبياء قد ابتلوا قبله وفيها وعيد شديد لمن أقام على الشرك فانهم وإن أمهلوا فقد أمهل قوم نوح أكثر ثم أخذوا

قوله تعالى فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما اختلفوا في عمر نوح على خمسة أقوال

أحدها بعث بعد أربعين سنة وعاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنة رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس

والثاني أنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما وعاش بعد ذلك سبعين عاما فكان مبلغ عمره ألف سنة وعشرين سنة قاله كعب الأحبار

(٢٦١/٦)

والثالث أنه بعث وهو ابن خمسين وثلاثمائة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة قاله عون بن ابي شداد

والرابع أنه لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة ودعاهم ثلاثمائة سنة ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة قاله قتادة وقال وهب ابن منبه بعث لخمسين سنة

والخامس أن هذه الآية بينت مقدار عمره كله حكاه الماوردي

فإن قيل ما فائدة قوله إلا خمسين عاما فهلا قال تسعمائة وخمسين

فالجواب ان المراد به تكثير العدد وذكر الألف أفخم في اللفظ وأعظم للعدد

قال الزجاج تأويل الاستثناء في كلام العرب التوكيد تقول جاءني إخوتك إلا زيدا فتؤكد أن الجماعة جاؤوا وتنقص زيدا واستثناء نصف الشئ قبيح جدا لا تتكلم به العرب وإنما تتكلم بالاستثناء كما تتكلم بالنقصان تقول عندي درهم ينقص قيراطا فلو قلت ينقص نصفه كان الاولى ان تقول عندي نصف درهم ولم يأت الاستثناء في كلام العرب إلا قليل من كثير

قوله تعالى فأخذهم الطوفان فيه ثلاثة أقوال

أحدها الموت روت عائشة عن رسول الله ص في قوله فأخذهم الطوفان قال الموت

والثاني المطر قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة قال ابن قتيبة هو المطر الشديد

والثالث الغرق قاله الضحاك

قال الزجاج الطوفان من كل شئ ما كان كثيرا مطيفا بالجماعة كلها فالغرق الذي يشتمل على المدن الكثيرة طوفان وكذلك القتل الذريع والموت الجارف طوفان

قوله تعالى وهم ظالمون قال ابن عباس كافرون

قوله تعالى وجعلناها يعني السفينة قال قتادة أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي قال ابو سليمان الدمشقي وجائز ان يكون اراد الفعلة التي فعلها بهم من الغرق آية أي عبرة للعالمين بعدهم

وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين

قوله تعالى وإبراهيم قال الزجاج هو معطوف على نوح والمعنى أرسلنا إبراهيم

قوله تعالى ذلكم يعني عبادة الله خير لكم من عبادة الأوثان

إن كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم والمعنى ولكنكم لا تعلمون إنما تعبدون من دون الله أوثانا قال الفراء إنما في هذا الموضع حرف واحد وليست على معنى الذي وقوله وتخلقون إفكا مردود على إنما كقولك أنما تفعلون كذا وإنما تفعلون كذا وقال مقاتل الأوثان الأصنام قال ابن قتيبة واحدها وثن وهو ما كان من حجارة أو جص

قوله تعالى وتخلقون إفكا وقرأ ابن السميفع وأبو المتوكل وتختلقون بزيادة تاء ثم فيه قولان أحدهما تختلقون كذبا في زعمكم أنها آلهة والثاني تصنعون الأصنام والمعنى تعبدون أصناما أنتم تصنعونها ثم بين عجزهم بقوله لا يملكون لكم رزقا أي لا يقدرون على أن يرزقوكم فابتغوا عند الله الرزق أي فاطلبوا من الله فانه القادر على ذلك

قوله تعالى وإن تكذبوا هذا تهديد لقريش فقد كذب أمم من قبلكم والمعنى فأهلكوا أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شئ قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم

أولم يروا قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر

يروا بالياء وقرأ حمزة والكسائي بالتاء وعن عاصم كالقراءتين وعنى بالكلام كفار مكة كيف يبدئ الله الخلق أي كيف يخلقهم ابتداء من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى أن يتم الخلق ثم يعيده أي ثم هو يعبده في الآخرة عند البعث وقال أبو عبيدة مجازه أولم يروا كيف استأنف الله الخلق الاول ثم يعيده وفيه لغتان أبدأ وأعاد وكان مبدئا ومعيدا وبدأ وعاد وكان بادئا وعائدا

قوله تعالى إن ذلك على الله يسير يعني الخلق الأول والخلق الثاني

قوله تعالى قل سيروا في الأرض أي انظروا إلى المخلوقات التي في الأرض وابحثوا عنها هل تجدون لها خالقا غير الله فاذا علموا أنه لا خالق لهم سواه لزمتهم الحجة في الإعادة وهو قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة أي ثم الله ينشئهم عند البعث نشأة أخرى وأكثر القراء فرؤوا النشأة بتسكين الشين وترك المد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة بالمد

قوله تعالى يعذب من يشاء فيه قولان

أحدهما أنه في الآخرة بعد إنشائهم

والثاني أنه في الدنيا ثم فيه خمسة أقوال حكاها الماوردي أحدها يعذب من يشاء بالحرص ويرحم من

يشاء بالقناعة والثاني يعذب بسوء الخلق ويرحم بحسن الخلق والثالث يعذب بمتابعة البدعة ويرحم بملازمة السنة والرابع يعذب بالانقطاع إلى الدنيا ويرحم بالإعراض عنها والخامس يعذب من يشاء ببغض الناس له ويرحم من يشاء بحب الناس له

قوله تعالى وإليه تقلبون أي تردون وما أنتم بمعجزين في الأرض فيه قولان حكاهما الزجاج

(٢٦٥/٦)

أحدهما وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا أهل السماء بمعجزين في السماء

والثاني وما أنتم بمعجزين في الارض ولا لو كنتم في السماء وقال قطرب هذا كقولك ما يفوتني فلان لا هاهنا ولا بالبصرة أي ولا بالبصرة لو صار إليها قال مقاتل والخطاب لكفار مكة والمعنى لا تسبقون الله حتى يجزيكم بأعمالكم السيئة وما لكم من دون الله من ولي أي قريب ينفعكم ولا نصير يمنعكم من الله

قوله تعالى والذين كفروا بآيات الله ولقائه أي بالقرآن والبعث أولئك يئسوا من رحمتي في الرحمة قولان أحدهما الجنة قاله مقاتل والثاني العفو والمغفرة قاله أبو سليمان قال ابن جرير وذلك في الآخرة عند رؤية العذاب فما كان جواب قومه إلا ان قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين

ثم عاد الكلام إلى قصة إبراهيم وهو قوله فما كان جواب قومه أي حين دعاهم إلى الله ونهاهم عن الأصنام إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه وهذا بيان لسفه أحلامهم حين قابلوا احتجاجه عليهم بهذا

قوله تعالى فأنجاه الله المعنى فحرقوه فانجاه الله من النار

قوله تعالى إن في ذلك يشير إلى إنجائه إبراهيم

قوله تعالى وقال يعني إبراهيم إنما اتخذتم من دون الله أوثانا

(٢٦٦/٦)

مودة بينكم قرأ ابن كثير وأبو عمرو مودة بينكم بالرفع والإضافة قال الزجاج مودة مرفوعة باضمار هي كأنه قال تلك مودة بينكم أي ألفتكم واجتماعكم على الأصنام مودة بينكم والمعنى إنما أتخذتم هذه الأوثان لتتوادوا بها في الحياة الدنيا ويجوز أن تكون ما بمعنى الذي

وقرأ ابن عباس وسعيد بن المسيب وعكرمة وابن ابي عبلة مودة بالرفع بينكم بالنصب

وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم مودة بينكم قال ابو علي المعنى اتخذتم الأصنام للمودة

وبينكم نصب على الظرف والعامل فيه المودة
وقرأ حمزة وحفص عن عاصم مودة بينكم بنصب مودة مع الإضافة وهذا على الاتساع في جعل الظرف اسما لما أضيف إليه
قال المفسرون معنى الكلام إنما اتخذتموها لتتصل المودة بينكم واللقاء والاجتماع عندها وأنتم تعلمون أنها لا تضر ولا تنفع ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض أي يتبرأ القادة من الأتباع ويلعن بعضكم بعضا يلعن الأتباع القادة لانهم زينوا لهم الكفر فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه

(٢٦٧/٦)

إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين
قوله تعالى فآمن له لوط أي صدق بابراهيم وقال يعني إبراهيم إني مهاجر إلى ربي فيه قولان أحدهما إلى رضى ربي والثاني إلى حيث أمرني ربي فهاجر من سواد العراق إلى الشام وهجر قومه المشركين ووهبنا له إسحاق بعد إسماعيل ويعقوب من إسحاق وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وذلك أن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد إبراهيم إلا من صلبه وآتيناه أجره في الدنيا فيه أربعة أقوال
أحدها الذكر الحسن رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس والثاني الثناء الحسن والولد الصالح رواه أبو صالح عن ابن عباس والثالث العافية والعمل الحسن والثناء فلست تلقى أحدا من اهل الملل إلا يتولاه قاله قتادة والرابع أنه أري مكانه من الجنة قاله السدي
قوله تعالى وإنه في الآخرة لمن الصالحين قد سبق بيانه البقرة قال ابن جرير له هناك جزاء الصالحين غير منقوص من الآخرة بما أعطي في الدنيا من الأجر وما بعد هذا قد سبق بيانه الأعراف إلى قوله وتقطعون السبيل وفيه ثلاثة أقوال
أحدها أنهم كانوا يعترضون من مر بهم لعملهم الخبيث قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثاني أنهم كانوا إذا جلسوا في مجالسهم يرمون ابن السبيل بالحجارة فيقطعون سبيل المس قاله مقاتل
والثالث أنه قطع النسل للعدول عن النساء إلى الرجال حكاه الماوردي

(٢٦٨/٦)

قوله تعالى وتأتون في ناديكم المنكر قال ابن قتيبة النادي المجلس والمنكر يجمع الفواحش من القول والفعل

وللمفسرين في المراد بهذا المنكر اربعة أقوال

أحدها أنهم كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم فذلك المنكر روته أم هانئ بنت أبي طالب عن رسول الله ص وقال عكرمة والسدي كانوا يحذفون كل من مر بهم

والثاني لف القميص على اليد وجر الإزار وحل الأزرار والحذف والرمي بالبندق ولعب الحمام والصفير في خصال أخر رواها ميمون بن مهران عن ابن عباس

والثالث أنه الضراط رواه عروة عن عائشة وكذلك فسره القاسم ابن محمد

والرابع أنه إتيان الرجال في مجالسهم قاله مجاهد وقتادة وابن زيد

(٢٦٩/٦)

وهذه الآية تدل على أنه لا ينبغي للمجتمعين أن يتعاشروا إلا على ما يقرب من الله عز و جل ولا ينبغي ان يجتمعوا على الهزء واللعب

قوله تعالى رب انصرني أي بتصديق قولي في العذاب ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين قال إن فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا أمرأته كانت من الغابرين ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا أمرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون

قوله تعالى إنا مهلكو أهل هذه القرية يعنون قرية لوط

قوله تعالى لننجينه قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم لننجينه وإنا منجوك بتشديد الحرفين وخففهما حمزة والكسائي وروى أبوبكر عن عاصم لننجينه مشدده وإنا منجوك مخففة ساكنة النون وقد سبق شرح ما أخللنا بذكره هود إلى قوله إنا منزلون على اهل هذه القرية رجزا وهو الحصب والخسف

قوله تعالى ولقد تركنا منها في المكني عنها قولان

أحدهما أنها الفعلة التي فعل بهم فعلى هذا في الآية ثلاثة أقوال أحدها أنها الحجارة التي أدركت أوائل هذه الأمة قاله قتادة والثاني الماء الاسود على وجه الارض قاله مجاهد والثالث الخبر عما صنع بهم

(٢٧٠/٦)

والثاني أنها القرية فعلى هذا في المراد بالآية ثلاثة أقوال
أحدها أنها آثار منازلهم الخربة قاله ابن عباس
والثاني أن الآية في قريتهم إلى الآن أن أساسها أعلاها وسقوفها أسفلها حكاه ابو سليمان
والثالث أن المعنى تركناها آية تقول إن في السماء لآية تريد أنها هي الآية قاله الفراء وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجعوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جائمين
قوله تعالى وارجوا اليوم الآخر قال المفسرون اخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنكم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
قوله تعالى وعادا وثمود قال الزجاج المعنى وأهلكنا عادا وثمودا لان قبل هذا فأخذتهم الرجفة
قوله تعالى وقد تبين لكم من مساكنهم أي ظهر لكم يا أهل مكة

(٢٧١/٦)

من منازلهم بالحجاز واليمن آية في هلاكهم وكانوا مستبصرين قال الفراء أي ذوي بصائر وقال الزجاج أتوا ما أتوه وقد تبين لهم أن عاقبته عذابهم وقال غيره كانوا عند أنفسهم مستبصرين يظنون أنهم على حق
قوله تعالى وما كانوا سابقين أي ما كانوا يفوتون الله ان يفعل بهم ما يريد
قوله تعالى فكلا أخذنا بذنبه أي عاقبنا بتكذيبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا يعني قوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة يعني ثمودا وقوم شعيب ومنهم من خسفنا به الأرض يعني قارون وأصحابه ومنهم من أغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وما كان الله ليظلمهم فيعذبهم على غير ذنب ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالإقامة على المعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون
قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء يعني الأصنام يتخذها المشركون أولياء يرجون نفعها ونصرها فمثلهم في ضعف احتيالهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتا قال ثعلب والعنكبوت أنثى وقد يذكرها بعض العرب قال الشاعر

(٢٧٢/٦)

على هطالهم منهم بيوت ... كأن العنكبوت هو ابتناها ...

قوله تعالى إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ أي هو عالم بما عبدوه من دونه لا يخفى عليه ذلك والمعنى أنه يجازيهم على كفرهم وتلك الأمثال يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار وقيل إن تلك بمعنى هذه والعالمون الذين يعقلون عن الله عز و جل خلق الله السماوات والارض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين أتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون

خلق الله السماوات والأرض بالحق أي للحق ولإظهار الحق

قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر في المراد بالصلاة قولان

أحدهما أنها الصلاة المعروفة قاله الأكثرون وروى أنس بن مالك عن رسول الله ص أنه قال من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا

(٢٧٣/٦)

والثاني أن المراد بالصلاة القرآن قاله ابن عمر ويدل على هذا قوله ولا تجهر بصلاتك الاسراء وقد شرحنا معنى الفحشاء والمنكر فيما سبق البقرة النحل

وفي معنى هذه الآية للعلماء ثلاثة أقوال

أحدها أن الإنسان إذا أدى الصلاة كما ينبغي وتدبر ما يتلو فيها نهته عن الفحشاء والمنكر هذا مقتضاها وموجبها

والثاني أنها تنهاه ما دام فيها

والثالث أن المعنى ينبغي أن تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر

قوله تعالى ولذكر الله اكبر فيه أربعة أقوال

أحدها ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه رواه ابن عمر عن

(٢٧٤/٦)

رسول الله ص وبه قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في آخرين
والثاني ولذكر الله افضل من كل شئ سواه وهذا مذهب أبي الدرداء وسلمان وقتادة
والثالث ولذكر الله في الصلاة أكبر مما نهاك عنه من الفحشاء والمنكر قاله عبد الله بن عون
والرابع ولذكر الله العبد ماكان في صلاته أكبر من ذكر العبد لله قاله ابن قتيبة ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون
قوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن في التي هي أحسن ثلاثة أقوال أحدها أنها لا إله إلا الله رواه الضحاك عن ابن عباس والثاني أنها الكف عنهم إذا بذلوا الجزية فان أبوا قوتلوا قاله مجاهد والثالث أنها القرآن والدعاء إلى الله بالآيات والحجج
قوله تعالى إلا الذين ظلموا منهم وهم الذين نصبوا الحرب وأبوا أن يؤدوا الجزية فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية وقولوا

(٢٧٥/٦)

لمن أدى الجزية منهم إذا أخبركم بشئ مما في كتبهم آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم الآية وقد روى ابو هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ص لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم الآية
فصل
واختلف في نسخ هذه الآية على قولين

(٢٧٦/٦)

أحدهما أنها نسخت بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله إلى قوله وهم صاغرون التوبة قاله قتادة والكلبي
والثاني أنها ثابتة الحكم وهو مذهب ابن زيد وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون
قوله تعالى وكذلك أي وكما أنزلنا الكتاب عليهم أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به

يعني مؤمني أهل الكتاب ومن هؤلاء يعني أهل مكة من يؤمن به وهم الذين أسلموا وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون قال قتادة إنما يكون الجحد بعد المعرفة قال مقاتل وهم اليهود

قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب قال أبو عبيدة مجازة ما كنت تقرأ قبله كتابا ومن زائدة فأما الهاء في قبله فهي عائدة إلى القرآن والمعنى ما كنت قارئا قبل الوحي ولا كاتبا وهكذا كانت صفته في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب وهذا يدل على ان الذي جاء به من عند الله تعالى

(٢٧٧/٦)

قوله تعالى إذا لارتاب المبطلون أي لو كنت قارئا كاتبا لشك اليهود فيك ولقالوا ليست هذه صفته في كتابنا والمبطلون الذين يأتون بالباطل وفيهم ها هنا قولان أحدهما كفار قريش قاله مجاهد والثاني كفار اليهود قاله مقاتل

قوله تعالى بل هو آيات بينات في المكني عنه قولان

أحدهما أنه النبي محمد ص ثم في معنى الكلام قولان احدهما ان المعنى بل وجدان أهل الكتاب في كتبهم ان محمدا ص لا يكتب ولا يقرأ وأنه أمي آيات بينات في صدورهم وهذا مذهب ابن عباس والضحاك وابن جريج والثاني أن المعنى بل محمد ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته وصفته قاله قتادة

والثاني أنه القرآن والذين أوتوا العلم المؤمنون الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ص وحملوه بعده وإنما أعطي الحفظ هذه الأمة وكان من قبلهم لا يقرؤون كتابهم إلا نظرا فاذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه سوى الأنبياء وهذا قول الحسن

وفي المراد بالظالمين هاهنا قولان أحدهما المشركون قاله ابن عباس والثاني كفار اليهود قاله مقاتل وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم

(٢٧٨/٦)

يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون

قوله تعالى وقالوا يعني كفار مكة لولا أنزل عليه آيات من ربه قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم آيات على الجمع وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم آية على التوحيد وإنما

أرادوا كآيات الأنبياء قل إنما الآيات عند الله أي هو القادر على إرسالها وليست بيدي وزعم بعض علماء التفسير أن قوله وإنما أنا نذير مبين منسوخ بآية السيف

ثم بين الله عز و جل ان القرآن يكفي من الآيات التي سألوها بقوله أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب وذكر يحيى بن جعدة أن ناسا من المسلمين أتوا رسول الله ص بكتب قد كتبوها فيها بعض ما يقول اليهود فلما نظر إليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى قوم غيرهم فنزلت أولم يكفهم إلى آخر الآية

قوله تعالى قل كفى بالله قال المفسرون لما كذبوا بالقرآن نزلت

(٢٧٩/٦)

قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يشهد لي أني رسوله ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله له إثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه والذين آمنوا بالباطل قال ابن عباس بغير الله وقال مقاتل بعبادة الشيطان ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغاشهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون

قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب قال مقاتل نزلت في النضر بن الحارث حين قال فأمطر علينا حجارة من السماء الأنفال

وفي الأجل المسمى أربعة أقوال أحدها أنه يوم القيامة قاله سعيد ابن جبير والثاني أجل الحياة إلى حين الموت وأجل الموت إلى حين البعث قاله قتادة والثالث مدة اعمارهم قاله الضحاك والرابع يوم بدر حكاه الثعلبي

قوله تعالى وليأتينهم يعني العذاب وقرأ معاذ القارئ وأبو نهيك وابن أبي عبلة ولتأتينهم بالتاء بغتة وهم لا يشعرون باتيانه

قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين أي جامعة لهم

قوله تعالى ويقول ذوقوا قرأ ابن كثير بالنون وقرأ نافع بالياء فمن قرأ بالياء أراد الملك الموكل بعذابهم ومن قرأ بالنون فلأن ذلك لما كان يأمر الله تعالى جاز ان ينسب إليه ومعنى ما كنتم تعملون أي جزاء ما عملتم من الكفر والتكذيب

(٢٨٠/٦)

يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم

قوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر يا عبادي بتحريك الياء وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي باسكانها

قوله تعالى إن أرضي واسعة وقرأ ابن عامر وحده أرضي بفتح الياء وفيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه خطاب لمن آمن من أهل مكة قيل لهم إن أرضي يعني المدينة واسعة فلا تجاوروا الظلمة في أرض مكة قاله أبو صالح عن ابن عباس وكذلك قال مقاتل نزلت في ضعفاء مسلمي مكة أي إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فارض المدينة واسعة

والثاني أن المعنى إذا عمل بالمعاصي في ارض فاخرجوا منها رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال عطاء

والثالث إن رزقي لكم واسع قاله مطرف بن عبد الله

قوله تعالى فاياي فاعبدون أثبت فيها الياء يعقوب في الحالين وحذفها الباقون قال الزجاج أمرهم بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله إلى حيث تتهيأ لهم العبادة ثم خوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة فقال كل نفس ذائقة الموت المعنى فلا تقيموا في دار الشرك خوفا من الموت ثم

(٢٨١/٦)

إلينا ترجعون بعد الموت فنجزيكم بأعمالكم والأكثرون قرؤوا ترجعون بالتاء على الخطاب وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء

قوله تعالى لنبوئنهم قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وابن عامر لنبوئنهم بالباء أي لننزلنهم وقرأ حمزة والكسائي وخلف لنثوينهم بالثاء وهو من ثويت بالمكان إذا أقمت به قال الزجاج يقال ثوى الرجل إذا اقام وأثويته إذا أنزلته منزلا يقيم فيه

قوله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال ابن عباس لما أمرهم رسول الله ص بالخروج إلى المدينة قالوا يا رسول الله نخرج إلى المدينة وليس لنا بها عقار ولا مال فمن يؤوبنا ويطعمنا فنزلت هذه الآية قال ابن قتيبة ومعنى الآية كم من دابة لا ترفع شيئا لغد قال ابن عيينة ليس يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة

(٢٨٢/٦)

قال المفسرون وقوله الله يرزقها أي حيثما توجهت وإياكم أي ويرزقكم إن هاجرتم إلى المدينة وهو السميع لقولكم لا نجد ما ننفق بالمدينة العليم بما في قلوبكم ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون

قوله تعالى ولئن سألتهم يعني كفار مكة وكانوا يقرون بأنه الخالق والرازق وإنما أمره أن يقول الحمد لله على إقرارهم لأن ذلك يلزمهم الحجة فيوجب عليهم بل أكثرهم لا يعقلون توحيد الله مع إقرارهم بأنه الخالق والمراد بالأكثر الجميع وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون

قوله تعالى وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب والمعنى وما الحياة في هذه الدنيا إلا غرور ينقضي عن قليل وإن الدار الآخرة يعني الجنة لهي الحيوان قال ابو عبيدة اللام في لهي زائدة للتوكيد والحيوان والحياة واحد والمعنى لهي دار الحياة التي لا موت فيها ولا تنفيص

(٢٨٣/٦)

يشوبها كما يشوب الحياة الدنيا لو كانوا يعلمون أي لو علموا لرغبوا عن الفاني في الباقي ولكنهم لا يعلمون

قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك يعني المشركين دعوا الله مخلصين له الدين أي افردوه بالدعاء قال مقاتل والدين بمعنى التوحيد والمعنى أنهم لا يدعون من يدعونه شريكا له فلما نجاهم أي خلصهم من أهوال البحر وأفضوا إلى البر إذا هم يشركون في البر وهذا إخبار عن عنادهم ليكفروا بما آتيناهم هذه لام الأمر ومعناه التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم فصلت والمعنى ليجحدوا نعمة الله في إنجائه إياهم وليتمتعوا قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان اللام على معنى الامر والمعنى ليتمتعوا بباقي أعمارهم فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وقرأ الباقون بكسر اللام في ليتمتعوا فجعلوا اللامين بمعنى كي فتقديره لكي يكفروا ولكي يتمتعوا فيكون معنى الكلام إذا هم يشركون ليكفروا وليتمتعوا أي لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع بما يتمنون به في العاجلة من غير نصب لهم في الآخرة أولم يروا أنا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم

سبلنا وإن الله لمع المحسنين
قوله تعالى أو لم يروا يعني كفار مكة أنا جعلنا حرما آمنا يعني مكة وقد شرحنا هذا المعنى في القصص

(٦/٢٨٤)

ويتخطف الناس من حولهم أي أن العرب يسبي بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون أفبالباطل وفيه ثلاثة أقوال أحدها الشرك قاله قتادة والثاني الأصنام قاله ابن السائب والثالث الشيطان قاله مقاتل
قوله تعالى يؤمنون وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وعاصم الجحدري تؤمنون وبنعمة الله تكفرون بالتاء فيهما
قوله تعالى وبنعمة الله يعني محمدا والإسلام وقيل بانعام الله عليهم حين أطعمهم وآمنهم يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أي زعم أن له شريكا وأنه أمر بالفواحش أو كذب بالحق لما جاءه يعني محمدا والقرآن أليس في جهنم مثوى للكافرين وهذا استفهام بمعنى التقرير كقول جرير ... ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح ...
والذين جاهدوا فينا أي قاتلوا أعداءنا لاجلنا لنهدينهم سبلنا أي لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة وقيل لنزيدنهم هداية وإن الله لمع المحسنين بالنصرة والعون قال ابن عباس يريد بالمحسنين الموحدين وقال غيره يريد المجاهدين وقال ابن المبارك من اعتاصت عليه مسألة فليسأل أهل الثغور عنها لقوله لنهدينهم سبلنا

(٦/٢٨٥)

سورة الروم

وهي مكية كلها باجماعهم
بسم الله الرحمن الرحيم
ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
قوله تعالى غلبت الروم ذكر أهل التفسير في سبب نزولها أنه كان بين فارس والروم حرب فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك رسول الله ص وأصحابه فشق ذلك عليهم وفرح المشركون بذلك لأن فارس لم يكن لهم كتاب وكانوا يجحدون البعث ويعبدون الأصنام والروم أصحاب كتاب فقال المشركون لأصحاب

رسول الله ص إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من اهل فارس على إخوانكم من

(٢٨٦/٦)

الروم فان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فنزلت هذه الآية فخرج بها أبو بكر الصديق إلى المشركين فقالوا هذا كلام صاحبك فقال الله أنزل هذا فقالوا لأبي بكر نراهنك على ان الروم لا تغلب فارس فقال ابو بكر البضع ما بين الثلاث إلى التسع فقالوا الوسط من ذلك ست فوضعوا الرهان وذلك قبل أن يحرم الرهان فرجع ابو بكر إلى أصحابه فأخبرهم فلاموه وقالوا هلا أقررتها كما أقرها الله لو شاء أن يقول ستا لقال فلما كانت سنة ست لم تظهر الروم على فارس فاخذوا الرهان فلما كانت سنة سبع ظهرت الروم على فارس وروى ابن عباس قال لما نزلت آلم غلبت الروم ناحب ابو بكر قريشا فقال له رسول الله ص ألا احتطت فان البضع مابين السبع والتسع وذكر بعضهم أنهم ضربوا الاجل خمس سنين وقال بعضهم ثلاث سنين فقال رسول الله ص إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فخرج ابو بكر فقال لهم أزايدكم

(٢٨٧/٦)

في الخطر وامد في الأجل إلى تسع سنين ففعلوا فقهرهم أبو بكر وأخذ رهانهم

وفي الذي تولى وضع الرهان من المشركين قولان أحدهما أبي بن خلف قال قتادة والثاني أبو سفيان بن حرب قاله السدي

قوله تعالى في أدنى الارض وقرأ أبي بن كعب والضحاك وابو رجاء وابن السميفع في أداني الارض بألف مفتوحة الدال أي اقرب الأرض أرض الروم إلى فارس قال ابن عباس وهي طرف الشام

وفي اسم هذا المكان ثلاثة أقوال احدها أنه الجزيرة وهي أقرب أرض الروم إلى فارس قاله مجاهد والثاني أذرعات وكسكر قاله عكرمة والثالث الاردن وفلسطين قاله السدي

قوله تعالى وهم يعني الروم من بعد غلبهم وقرأ أبو الدرداء وأبو رجاء وعكرمة والأعمش غلبهم بتسكين اللام أي من بعد غلبة فارس إياهم والغلب والغلبة لغتان سيغلبون فارس في بضع سنين في البضع تسعة أقوال قد ذكرناها في يوسف قال المفسرون وهي هاهنا سبع سنين وهذا من علم الغيب الذي يدل على أن القرآن حق لله الأمر من قبل ومن بعد أي من قبل ان تغلب الروم ومن بعد ما غلبت والمعنى أن غلبة الغالب وخذلان المغلوب بامر الله وقضائه

ويومئذ يعني يوم غلبت الروم فارس يفرح المؤمنون بنصر الله للروم وكان التقاء الفريقين في السنة السابعة من غلبة فارس إياهم فغلبتهم الروم وجاء جبريل يخبر بنصر الروم على فارس فوافق ذلك يوم بدر وقيل يوم الحديبية

وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقأي ربهم لكافرون

قوله تعالى وعد الله أي وعد الله وعدا لا يخلف الله وعده أن الروم يظهرون على فارس ولكن أكثر الناس يعني كفار مكة لا يعلمون ان الله لا يخلف وعده في ذلك

ثم وصف كفار مكة فقال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال عكرمة هي المعايش وقال الضحاك يعلمون بنيان قصورها وتشقيق أنهارها وقال الحسن يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم ولقد بلغ والله من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقر الدرهم بظفره فيخبرك بوزنه ولا يحسن يصلي

قوله تعالى وهم عن الآخرة هم غافلون لأنهم لا يؤمنون بها قال الزجاج وذكرهم ثانية يجري مجرى التوكيد كما تقول زيد هو عالم وهو اوكد من قولك زيد عالم

قوله تعالى أولم يتفكروا في أنفسهم قال الزجاج معناه أولم يتفكروا فيعلموا فحذف فيعلموا لأن في الكلام دليلا عليه ومعنى إلا بالحق

إلا للحق أي لإقامة الحق وأجل مسمى وهو وقت الجزاء وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون المعنى لكافرون بلقاء ربهم فقدمت الباء لأنها متصلة بكافرون وما اتصل بخبر إن جاز أن يقدم قبل اللام ولايجوز أن تدخل اللام بعد مضي الخبر من غير خلاف بين النحويين لا يجوز ان تقول إن زيدا كافر لبالله لأن اللام حقها أن تدخل على الابتداء أو الخبر أو بين الابتداء والخبر لأنها تؤكد الجملة وقال مقاتل في قوله وأجل مسمى للسماوات والأرض أجل ينتهيان إليه وهو يوم القيامة وإن كثيرا من الناس يعني كفار مكة بلقاء ربهم أي بالبعث لكافرون

أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآي أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم

إليه ترجعون

قوله تعالى أولم يسيروا في الأرض أي أولم يسافروا فينظروا مصارع الأمم قبلهم كيف أهلكوا بتكذيبهم فيعتبروا قوله تعالى وأثاروا الأرض أي قلبوها للزراعة ومنه قيل للبقرة منيرة وقرأ ابي بن كعب ومعاذ القارئ وأبو حيوة وآثروا الأرض بمد الهمزة وفتح الثاء مرفوعة الراء وعمروها أكثر مما عمروها أي أكثر من عمارة أهل مكة لطول أعمار أولئك وشدة قوتهم وجاءتهم رسلهم بالبينات أي بالدلالات فما كان الله ليظلمهم بتعذيبهم على غير ذنب

(٢٩٠/٦)

ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر والتكذيب ودل هذا على أنهم لم يؤمنوا فأهلكوا

ثم أخبر عن عاقبتهم فقال ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى يعني الخلة السيئة وفيها قولان أحدهما انها العذاب قاله الحسن والثاني جهنم قاله السدي

قوله تعالى أن كذبوا قال الفراء معناه لأن كذبوا فلما ألقيت اللام كان نصبا وقال الزجاج لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم وقيل السوأى مصدر بمنزلة الإساءة فالمعنى ثم كان التكذيب آخر أمرهم أي ماتوا على ذلك كأن الله تعالى جازاهم على إساءتهم ان طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب عقوبة لهم وقال مكي بن أبي طالب النحوي عاقبة اسم كان والسوأى خبرها وأن كذبوا مفعول من أجله ويجوز أن يكون السوأى مفعولة ب أساؤوا وأن كذبوا خبر كان ومن نصب عاقبة جعلها خبر كان والسوأى اسمها ويجوز أن يكون أن كذبوا اسمها وقرأ الأعمش أساؤوا السوء برفع السوء

قوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده أي يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا ثم إليه ترجعون قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ترجعون بالتاء فعلى هذا يكون الكلام عائدا من الخبر إلى الخطاب وقرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بالياء لأن المتقدم ذكره غيبة والمراد بذكر الرجوع الجزاء على الاعمال والخلق بمعنى المخلوقين وإنما قال يعيده على لفظ الخلق

(٢٩١/٦)

ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاؤا وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقائ الآخرة فأولئك في العذاب محضرون

قوله تعالى يبلس المجرمون قد شرحنا الإبلاس في الأنعام
قوله تعالى ولم يكن لهم من شركائهم أي من أوثانهم التي عبدوها شفعاء في القيامة وكانوا بشركائهم كافرين يتبرؤون منها وتتبرأ منهم
قوله تعالى يومئذ يتفرقون وذلك بعد الحساب ينصرف قوم إلى الجنة وقوم إلى النار
قوله تعالى فهم في روضة الروضة المكان المخضر من الارض وإنما خص الروضة لأنها كانت أعجب الأشياء إلى العرب قال ابو عبيدة ليس شئ عند العرب أحسن من الرياض المعشبة ولا أطيب ريحا قال الأعشى ... ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل ... يوما بأطيب منها نشر رائحة ... ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل ...
قال المفسرون والمراد بالروضة رياض الجنة
وفي معنى يحبرون أربعة اقوال

(٢٩٢/٦)

أحدها يكرمون رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس
والثاني ينعمون قاله مجاهد وقتادة قال الزجاج والحبرة في اللغة كل نغمة حسنة
والثالث يفرحون قاله السدي وقال ابن قتيبة يحبرون يسرون والحبرة السرور
والرابع أن الحبر السماع في الجنة فاذا أهل الجنة في السماع لم تبق شجرة إلا وردت قاله يحيى بن أبي كثير وسئل يحيى بن معاذ أي الأصوات أحسن فقال مزامير أنس في مقاصير قدس بألحان تحميد في رياض تمجيد في مقعد صدق عند مليك مقتدر القمر
قوله تعالى فأولئك في العذاب محضرون أي هم حاضرون العذاب أبدا لا يخفف عنهم
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون
ثم ذكر ما تدرك به الجنة ويتباعد به من النار فقال فسبحان الله حين تمسون قال المفسرون المعنى فصلوا لله حين تمسون أي حين تدخلون في الظهيرة وهي وقت الزوال وعشيا أي وسبحوه عشيا وهذه الآية قد جمعت الصلوات الخمس فقوله حين تمسون يعني به

(٢٩٣/٦)

صلاة المغرب والعشاء وحين تصبحون يعني به صلاة الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر
قوله تعالى وله الحمد في السماوات والارض قال ابن عباس يحمده أهل السماوات وأهل الأرض ويصلون له
قوله تعالى يخرج الحي من الميت فيه أقوال قد ذكرناها في آل عمران
قوله تعالى ويحيي الأرض بعد موتها أي يجعلها منبتة بعد أن كانت لا تنبت وتلك حياتها وكذلك تخرجون قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر تخرجون بضم التاء وفتحها حمزة والكسائي والمراد تخرجون يوم القيامة من الارض أي كما أحيا الأرض بالنبات يحييكم بالبعث ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا انتم تخرجون

(٦/٢٩٤)

وله من في السماوات والأرض كل له قانتون وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين
قوله تعالى ومن آياته أي من دلائل قدرته أن خلقكم من تراب يعني آدم لأنه أصل البشر ثم إذا أنتم بشر من لحم ودم يعني ذريته تنتشرون أي تنبسطون في الأرض
قوله تعالى أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا فيه قولان
أحدهما أنه يعني بذلك آدم خلق حواء من ضلعه وهو معنى قول قتادة
والثاني ان المعنى جعل لكم آدميات مثلكم ولم يجعلهن من غير جنسكم قاله الكلبي
قوله تعالى لتسكنوا إليها أي لتأووا إلى الأزواج وجعل بينكم مودة ورحمة وذلك أن الزوجين يتوادان ويتراحمان من غير رحم بينهما إن في ذلك الذي ذكره من صنعه لآيات لقوم يتفكرون في قدرة الله وعظمته
قوله تعالى واختلاف ألسنتكم يعني اللغات من العربية والعجمية وغير ذلك وألوانكم لأن الخلق بين

أسود وأبيض وأحمر وهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة وقيل المراد باختلاف الألسنة اختلاف النغمات والأصوات حتى إنه لا يشتبه صوت أخوين من اب وأم والمراد باختلاف الألوان اختلاف

(٢٩٥/٦)

الصور فلا تشتبه صورتان مع التشاكل إن في ذلك لآيات للعالمين قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم للعالمين بفتح اللام وقرأ حفص عن عاصم للعالمين بكسر اللام

قوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار أي نومكم قال ابو عبيدة المنام من مصادر النوم بمنزلة قام يقوم قياما ومقاما وقال يقول مقالا قال المفسرون وتقدير الآية منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله وهو طلب الرزق بالنهار إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع اعتبار وتذكر وتدبر ومن آياته يريكم البرق قال اللغويون إنما حذف أن لدلالة الكلامة عليه وأنشدوا ... وما الدهر إلا تارتان فتارة أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح ...

ومعناه فتارة أموت فيها وقال طرفة ... ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغي وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي ...

أراد أن أحضر وقد شرحنا معنى الخوف والطمع في رؤية البرق في سورة الرعد

قوله تعالى أن تقوم السماء والأرض أي تدوما قائمتين بأمره ثم إذا دعاكم دعوة وهي نفحة إسرافيل الأخيرة في الصور بامر الله عز و جل

(٢٩٦/٦)

من الأرض أي من قبوركم إذا أنتم تخرجون منها وما بعد هذا قد سبق بيانه البقرة العنكبوت إلى قوله وهو أهون عليه وفيه اربعة أقوال

أحدها أن الإعادة أهون عليه من البداية وكل هين عليه قاله مجاهد وأبو العالية

والثاني أن أهون بمعنى هين فالمعنى وهو هين عليه وقد يوضع أفعل في موضع فاعل ومثله قولهم في الأذان الله أكبر أي الله كبير قال الفرزدق ... إن الذي سمك السماء بني لنا بيتا دعائمه أعز وأطول ...

وقال معن بن أوس المزني ... لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينا تغدو المنية أول ...

أي وإني لوجل وقال غيره

... أصبحت أمنحك الصدود وإنني قسما إليك مع الصدود لأميل ...
وأنشدوا أيضا

(٢٩٧/٦)

تمنى رجال أن اموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد ...
أي بواحد هذا قول أبي عبيدة وهو مروي عن الحسن وقتادة وقد قرأ ابي بن كعب وأبو عمران الجوني وجعفر بن محمد وهو هين عليه
والثالث أنه خاطب العباد بما يعقلون فأعلمهم أنه يجب أن يكون عندهم البعث أسهل من الابتداء في تقديرهم وحكمهم فمن قدر على الإنشاء كان البعث أهون عليه هذا اختيار الفراء والمبرد والزجاج وهو قول مقاتل وعلى هذه الأقوال الثلاثة تكون الهاء في عليه عائدة إلى الله تعالى
والرابع أن الهاء تعود على المخلوق لأنه خلقه نطفة ثم علقة ثم مضغة ويوم القيامة يقول له كن فيكون رواه ابو صالح عن ابن عباس وهو اختيار قطرب
قوله تعالى وله المثل الأعلى قال المفسرون أي له الصفة العليا في السماوات والأرض وهي أنه لا إله غيره
قوله تعالى ضرب لكم مثلا سبب نزولها أن اهل الجاهلية كانوا يلبون فيقولون لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك فنزلت هذه الآية قاله سعيد بن جبير ومقاتل ومعنى الآية بين لكم أيها المشركون شبها وذلك الشبه من أنفسكم ثم بينه فقال هل لكم مما ملكت أيمانكم أي من عبيدكم من شركاء فيما رزقناكم من المال والأهل والعبيد أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم فأنتم فيه سواء أي أنتم

(٢٩٨/٦)

وشركاؤكم من عبيدكم سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم أي كما تخافون امثالكم من الأحرار وأقرباءكم كالآباء والأبناء قال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا وقال غيره تخافونهم أن يقاسموكم أموالكم كما يفعل الشركاء والمعنى هل يرضى أحدكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في التصرف في ذلك فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء الأحرار فاذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي كذلك أي كما بينا هذا المثل نفصل الآيات لقوم يعقلون عن الله ثم بين أنهم إنما اتبعوا الهوى في إشراكهم فقال

بل اتبع الذين ظلموا أي أشركوا بالله أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وهذا يدل على أنهم إنما اشركوا باضلال الله إياهم وما لهم من ناصرين أي مانعين من عذاب الله فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت

(٢٩٩/٦)

أيديهم إذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون قوله تعالى فأقم وجهك قال مقاتل أخلص دينك الإسلام للدين أي للتوحيد وقال ابو سليمان الدمشقي استقم بدينك نحو الجهة التي وجهك الله إليها وقال غيره سدد عملك والوجه ما يتوجه إليه وعمل الإنسان ودينه ما يتوجه إليه لتسديده وإقامته

قوله تعالى حنيفا قال الزجاج الحنيف الذي يميل إلى الشيء ولا يرجع عنه كالحنف في الرجل وهو ميلها إلى خارجها خلقة لا يقدر الأحنف أن يرد حنفه وقوله فطرة الله منصوب بمعنى اتبع فطرة الله لأن معنى فأقم وجهك اتبع الدين القيم واتبع فطرة الله أي دين الله والفطرة الخلقة التي خلق الله عليها البشر وكذلك قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة أي على الإيمان بالله وقال مجاهد في قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها قال الإسلام وكذلك قال قتادة والذي

(٣٠٠/٦)

أشار إليه الزجاج أصح وإليه ذهب ابن قتيبة فقال فرق ما بيننا وبين أهل القدر في هذا الحديث أن الفطرة عندهم الإسلام والفطرة عندنا الإقرار بالله والمعرفة به لا الإسلام ومعنى الفطرة ابتداء الخلقة والكل أقروا حين قوله ألست بربكم قالوا بلى ولست واجدا أحدا إلا وهو مقر بأن له صانعا ومدبرا وإن عبد شيئا دونه وسماه بغير اسمه فمعنى الحديث إن كل مولود في العالم على ذلك العهد وذلك الإقرار الأول وهو للفطرة ثم يهود اليهود أبناءهم أي يعلمونهم ذلك وليس الإقرار الأول مما يقع به حكم ولا ثواب وقد ذكر نحو هذا أبو بكر الأثرم واستدل عليه بأن الناس أجمعوا على انه لا يرث المسلم الكافر

ولا الكافر المسلم ثم أجمعوا على ان اليهودي إذا مات له ولد صغير ورثه وكذلك النصراني والمجوسي ولو كان معنى الفطرة الإسلام ما ورثه إلا المسلمون ولا دفن إلا معهم وإنما أراد بقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة أي على تلك البداية التي أقروا له فيها بالوحدانية حين أخذهم من صلب آدم فمنهم من جحد ذلك بعد إقراره ومثل هذا الحديث

(٣٠١/٦)

حديث عياض بن حمار عن النبي ص قال قال الله عز و جل إني خلقت عبادي حنفاء وذلك أنه لم يدعهم يوم الميثاق إلا إلى حرف واحد فأجابوه

قوله تعالى لا تبديل لخلق الله لفظه لفظ النفي ومعناه النهي والتقدير لا تبدلوا خلق الله وفيه قولان أحدهما أنه خصاء البهائم قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه والثاني دين الله قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والنخعي في آخرين وعن ابن عباس وعكرمة كالقولين

قوله تعالى ذلك الدين القيم يعني التوحيد المستقيم ولكن أكثر الناس يعني كفار مكة لا يعلمون توحيد الله

(٣٠٢/٦)

قوله تعالى منيبين إليه قال الزجاج زعم جميع النحويين أن معنى هذا فأقيموا وجوهكم منيبين لأن مخاطبة النبي ص تدخل معه فيها الأمة ومعنى منيبين راجعين إليه في كل ما أمر فلا يخرجون عن شئ من امره وما بعد هذا قد سبق تفسيره البقرة الأنعام إلى قوله وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة وفيه قولان أحدهما أنه القحط والرحمة المطر والثاني أنه البلاء والرحمة العافية إذا فريق منهم وهم المشركون والمعنى إن الكل يلتجؤون إليه في شدائدهم ولا يلتفت المشركون حينئذ إلى أوثانهم

قوله تعالى ليكفروا بما آتيناهم قد شرحناه في آخر العنكبوت وقوله فتمتعوا خطاب لهم بعد الإخبار عنهم

قوله تعالى أم أنزلنا عليهم أي على هؤلاء المشركين سلطانا أي حجة وكتابا من السماء فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أي يأمرهم بالشرك وهذا استفهام إنكار معناه ليس الأمر كذلك

قوله تعالى وإذا أذقنا الناس قال مقاتل يعني كفار مكة رحمة وهي المطر والسيئة الجوع والقحط وقال ابن قتيبة الرحمة النعمة والسيئة المصيبة قال المفسرون وهذا الفرح المذكور هاهنا هو فرح البطر الذي

لا شكر فيه والقنوط اليأس من فضل الله وهو خلاف وصف المؤمن فانه يشكر عند النعمة ويرجو عند الشدة وقد شرحناه في بني إسرائيل إلى قوله ذلك يعني إعطاء الحق خير أي افضل من الإمساك للذين يريدون وجه الله أي يطلبون بأعمالهم ثواب الله

(٣٠٣/٦)

وما آتيناهم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون

قوله تعالى وما آتيتم من ربا في هذه الآية أربعة أقوال

أحدها أن الربا هاهنا أن يهدي الرجل للرجل الشئ يقصد أن يثيبه عليه أكثر من ذلك هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وطاووس والضحاك وقتادة والقرظي قال الضحاك فهذا ليس فيه أجر ولا وزر وقال قتادة ذلك الذي لا يقبله الله ولا يجزي به وليس فيه وزر

والثاني أنه الربا المحرم قاله الحسن البصري

والثالث أن الرجل يعطي قرابته المال ليصير به غنيا لا يقصد بذلك ثواب الله تعالى قاله إبراهيم النخعي

والرابع أنه الرجل يعطي من يخدمه لأجل خدمته لا لأجل الله تعالى قاله الشعبي

قوله تعالى ليربو في أموال الناس وقرأ نافع ويعقوب لتربو بالتاء وسكون الواو أي في اجتلاب اموال الناس واجتذابها فلا يربو عند الله أي لا يزكو ولا يضاعف لأنكم قصدتم زيادة العوض ولم تقصدوا القربة

وما آتيتم من زكاة أي ما أعطيتم من صدقة لا تطلبون بها المكافأة

(٣٠٤/٦)

إنما تريدون بها ما عند الله فأولئك هم المضعفون قال ابن قتيبة الذين يجدون التضعيف والزيادة وقال الزجاج أي ذووا الأضعاف من الحسنات كما يقال رجل مقو أي صاحب قوة وموسر صاحب يسار ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون

قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر في هذا الفساد أربعة أقوال أحدها نقصان البركة قاله ابن عباس

والثاني ارتكاب المعاصي قاله أبو العالية والثالث الشرك قاله قتادة والسدي والرابع قحط المطر قاله عطية

فأما البر فقال ابن عباس البر البرية التي ليس عندها نهر

وفي البحر قولان

أحدهما أنه ما كان من المدائن والقرى على شط نهر قاله ابن عباس وقال عكرمة لا أقول بحركم هذا ولكن كل قرية عامرة وقال قتادة المراد بالبر أهل البوادي وبالبحر أهل القرى وقال الزجاج المراد بالبحر مدن البحر على الأنهار وكل ذي ماء فهو بحر

والثاني أن البحر الماء المعروف قال مجاهد ظهور الفساد في البر قتل

(٣٠٥/٦)

ابن آدم أخاه وفي البحر ملك جائر يأخذ كل سفينة غصبا وقيل لعطية أي فساد في البحر فقال إذا قل المطر قل الغوص

قوله تعالى بما كسبت أيدي الناس أي بما عملوا من المعاصي ليذيقهم وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وعكرمة وقتادة وابن محيصن وروح عن يعقوب وقنبل عن ابن كثير لنذيقهم بالنون بعض الذي عملوا أي جزاء بعض أعمالهم فالقحط جزاء ونقصان البركة جزاء ووقوع المعصية منهم جزاء معجل لمعاصيهم ايضا

قوله تعالى لعلهم يرجعون في المشار إليهم قولان

أحدهما أنهم الذين أذيقوا الجزاء ثم في معنى رجوعهم قولان أحدهما يرجعون عن المعاصي قاله أبو العالية والثاني يرجعون إلى الحق قاله إبراهيم

والثاني أنهم الذين يأنون بعدهم فالمعنى لعله يرجع من بعدهم قاله الحسن

قوله تعالى قل سيروا في الأرض أي سافروا فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل أي الذين كانوا قبلكم والمعنى انظروا إلى مساكنهم وآثارهم كان أكثرهم مشركين المعنى فأهلكوا بشركهم

(٣٠٦/٦)

فأقم وجهك للدين أي أقم قصدك لاتباع الدين القيم وهو الإسلام المستقيم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله يعني يوم القيامة لا يقدر احد على رد ذلك اليوم لأن الله تعالى قد قضى كونه يومئذ يصدعون أي يتفرقون إلى الجنة والنار من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا

وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين
من كفر فعليه كفره أي جزاء كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون أي يوطئون وقال مجاهد يسوون المضاجع في القبور قال أبو عبيدة من يقع على الواحد والاثنين والجمع من المذكر والمؤنث ومجازها هاهنا مجاز الجميع ويمهد بمعنى يكتسب ويعمل ويستعد ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين
قوله تعالى ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات تبشر بالمطر

(٣٠٧/٦)

وليذيقكم من رحمته وهو الغيث والخصب ولتجري الفلك في البحر بتلك الرياح بأمره ولتبتغوا بالتجارة في البحر من فضله وهو الرزق وكل هذا بالرياح
قوله تعالى فجاؤوهم بالبينات أي بالدلالات على صدقهم فانتقمنا من الذين أجرموا أي عذبنا الذين كذبوهم وكان حقا علينا أي واجبا هو أوجبه على نفسه نصر المؤمنين إنجاؤهم مع الرسل من عذاب المكذبين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث

(٣٠٨/٦)

فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون
قوله تعالى يرسل الرياح وقرأ ابن مسعود وأبو رجاء والنخعي وطلحة بن مصرف والأعمش يرسل الريح بغير ألف
قوله تعالى فتثير سحابا أي تزعجه فيبسطه الله في السماء كيف يشاء إن شاء بسطة مسيرة يوم أو يومين

أو اقل أو أكثر ويجعله كسفا أي قطعا متفرقة والأكثرون فتحوا سين كسفا وقرأ أبو رزين وقتادة وابن عامر وأبو جعفر وابن ابي عبلة بتسكينها قال ابو علي يمكن ان يكون مثل سدرة وسدر فيكون معنى القراءتين واحدا فترى الودق يخرج من خلاله وقرأ ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وأبو العالية من خلله وقد شرحناه في النور فاذا أصاب به أي بالودق ومعنى يستبشرون يفرحون بالمطر وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبله وفي هذا التكرير ثلاثة أقوال

أحدها أنه للتأكيد كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون الحجر قاله الأخفش في آخرين

والثاني أن قبل الأولى للتنزيل والثانية للمطر قاله قطرب قال ابن الأنباري والمعنى من قبل نزول المطر من قبل المطر وهذا مثلما يقول القائل آتيك من قبل أن تتكلم من قبل ان تطمئن في مجلسك فلا تنكر الإعادة لاختلاف الشيئين

والثالث أن الهاء في قوله من قبله ترجع إلى الهدى وإن لم يتقدم له ذكر فيكون المعنى كانوا يقطنون من قبل نزول المطر من قبل الهدى

(٣٠٩/٦)

فلما جاء الهدى والإسلام زال القنوط ذكره ابن الأنباري عن ابي عمر الدوري وأبي جعفر بن قادم والمبلسون الآيسون وقد سبق الكلام في هذا الأنعام

فانظر إلى آثار رحمة الله قرأ أبن كثير ونافع وابو عمرو وأبو بكر عن عاصم إلى أثر وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم إلى آثار على الجمع والمراد بالرحمة هاهنا المطر وأثرها النبت والمعنى انظر إلى حسن تأثيره في الأرض كيف يحيي الارض أي كيف يجعلها تنبت بعد ان لم يكن فيها نبت وقرا عثمان بن عفان وأبو رجاء وأبو عمران الجوني وسليمان التيمي كيف تحيي بتاء مرفوعة مكسورة الياء الأرض بفتح الضاد

قوله تعالى ولئن أرسلنا ريحا أي ريحا باردة مضرة والريح إذا أتت على لفظ الواحد أريد بها العذاب ولهذا كان رسول الله ص يقول عند هبوب الريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فرأوه مصفرا

(٣١٠/٦)

يعني النبت والهاء عائدة إلى الأثر قال الزجاج المعنى فرأوا النبت قد اصفر وجف لظلوا من بعده يكفرون ومعناه ليظلن لأن معنى الكلام الشرط والجزاء فهم يستبشرون بالغيث ويكفرون إذا انقطع عنهم الغيث وجف النبت وقال غيره المراد برحمة الله المطر وظلوا بمعنى صاروا من بعده أي من بعد اصفرار

النبت يجحدون ما سلف من النعمة وما بعد هذا مفسر في سورة النمل إلى قوله الله الذي خلقكم من ضعف وقد ذكرنا الكلام فيه في الأنفال قال المفسرون المعنى خلقكم من ماء ذي ضعف وهو المني ثم جعل من بعد ضعف يعني ضعف الطفولة قوة الشباب ثم جعل من بعد قوة الشباب ضعف الكبر وشيبة يخلق ما يشاء أي من ضعف وقوة وشباب وشيبة وهو العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشاء ويوم تقوم الساعة قال الزجاج الساعة في القرآن على معنى الساعة التي تقوم فيها القيامة فلذلك لم تعرف أي ساعة هي

قوله تعالى يقسم المجرمون أي يحلف المشركون ما لبثوا في القبور غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون قال ابن قتيبة يقال أفك الرجل إذا عدل به عن الصدق فالمعنى أنهم قد كذبوا في هذا الوقت كما كذبوا في الدنيا وقال غيره أراد الله تعالى أن يفضحهم يوم القيامة بين المؤمنين فحلفوا على شئ يبين للمؤمنين كذبهم فيه ويستدلون على كذبهم في الدنيا

ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم بقوله وقال الذين أوتوا العلم والإيمان وفيهم قولان أحدهما أنهم الملائكة والثاني المؤمنون

قوله تعالى لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فيه قولان

أحدهما أن فيه تقديما وتأخيرا تقديره وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله والإيمان بالله قاله ابن جريج في جماعة من المفسرين

والثاني أنه على نظمه ثم في معناه قولان أحدهما لقد لبثتم في علم الله قاله الفراء والثاني لقد لبثتم في خبر الكتاب قاله ابن قتيبة

قوله تعالى فهذا يوم البعث أي اليوم الذي كنتم تنكرونه ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر لا تنفع بالتاء وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالياء لأن التأنيث غير حقيقي

قال ابن عباس لا يقبل من الذين أشركوا عذر ولا توبة

قوله تعالى ولا هم يستعتبون أي لا يطلب منهم العتبى والرجوع في الآخرة ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

قوله تعالى ولئن جئتهم بآية أي كعصا موسى ويده ليقولن الذين كفروا إن انتم أي ما أنتم يا محمد وأصحابك إلا مبطلون أي أصحاب أباطيل وهذا بيان لعنادهم كذلك أي كما طبع على قلوبهم حتى

(٣١٢/٦)

لا يصدقون الآيات يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله فالسبب في امتناع الكفار من التوحيد الطبع على قلوبهم
قوله تعالى فاصبر إن وعد الله بنصرك وإظهارك على عدوك حق ولا يستخفنك وقرأ يعقوب إلا روحا وزيدا يستخفنك بسكون النون قال الزجاج لا يستفزنك عن دينك الذين لا يوقنون أي هم ضلال شاكون وقال غيره لا يوقنون بالبعث والجزاء وزعم بعض المفسرين أن هذه الآية منسوخة

(٣١٣/٦)

سورة لقمان
وهي مكية في قول الأكثرين وروي عن عطاء أنه قال هي مكية سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما قوله تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والتي بعدها لقمان وروي عن الحسن أنه قال إلا آية نزلت بالمدينة وهي قوله الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة لقمان لأن الصلاة والزكاة مدنيتان بسم الله الرحمن الرحيم آلم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين

(٣١٤/٦)

وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم
قوله تعالى هدى ورحمة وقرأ حمزة وحده ورحمة بالرفع قال الزجاج القراءة بالنصب على الحال والمعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة ويجوز الرفع على إضمار هو هدى ورحمة وعلى معنى تلك

هدى ورحمة وقد سبق تفسير مفتتح هذه السورة البقرة إلى قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث
قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية مغنية وقال مجاهد نزلت في شراء القيان والمغنيات وقال ابن السائب ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وذلك أنه كان

(٣١٥/٦)

تاجرا إلى فارس فكان يشتري أخبار الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول لهم إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستحملون حديثه ويتركون استماع القرآن فنزلت فيه هذه الآية
وفي المراد بلهو الحديث أربعة أقوال
أحدها أنه الغناء كان ابن مسعود يقول هو الغناء والذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات وبهذا قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال اللهو الطبل
والثاني أنه ما ألهى عن الله قاله الحسن وعنه مثل القول الاول
والثالث أنه الشرك قاله الضحاك
والرابع الباطل قاله عطاء
وفي معنى يشتري قولان
أحدهما يشتري بماله وحديث النضر يعضده والثاني يختار ويستحب قاله قتادة ومطر

(٣١٦/٦)

وإنما قيل لهذه الأشياء لهو الحديث لأنها تلهي عن ذكر الله
قوله تعالى ليضل المعنى ليصير أمره إلى الضلال وقد بينا هذا الحرف في الحج
وقرأ أبو رزين والحسن وطلحة بن مصرف والأعمش وأبو جعفر ليضل بضم الياء والمعنى ليضل غيره وإذا أضل غيره فقد ضل هو ايضا
قوله تعالى ويتخذها قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويتخذها برفع الذال
وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بنصب الذال قال أبو علي من نصب عطف على ليضل ويتخذ ومن رفع عطفه على من يشتري ويتخذ
وفي المشار إليه بقوله ويتخذها قولان
أحدهما أنها الآيات والثاني السبيل

وما بعد هذا مفسر في مواضع قد تقدمت الاسراء الانعام البقرة الرعد النحل الشعراء إلى قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة وفيها قولان أحدهما الفهم والعقل قاله الأكثرون والثاني النبوة وقد اختلف في نبوته على قولين

أحدهما أنه كان حكيما ولم يكن نبيا قاله سعيد بن المسيب ومجاهد وقتادة

والثاني انه كان نبيا قاله الشعبي وعكرمة والسدي هكذا حكاه

(٣١٧/٦)

عنهم الواحدي ولا يعرف إلا ان هذا مما تفرد به عكرمة والقول الأول اصح

وفي صناعته ثلاثة أقوال

أحدها أنه كان خياطا قاله سعيد بن المسيب والثاني راعيا قاله ابن زيد والثالث نجارا قاله خالد الربعي فأما صفته فقال ابن عباس كان عبدا حبشيا وقال سعيد بن المسيب كان لقمان أسود من سودان مصر وقال مجاهد كان غليظ الشفتين مشقق القدمين وكان قاضيا على بني إسرائيل

قوله تعالى أن اشكر لله المعنى وقلنا له ان أشكر لله على ما أعطاك من الحكمة ومن يشكر فانما يشكر لنفسه أي إنما يفعل لنفسه ومن كفر النعمة فان الله لغني عن عبادة خلقه

(٣١٨/٦)

ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات او في الأرض يات بها الله إن الله لطيف خبير يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور

قوله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه قال مقاتل نزلت في سعد بن أبي وقاص وقد شرحنا ذلك في العنكبوت

قوله تعالى حملته أمه وهنا على وهن وقرأ الضحاك وعاصم الجحدري وهنا على وهن بفتح الهاء فيهما قال الزجاج أي ضعفا على ضعف والمعنى لزمها بحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة وموضع أن نصب ب وصينا المعنى ووصينا الإنسان أن أشكر لي ولوالديك أي وصيناه بشكرنا وشكر والديه

قوله تعالى وفصاله في عامين أي فطامه يقع في انقضاء عامين وقرأ إبراهيم النخعي وأبو عمران

والأعمش وفصاله بفتح الفاء وقرأ أبي بن كعب والحسن وأبو رجاء وطلحة بن مصرف وعاصم الجحدري وقتادة وفصله بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف والمراد التنبيه على مشقة الوالدة بالرضاع بعد الحمل

(٣١٩/٦)

قوله تعالى وإن جاهداك قد فسرنا ذلك في سورة العنكبوت إلى قوله وصاحبهما في الدنيا معروفا قال الزجاج أي مصاحبا معروفا تقول صاحبه مصاحبا ومصاحبة والمعروف ما يستحسن من الأفعال
قوله تعالى واتبع سبيل من أناب إلي أي من رجع إلي وأهل التفسير يقولون هذه الآية نزلت في سعد وهو المخاطب بها
وفي المراد بمن أناب ثلاثة أقوال
أحدها أنه أبو بكر الصديق قيل لسعد اتبع سبيله في الإيمان هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء وقال ابن اسحاق أسلم على يدي أبي بكر الصديق عثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف والثاني أنه رسول الله ص قاله ابن السائب
والثالث من سلك طريق محمد وأصحابه ذكره الثعلبي
ثم رجع إلى الخبر عن لقمان فقال يا بني وقال ابن جرير وجه اعتراض هذه الآيات بين الخبرين عن وصية لقمان أن هذا مما أوصى به لقمان ابنه
قوله تعالى إنها أن تك مثقال حبة وقرأ نافع وحده مثقال حبة برفع اللام

(٣٢٠/٦)

وفي سبب قول لقمان لابنه هذا قولان
أحدهما أن ابن لقمان قال لأبيه أرأيت لو كانت حبة في قعر البحر أكان الله يعلمها فأجابه بهذه الآية قاله السدي
والثاني أنه قال يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فأجابه بهذا قاله مقاتل قال الزجاج من قرأ برفع المثقال مع تأنيث تك فلأن مثقال حبة من خردل راجع إلى معنى خردلة فهي بمنزلة إن تك حبة من خردل ومن قرأ مثقال حبة فعلى معنى إن التي سألتني عنها إن تك مثقال حبة وعلى معنى إن فعلة الإنسان وإن صغرت يأت بها الله وقد بينا معنى مثقال حبة من خردل في الأنبياء
قوله تعالى فتكن في صخرة قال قتادة في جبل وقال السدي هي الصخرة التي تحت الارض السابعة

ليست في السماوات ولا في الأرض
وفي قوله يأت بها الله ثلاثة أقوال
أحدها يعلمها الله قاله أبو مالك والثاني يظهرها قاله ابن قتيبة والثالث يأت بها الله في الآخرة للجزاء عليها

(٣٢١/٦)

إن الله لطيف قال الزجاج لطيف باستخراجها خبير بمكانها وهذا مثل لأعمال العباد والمراد أن الله تعالى يأتي بأعمالهم يوم القيامة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
قوله تعالى واصبر على ما أصابك أي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأذى وباقي الآية مفسر في آل عمران ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير
قوله تعالى ولا تصعر خدك للناس قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب تصعر بتشديد العين من غير ألف وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي بألف من غير تشديد قال الفراء هما لغتان ومعناهما الإعراض من الكبر وقرأ أبي بن كعب وأبو رجاء وابن السميفع وعاصم الجحدري ولا تصعر باسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف وقال الزجاج معناه لا تعرض عن الناس تكبرا يقال أصاب البعير صعر إذا أصابه داء يلوي منه عنقه وقال ابن عباس هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه كالمستكبر وقال ابو العالية ليكن الغني والفقير عندك في العلم سواء وقال مجاهد هو الرجل يكون بينه وبين أخيه الحنة فيراه فيعرض عنه وباقي الآية بعضه مفسر في بني إسرائيل وبعضه في سورة النساء

(٣٢٢/٦)